وأحياها الفراق

يسرا عمر

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

دار دريم بن للطباعة والنشر
العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

وأحياها الفراق

يسرا عمر

الطبعة الأولى، القاهرة 2020م
غلاف: عمار جمال
مراجعة لغوية: هبة ممدوح
تدقيق لغوي: سلمى عبد اللطيف، حبيبة محمد
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 17526 / 2020
I.S.B.N | 978-977-6794-41-9

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبِّر عن رأي كاتبها، و لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

يسرا عمر

وأحياها الفراق

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

-01-

في أحد شوارع حيّ الزمالك الهادئة، وقفت ياسمين في السادسة والنصف صباحًا تلوح لصغيرها بعدما استقل حافلة إحدى المدارس الدولية التي ألحقته بها منذ عامين. ابتسمت وهي تراه يبتعد، وهي لا تصدق أن ذلك الصغير -الذي تشعر وكأنها ما زالت تسمع بكاءه يوم ولادته- قد بدأ عامه الدراسي الثاني.

أغلقت ياسمين باب منزلها ووقفت تلتقط أنفاسها خلفه قبل أن تدخل غرفتها وتقف أمام خزانة ملابسها لتختار ما سترتديه اليوم؛ لتبدأ يوم عمل جديد تعلمُ قبل بدايته ألا جديد سيحدث به، وأنه يومٌ كسائر أيامها بلا روح ولا أحداث. جلست أمام مرآة غرفتها؛ لتضع بعض مساحيق التجميل البسيطة كعادتها، فهي تعلم جيدًا أن ملامحها لا تحتاج إلى أي مساحيق تجميل بل ربما هي من تضيف لتلك المساحيق جمالًا.

ياسمين محمد أورهان أو ياسمين أورهان كما اعتاد الجميع مناداتها منذ عادت إلى مصر مع أمها منذ ما يقرب من عشرين عامًا.. ولدت ياسمين لأم مصرية وأب نصف تركي، هذا الذي وقع في غرام أمها منذ رآها للمرة الأولى بالجامعة، ولكنه ظل أعوامًا طوالًا يحاول الارتباط بها بلا جدوى لرفض أبيها تزويجها من رجل يحمل جنسية أجنبية بجانب المصرية.

ظل والد ياسمين متمسكًا بحبه الوحيد حتى وافق جدها بعد محاولات عديدة على زواجه من أمها، وتم أخيرًا زواج محمد أورهان من ماجدة، تلك الفتاة المصرية التي سلبت قلب ذلك الوسيم من النظرة الأولى.

استقر الزوجان بمصر حتى رُزقا بأول أبنائهما ياسر، وعندها شعر أورهان أن عليه أن يبحث عن فرصة عمل ذات عائد مادي أعلى

حتى يستطيع توفير مستوى معيشة أفضل لأسرته، فما كان منه إلا أن استأذن والد زوجته في العودة إلى تركيا، ليوافقَ والدها ليس فقط لاقتناعه بالأسباب التي أخبره بها صهره، ولكن لتأكدَّه من حبه لابنته وثقته في أنها ستكون دائمًا بخير ما دامت مع رجل يحبها بشدة كحب صهره لها.

سافرت ماجدة بصحبة زوجها وولدها ليستقرا بتركيا، وبالفعل نجح أورهان في إيجاد فرصة عمل أفضل من تلك التي كان يشغلها في مصر، وتحسنت حياتهما كثيرًا في سنوات قليلة حتى رُزقا بثاني أبنائهما ياسمين، التي جاءت تحمل الكثير من ملامح أبيها؛ مما جعلها أجمل بنات العائلتين. فقد كانت عيناها كثمرتي زيتون من بلاد الشام يظللهما حاجبان مرسومان بدقة كدقة أنفها الصغير الذي تشعر وكأنه يقف إعجابًا وإجلالًا لجمال تلك الشفاه الممتلئة أسفلها، التي تنافس في حمرتها أشهى حبات الفراولة. ولكن ما زاد جمالها وتميزها حقًا كان ذلك الشعر الأسود الذي ورثته عن أمها؛ ليحيط بوجهها وكأنه خُلقَ ليحرس تلك الملامح الجميلة ويذكِّر من يراها أنها فتاة مميزة تحمل بدمائها من الصفات الشرقية مثلما تحمل من الصفات الغربية.

مرَّت السنوات بالزوجين في سعادة وهدوء، استقرت أحوال أورهان المادية وتحسنت كثيرًا، ألفت ماجدة الحياة في تركيا والتحق الصغيران بمدرستهما وقد أظهرا تفوقًا ملحوظًا منذ الصغر؛ مما كان له بالغ الأثر على والديهما؛ حيث كانا شديدي الحرص على تفوق الصغيرين، ولكن كما يقال: لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن.

تنهدت ياسمين في ألم عند تذكرها بداية مرض والدها وتلك السنوات التي قضاها بينهم يتألم، وهم جميعًا يعلمون أن النهاية قادمة، ولكن يبقى موعدها هو المجهول الوحيد وإن كانوا يعرفون أنه قريب. رفعت وجهها لتنظر في مرآة غرفتها التي ما زالت تجلس أمامها

لترى دمعة تسيل على خدها بعد أن نجحت في الفرار من عينيها الحزينة. أورهان لم يكن فقط أبيها بل كان حبها الأول وصديقها الوحيد، ما زالت تذكر أحاديثهما سويًا عند عودتها من المدرسة كل يوم، ما زالت تذكر اصطحابه لها أينما ذهب. تفتقد نومها بين ذراعيه وصوته الحنون عند احتوائه نوبات غضبها.

نهضت ياسمين من مكانها لترتدي ذلك الثوب الأرجواني الذي وقع اختيارها عليه منذ قليل قبل أن تحكم حزامه حول خصرها؛ مما أظهر تلك الأنثى الكامنة في جسد ممشوق، لتقف بعدها وتلقي نظرة أخيرة على نفسها أمام تلك المرآة التي تعرف الكثير مما تخفيه قبل أن تبتسم لنفسها في أسى وتستدير لتأخذ حقيبتها رافعة رأسها عاليًا استعدادًا ليوم عمل جديد.

ما إن استقلت ياسمين سيارتها حتى ضغطت زر تشغيل الراديو، لتجد نفسها تغني مع حماقي «كفاية حلول وسط لازم نشوف لنا حل»، ثم تتوقف عن الغناء فجأة وتذكرت ذلك اليوم الذي اشتد النقاش بينها هي وأمها وشقيقها بعد رحيل أبيها، عندما أعلنت ماجدة عن رغبتها في العودة بهما للحياة في مصر وكيف صرخت بهما أمهما عندما أعلنا رفضهما لقرارها قائلة:

– أنا ما بحبش الحلول الوسط، هنعيش هنا ليه؟ اللي كان بيربطنا بالبلد دي راح خلاص. يبقى نرجع بلدنا على الأقل نبقى وسط أهلنا.

صمتت ياسمين احترامًا لحزن أمها الذي ظهر بوضوح في دموعها التي انهمرت مع آخر كلماتها ليجيب ياسر قائلًا:

– يا ماما إحنا حياتنا كلها هنا، صحابنا وبيتنا وجيراننا وتجارة بابا الله يرحمه. هنرجع هناك لمين بس؟ وهنعيش منين؟

– الموضوع منتهي يا ياسر، أنا هرجع ولو على تجارة أبوك –الله يرحمه– هنصفيها ونعيش من فلوسها لحد ما ربنا يسهل في مصر.

ألقت ماجدة بنفسها على أقرب مقعد بعد جملتها الأخيرة، وقبل أن ينطق ياسر بكلمة أخرى اجهشت أمه بالبكاء وهي تقول:

– ارحموني يا ولادي، ارحموني أنا مش قادرة أعيش هنا بعده. والله غصب عني، أبوكم دا ما كانش جوزي بس، دا كان أبويا وأخويا وعيلتي كلها. دا أنا سبت حياتي كلها وجيت معاه هنا وإحنا لسه يعتبر عيال، وبدأنا كل حاجة سوا، غصب عني يا ياسر والله غصب عني أورهان دا حتة مني، نفسي اللي كان معيشني.

لم تستطع ماجدة الاستمرار بالحديث أكثر من ذلك، لتترك العنان لدموعها بعدها، وسط ذهول ياسر من تلك المشاعر التي تركت أمه لها العنان للمرة الأولى، وحزن ياسمين على ما حل بهم بعد رحيل أبيها. أسفر ذلك النقاش عن عودة ماجدة بياسمين إلى مصر، حيث قررت أن تلبي رغبة أمها بالرحيل عن تلك البلد التي شهدت قصة حبها لتعود وتكمل دراستها الثانوية بمصر في حين قرر ياسر أن يكمل دراسته الجامعية بتركيا لصعوبة عودته في تلك المرحلة واعدًا أمه بالعودة بعد انتهائه من سنوات دراسته الجامعية، ولكن يبدو أن سنوات دراسته تلك لم تنتهِ بعد.

***

–02–

في إحدى البنايات الشاهقة على كورنيش المعادي، وقفت دينا تستمتع بمشهد النيل الرائع من خلف تلك النافذة العملاقة بمكتبها وهي تستمع لتلك الموسيقي الهادئة ممسكة بفنجان قهوتها اليومي الذي اعتادت أن تتناوله فور وصولها عملها كل صباح. ابتسمت وهي تتذكر كم كانت تكره عملها في بداية زواجها، وكانت تحاول كثيرًا أن تتركه؛ لتتفرغ لزوجها، ولكن في كل مرة كان هو من يقنعها بالتراجع عن قرارها

مبررًا ذلك بأن المرأة التي لا تعمل لا تجد ما يشغلها؛ لذلك تكون أكثر بحثًا عن المشاكل عن غيرها.

لم تكن دينا لتصدق أبدًا أن يأتي عليها ذلك اليوم الذي تحمد فيه ربها أنها لم تترك عملها بعد أن أصبح ملاذها الوحيد من رتابة الحياة في منزلها، لم تكن لتصدق يومًا أن تتحول تلك المشاعر الرومانسية التي جمعت بينها وبين مصطفى والتي توجت بالزواج منذ سنوات إلى مجرد ذكرى.

دينا شكري، حسناء المعادي كما أطلقت عليها ياسمين أورهان، صديقتها التي جمعها بها مكتب واحد في إحدى شركات التأمين العالمية بالقاهرة منذ سنوات. شقراء ثلاثينية، اشتعل قلبها حبًا لمصطفى، ذلك الضابط الشاب منذ دراستها بالجامعة الأمريكية ليتزوجا فور تخرجها. تزوجت دينا وهي تحلم بتلك الحياة الوردية التي ستجمعها بحبها الأول والتي سرعان ما بدأت تتلاشى بمجرد ولادة ابنها الأكبر معتز، لتأتي بعدها ولادة ثاني وأصغر أبنائها زين وتقضي عليها تمامًا.

تحولت حياة دينا إلى سلسلة من الخطوات اليومية الروتينية منذ أن رُزقت بزين، فبعد أن كانت تكره عملها لأنه سبب في ابتعادها عن زوجها لساعات قليلة أيام راحته، أصبحت تنتظر شروق شمس كل صباح حتى تحمل أشيائها وتذهب مبتعدة عن ذلك المنزل الذي أصبحت تشعر وكأنه ليس هو ذات المنزل الذي جمعها بحبيبها منذ سنوات قليلة. تغيّر مصطفى، لم يعد هو ذلك الرجل الذي أحبته، لم يعد هو ذلك الرجل الذي ينتهز أي فرصة ليظهر حبه لها. لم تعد تشعر بهيامه بها كما اعتادت، وكأنه قرر أن يتنازل عن حقه في قلبها لأبنائه. أصبح يوم مصطفى مقسمًا ما بين عمله صباحًا ثم عودته إلى منزله حيث يتناول طعامه مع أسرته الصغيرة ليجلس بعدها صامتًا أمام إحدى الشاشتين؛ إما هاتفه أو التلفاز حتى يحين موعد نومه.

انتفضت دينا حين شعرت بيد أحدهم تربت على كتفها لتلتفتَ وتجد ياسمين تقف مبتسمة قبل أن تحييها قائلة:

– صباح الخير يا دينا، إيه رحتِ فين يا بنتي؟ عمالة أصبح عليكِ وأنتِ ولا هنا.

ابتسمت دينا قائلة:

– معلش غبت شوية مع القهوة والموسيقى، صباح الهنا. هو أنتِ يا بنتي لو جيتِ في معادك تتحرقي؟

ضحكت ياسمين لتتابع دينا وهي تغمز لها بعينيها:

– أمَّال لو جوزك عايش هنا كنتِ هتيجي الساعة كم يا جميل أنت يا شركسي؟!

– اتلمي يا دينا، ما فيش فايدة في قلة أدبك وحياة ربنا.

ضحكت دينا بشدة وهي ترى وجه ياسمين وقد تورَّد خجلًا من تلميحاتها التي اعتادتها صديقتها.

جذبت دينا مقعد مكتبها، وذهبت لتجلس بجانب ياسمين التي كانت قد جلست خلف مكتبها بالفعل وبدأت في توصيل أسلاك حاسوبها الخاص لتبدأ عملها؛ فعلى الرغم من ذهابها دائمًا متأخرة عن موعدها، لكن الجميع يحبونها ويشيدون بتفوقها في إدارة قسم المبيعات بالشركة. جلست دينا بجانبها وقد ألصقت مقعدها بمقعد ياسمين كالأطفال وضحكت متسائلة:

– لا استني نرغي شوية قبل ما تشتغلي الله يكرمك.

– يادي الخيبة، أنتِ يا بنتي مش بتشبعي رغي. ما أنتِ لسة قايلة جاية متأخرة كمان عايزاني أرغي؟

غطت دينا وجهها بكفيها متصنعة البكاء كالأطفال في صمت لتضحك ياسمين وهي تربت على كتفها قائلة:

– طب خلاص ما تزعليش يا ستي، تعالي نرغي شوية ولا يهمك.

رفعت دينا رأسها تبتسم وهي تصفق بكفيها كطفلة قبل أن تقول:

– أيوة كدا، أمَّال يعني إحنا كنا طلبنا من الإدارة نفضل في مكتب واحد ليه إن شاء الله؟ هو أنتِ عمرك شُفتِ مديرة مبيعات بتقعد مع مديرة خدمة عملاء في مكتب واحد؟ دا حتى عيب على الشركة الإنترناشونال اللي إحنا فيها، يلا بس كله فدا شوية الرغي بتوع الصبح دول.

– والله يا دينا أنتِ اللي مهونة عليَّ الدنيا دي، شوية الرغي دول هما اللي بيخلوا الواحد يستحمل يومه. أنتِ مش متخيلة الوحدة وحشة إزاي.

– مش متخيلة إيه؟ ما أنا عايشة فيها يا ياسمين مش متخيلة إيه بس.

– لا يا دينا أنتِ مش زيي، أنتِ مش عايشة بطولك مع ابنك في بلد ما لكيش فيها غير شوية قرايب بالاسم، وحتى ما عرفتيش تعملي فيها أصحاب بعد ما رجعتِ من برا وأنتِ في ثانوي، يا دوب شوية معارف. أنتِ ما جربتيش تلاقي جوزك اللي ما بقاش ليكِ غيره بعد ما تفقدي أمك بيقول لك إنه قرر يسيب مصر ويسافر يشتغل برا شوية رغم إنه مش محتاج السفر دا ماديًا، ولما ترفضي يسافر هو ويرجع لك إجازة كل كم شهر.

شعرت دينا أن صديقتها ليست على ما يرام اليوم فربتت على كتفها وهي تقول لها بحنان:

– اخص عليكِ يا ياسمين، كدا برده بتقولي ما لكيش حد؟! أُمَّال أنا إيه؟ بعد كل صحوبيتنا دي يا بنت أورهان.

ضحكت ياسمين وهي تنظر إلى صديقتها بامتنان لتكمل دينا بجدية قائلة:

– وبعدين مش أنتِ يا ياسمين اللي رفضتِ تسافري مع أكرم؟ حد

يرفض يعيش في دبي ويفضل عايش في مصر؟ بصراحة الراجل له حق يسافر.

– يا دينا أنا عشت حياتي نصها في تركيا ونصها في مصر، والنتيجة إيه؟ ما عرفتش أعمل أصحاب لا هنا ولا هنا، وسواء هنا ولا هناك بحس إني غريبة، ما ليش مكان أحس إني بنتمي ليه. عايزاني أعمل في ابني زي ما حصل لي؟ عايزاني أطلعه وحيد أكتر ما هو يا دينا؟!

لم تجد دينا ما تقوله فاختارت الصمت لتترك صديقتها تبوح بما داخلها.

– مراد ما لهوش حد، أكرم وحيد وأديكِ شايفة ياسر خلاص كدا عمره ما هيفكر يرجع، وكل اللي بينا وبين ولاده الزيارتين اللي بنروحهم كل سنة لتركيا وخلاص. عارفة لو أنا شايفة إن أكرم محتاج السفر دا كنت سافرت معاه، لكن أنتِ عارفة عيلته ماديًا عاملين إزاي، فغير إنه مش محتاج يسافر أصلًا مسيره في يوم هيرجع علشان يمسك شغل باباه بعد عمر طويل. يعني أنا أبقى بضيع عمر ابني لو سافرت وبحكم عليه يعيش وحيد طول عمره.

– طيب اهدي خلاص، عمومًا مش فايتك كتير يعني هما يعني اللي معاهم أزواجهم في البيت كسبوا إيه؟! تعالي شوفي، يا في الشغل يا ماسك الموبايل لما أنا ابتديت أشك إنه حالة توحد، والله يا ياسمين ما بينطق معايا ولا مع الولاد غير لو إحنا اللي بدأنا معاه كلام والرد على قد السؤال. يا بنتي دا أنا ببقى حاسة إني هيجي لي شلل من كتر العصبية مع الولاد ودا ولا كأنه سامعني ولا يرفع راسه من الموبايل يشوف مالنا وأدينا متجوزين عن حب رهيب ما أنتِ عارفة.

ابتسمت ياسمين في أسى لتكمل دينا قائلة:

– قصدي أقول لك يعني إن كله محصل بعضه ما تزعلش نفسك يا شركسي أنت.

ضحكت ياسمين كعادتها دائمًا عندما تناديها دينا بتلك الكلمة، لتنهض بعدها دينا تدفع مقعدها عائدة لمكتبها وهي تتصنع الحزم قائلة:

– كفاية رغي بقى أحسن يفرقونا كل واحدة في مكتب ويلا نشتغل شوية قبل رغي الغدا.

هزت ياسمين رأسها وهي تردد ضاحكة:

– أنتِ مشكلة!

بدأت ياسمين في قراءة بريدها الإلكتروني، وما زالت ابتسامتها تنير وجهها الجميل حتى وجدت رسالة من إحدى موظفات إدارتها تخبرها أن المدير المالي والإداري لإحدى كبرى شركات التغذية يود مقابلتها الشخصية قبل توقيع عقد مع الشركة؛ مما أثار دهشتها لتمسك هاتفها وتطلب الفتاة في مكتبها لتوضيح الأمر.

طرقت الفتاة باب مكتبها قبل أن تفتحه وتقف أمامها قائلة:

– صباح الخير.

– صباح الخير يا رضوى، خير؟ إيه اللي حصل في الاتفاق دا يخلي الراجل عايز يقابلني؟

– والله يا ميس ياسمين الاتفاق كان تمام موافقين عليه وخلاص لحد ما مديرهم المالي دا طلب نعدل في رقم الأقساط، فقلنا له دا مش تخصصنا ولازم موافقة المديرة، فقال لنا تمام ومسك تليفونه طلب الشركة هنا علشان يكلمك وتبعتوا إيميل ونمضي وإحنا هناك.

– وبعدين؟

– بيقول لي أطلب مين في الشركة، فقلت له ياسمين أورهان، فسألني مين قلت له اسم حضرتك تاني، راح قفل الخط وقال لي لا أنا كدا عايز ميعاد أحسن علشان آجي بنفسي وساب معايا الكارت بتاعه علشان نحدد له معاد.

– إيه الراجل الغريب دا؟ طيب وفين الكارت يا رضوى؟

- ثواني يا فندم أجيبه من مكتبي.

تركتها رضوى وذهبت لتحضر لها كارت ذلك الغامض لتبتسم في تعجب متسائلة:

- ودا إيه دا كمان؟

لتجيبها دينا ضاحكة:

- تلاقيه قال يجي يعاكس، أكيد شاف اسمك فحب يجي يستكشف. ما هو طول ما اسمك آخر دلع كدا مش هنخلص من المعاكسة، يلا أدينا بنتسلى.

بترت ياسمين ضحكتها على جملة صديقتها الأخيرة عند عودة رضوى بكارت ذلك المجهول الذي ما إن رأت ياسمين اسمه حتى تلاشت ابتسامتها وهي تقرأه بهدوء وهي لا تكاد تصدق أن يعود ذلك الغائب الآن، والآن فقط.

مراد أحمد أبو غيدة

***

-03-

أمام أحد مصانع الأغذية الكبرى بمنطقة السادس من أكتوبر، هبط ذلك الوسيم ذو البشرة البرونزية والعينين العسليتين، صاحب القوام الرياضي الممشوق مراد أبو غيدة، ليأخذ حاسوبه الخاص من السيارة قبل أن يغلقها متجهًا بعدها نحو مدخل إدارة ذلك المصنع الذي يملكه والده ويشغل هو به منصب المدير المالي والإداري.

همَّ مراد أن يدخل مكتبه، ولكنه عاد ليسأل سكرتيرته إن كان أحدهم قد اتصل من شركة التأمين ليحدد له موعدًا مع مديرة المبيعات هناك أم لا، ولكنها أكدت له أن أحدًا لم يتصل حتى الآن. زفر مراد في ضيق وهو يهز رأسه قبل أن يلتفت ويتركها، ليختفي داخل مكتبه وقد

بدأت الحيرة تسيطر على تفكيره من تأخر اتصالها. أمن المعقول أن تكون ما عادت تذكره؟! أم إنها لم تميز اسمه على تلك البطاقة؟ أم إنها ميزته ولكن قررت ألا تقابله؟

فتح مراد حاسوبه وأخذ يبحث عن اسمها للمرة العاشرة منذ أمس ولكن دون جدوى، لا يوجد حساب باسم ياسمين أورهان على أي من مواقع التواصل الاجتماعي. يبدو أن تلك الفاتنة التي طالما شغلت تفكيره منذ سنوات قررت ألا تترك له أي طريق يستطيع من خلاله الوصول إليها، أغلق حاسوبه في يأس ليعود برأسه للخلف مغمضًا عينيه وهو يسترجع تلك الأيام التي جمعته بها.

على الرغم من تعرفهما عن طريق أحد مواقع التواصل الاجتماعي منذ سنوات لكنه أبدًا لم يشك بأخلاقها، ولم يعاملها كسائر الفتيات اللاتي اعتاد التعرف عليهن بنفس الطريقة. ما زال يتذكر أول لقاء لهما في ذلك المطعم الصيني بالمعادي، وكيف انجذب لجمالها وثقافتها واختلافها عن غيرها، ما زال يتذكر تلقائيتها وبساطتها في الحديث معه؛ حتى إنه شعر وكأنه يعرفها منذ الطفولة. كانت ياسمين تتمتع بخفة ظل لم يعهدها بالفتيات ولكنها كانت تضع حدودًا دائمًا في حوارها معه والغريب أنه لم يحاول قط أن يتخطى تلك الحدود خشية أن يفقد صداقتها يومًا.

تنهَّد مراد وهو يتذكر كيف كان يشعر بحبها له وبمكانتها الخاصة بقلبه، ولكنه لم يتجرأ يومًا ويقول أنه يحبها، شعر بغصة في قلبه وهو يتذكر كيف قَبل بأن يتركها حائرة شهورًا وأعوامًا وهو يعرف أنها تهيم به حبًا، وهو من بخل عليها بكلمة واحدة يعبر بها عن مشاعره لها آنذاك.

فتح مراد عينيه وأمسك بقلمه يعبث به بين أصابعه وهو يحاول أن يجد إجابة ذلك السؤال الذي طالما شغل تفكيره من قبل: «أكان حقًا يحبها؟ أحقًا أحب ياسمين؟ إن كان أحبها فلمَ تركها وتزوج من أخرى؟

وإن كان لم يحبها، لمَ اختار أن يختفي دون أعذار إن كان ما جمعهما مجرد صداقة كما ظل يقنع نفسه لأعوام مضت»؟ لا ينكر أنه أبدًا لم يشعر براحة كتلك التي كان يشعر بها في حديثهما سوى معها، لم تفهمه امرأة سواها حتى يومه هذا، حتى زوجته الثانية التي تزوجها بعد طلاقه بعامين ما زالت لا تستطيع أن تفهمه من نظرة عينيه أو بمجرد سماع صوته على الهاتف مثلما كانت تفعل ياسمين.

قطع صوت تلك الطرقات على باب مكتبه شروده ليجد هويدا سكرتيرته تدخل وعلى وجهها ابتسامة نصر قائلة:

–مستر مراد، رضوى من شركة التأمين اتصلت وحددوا ميعاد لحضرتك مع مديرة مبيعاتهم بكرة الساعة 11 الصبح في مكتبها.

على الرغم من أنه هو من سعى لتلك المقابلة لكنه لا يدري لمَ شعر بتلك الانتفاضة تجتاح قلبه عند سماعه ما قالته هويدا للتو، لم يستطع مراد فهم حقيقة ما شعر به عند علمه أنها قد استجابت لما خطط له وحددت موعدًا قريبًا للقائه. انتبه مراد لهويدا التي ما زالت تقف تنتظر رده على ما قالت، فما كان منه إلا أن أومأ برأسه قائلًا:

– تمام يا هويدا، شكرًا.

ظل مراد شاردًا يفكر في ذلك اللقاء القريب الذي سيجمعه بياسمين صاحبة المكانة الغامضة بقلبه، تلك الفتاة التي أحبته كما لم تحبه فتاة سواها. ياسمين تلك البريئة التي اكتفت بوجوده في حياتها طوال سنوات، وظلت بقربه دون أن تسمع يومًا منه كلمة حب واحدة تطمئنها وتخبرها بحبه لها.

لم يكن مراد يدري وهو يستعجل مرور ساعات يومه حتى يلقاها في اليوم التالي أنّ تلك التي سعى لرؤيتها وهو لا يدري سببًا لذلك، ما إن رأت اسمه على البطاقة ذلك الصباح حتى اغرورقت عيناها بالدموع، ولكنها ظلت تقاوم رغبتها بالبكاء حتى تركت رضوى مكتبها بعد أن أخبرتها بأن

تحدد موعدًا لها معه في صباح اليوم التالي.

ما إن أغلقت رضوى باب المكتب خلفها حتى ألقت ياسمين القلم من يدها وهي تبتسم في أسى هامسة:

– يا الله!

لم تنتبه دينا لما حدث منذ قليل؛ لانشغالها في مراجعة بعض الأوراق أمامها وإجراء بعض الاتصالات الخاصة بالعمل، ولكن ما إن سمعت ياسمين تهمس بشيء لم تتبينه حتى رفعت رأسها لترى رفيقتها تجلس شاردة بعينين دامعتين تعبث ببطاقة أحدهم بين أصابعها؛ مما أثار فضولها لتنهض وتقف بجوار تلك الباكية قبل أن تسألها في دهشة:

– مالك يا ياسمين؟ فيه إيه؟

ابتلعت ياسمين دموعها قبل أن تهز رأسها بنفي قائلة:

– ما فيش حاجة يا دينا، ما تقلقيش. أنا بس موودي مش مظبوط بقى لي كم يوم.

– عارفة يا ياسمين وكل يوم أقول مش هسألك وسايباكِ لما تحبي تتكلمي لوحدك، بس مش هسيبك تعيطي وأستنى بصراحة. هو إحنا لينا إلا بعض؟ ما إحنا لسة قايلين إن شوية الفضفضة دول هما اللي بيسندوا الواحد باقي اليوم.

نظرت ياسمين إلى تلك البطاقة التي ما زالت تمسك بها، فلاحظت دينا أن ذلك الانهيار المفاجئ لصديقتها لم يحدث سوى بعد حديثها مع رضوى منذ قليل، فأخذت البطاقة من يد ياسمين وهي تنظر إليها بتساؤل ودهشة:

– مين دا يا ياسمين؟ أنتِ بتعيطي بسبب الكارت دا؟

لم تجد ياسمين ما تقوله فاكتفت بإيماءة من رأسها فهمت منها دينا ما لم تقدر صديقتها على البوح به لتكمل قائلة:

–كنتم بتحبوا بعض يعني يا ياسمين؟ يا بنتي وهو مين فينا ما مرش

بتجربة حب فاشلة بس؟

– مش قصة حب يا دينا زي ما أنتِ فاكرة، أنا مش عارفة هي كانت إيه بالظبط بس اللي أنا عارفاه إنه أول وأكتر واحد حبيته في حياتي يا دينا رغم إنه عمره ما قال إنه بيحبني.

– نعم؟! لا مش فاهمة معلش، يعني إيه عمره ما قال لك إنه بيحبك يا ياسمين؟

مسحت ياسمين دموعها بيدها قبل أن تعتدل في مقعدها لتكمل:

– بصي يا دينا، أنا اتعرفت على مراد عن طريق الفيس بوك من حوالي تسع سنين، اتكلمنا واتقابلنا. عارفة الناس اللي تحسي إنك تعرفيها من زمان دي من أول مرة تقعدي معاها؟ مراد كان الوحيد اللي حسيت معاه بكدا، شدني جدًا من أول مرة شفته فيها، شخصيته الغامضة كلامه القليل هزاره سكوته لما أتكلم وتركيزه مع أي حاجة بقولها واهتمامه بإنه يناقشني في أي حاجة بحكيها حتى لو هبل، فهماني؟

– فاهماكِ يا ياسمين، كملي..

– حتى شكله، شعره اللي على طول محلوق خالص عنيه العسلي الضيقة الغامضة دي حواجبه التقيلة ولون بشرته البرونزي، كل حاجة فيه كانت عجباني. حتى طوله اللي بزيادة دا كان بيحسسني بالأمان وأنا ماشية جنبه كدا كأني طفلة ماشية في حمايته.

– لا هو باللي بتقوليه دا أنا شخصيًا ممكن أحبه، كمل يا شركسي أنت يا حبيب؟

ضحكت ياسمين على كلمات دينا قبل أن تكمل:

– بس كدا، هو دا مراد في حياتي. فضلنا بنتكلم أنا بحبه بس مستنية يقولها وهو ما قالهاش. فضلت سنين مش قادرة آخد قرار إني أبعد وبدي أعذار كتير لاختفاءه اللي كان بيتكرر كل شوية من غير سبب ورجوعه بعديها برده من غير سبب كنت البنت الهادية اللي حابة دور

إنها الوحيدة اللي بيرتاح معاها ويرجع يتكلم معاها في الآخر. عارفة الهبل دا أنتِ؟

– عارفاه يا ستي ولولا إنها حاجة قديمة أنا كنت خنقتك دلوقتي.

– يا ريتك كنتِ خنقتيني ساعتها والله، المهم يا ستي في مرة من مرات اختفائه دول رجع متجوز.

انتفضت دينا وهي تكرر ما سمعته:

– متجوز؟!

– آه، ومن غير أي تفسير ولا أعذار ولا حتى هو اللي قال لي تخيلي؟ رجع للهبلة اللي بتسمع وتحتوي زي كل مرة من غيرأعذار وبعدها بفترة اكتشفت إنه متجوز ولما سألته..

قاطعتها دينا وهي تسأل:

– أنكر طبعًا؟!

– لا، تخيلي؟ ما أنكرش وأنا قررت أبعد بعدها بدون خناق ولا أي عتاب. اختفيت كدا وخلاص. أصلي هتخانق ليه لما هو عمره ما وعدني بحاجة وحتى كلمة بحبك ما قالهاش.

– الندل، أمَّال بتعيطي ليه دلوقتي بقى؟

– مش عارفة يا دينا، يمكن علشان الموضوع ما تقفلش أو نهايته كانت غريبة أو يمكن علشان هي كانت علاقة ملهاش مسمى مش عارفة. أو يمكن علشان هو كان بيهتم بي بطريقة ما حدش تاني عملها، يعني عمره ما سافر في شغل من غير ما يرجع جايب لي هدية وحاجة هو عارف كويس إني يا بحبها يا محتاجاها، عمر ما حد ركز في تفاصيلي زي ما هو كان بيعمل. اتلخبطت لما عرفت إني هشوفه تاني، مراد لحد دلوقتي له حتة صغيرة كدا جوايا. مش حب والله بس مش عارفة هي إيه يا دينا، من يوم ما اختفيت وأنا بتمنى أشوفه صدفة مثلًا بس عمري ما حاولت أدخل أدور عليه على الفيس بوك وحتى اسمي غيرته على الفيس علشان

ما يعرفش يلاقيني. فهماني؟

– أيوة يا ياسمين، فاهماكِ أوي.

– من يوم ما مستر شريف قال إننا نحاول نتعاقد مع مصانع أبو غيدة وأنا بدعي ربنا ما ياخدش باله من اسمي بس يظهر إن ربنا ماستجابش دعوتي. أنا مش خاينة يا دينا والله العظيم، عمري ما خنت أكرم ولا حتى في تفكيري.

– أنتِ عبيطة يا ياسمين، هو أنا أول مرة أعرفك؟ دا إحنا عشرة سنين يا ماما، خاينة إيه وهبل إيه بس!

– أنا بس خايفة، أنا لوحدي وأكرم بعيد حتى في مكالماته ما أنتِ عارفة ودا كان أول حب ومراد مش سهل خالص هتشوفيه بنفسك. أنا متلخبطة أوي يا دينا ومرعوبة من المقابلة دي خصوصًا إني متأكدة إنه عمل كل دا بس علشان يشوفني لكن الأرقام اللي كانت في العقد ما فيش حد عاقل يعترض عليها.

– ما تقلقيش يا ياسمين، أنتِ ست بـ100 راجل وأنا عارفة كويس إنك هتعدي من المقابلة دي عادي ولا كأن حاجة حصلت، وبعدين هو أصلا ما يستاهلش والله، دا حتى استخسر فيكِ كلمة بحبك واحدة لأ وكمان راح اتجوز من غير مقدمات.

– صح يا دينا، أنتِ صح وأنا لازم أنشف كدا وأقابله عادي ولا يهمني.

– أيوة كدا، قال كان بيهتم بي قال. ما تخلنيش أقل أدبي على الصبح يا شيخة. وقال شركسي قال، أنا اللي أعرفه إن الأتراك دول جامدين كدا وقد الدنيا إنما أنتِ مالك غلبانة كدا؟

– لا ما أنا فيَّ حتة مصري أصلي برده.

ضحكت دينا بشدة قبل أن تجذب ياسمين لتضمها إلى صدرها وتربت على ظهرها لتطمئنها قائلة:

– ما تقلقيش يا ياسو، هتعدي على خير بس أنتِ اجمدي كدا وأنا هنا معاكِ لو لاقيت الدنيا هتفلت منك أو لاقيته بيحاول يستعبط هتدخل ما تخافيش.

ابتسمت ياسمين وهي تدعو أن يكون كلام صديقتها صحيحًا، ولكن بداخلها كان هناك شيءٌ يؤكد لها أن هذه المقابلة لن تمر على خير أبدًا، وأن هناك شيئًا ما بداخلها ما زال يحن لذلك الغائب الذي اختار أن يعود الآن، في أضعف حالاتها.

***

–04–

ما إن دقت الساعة الخامسة مساءً هذا اليوم حتى أمسكت ياسمين حقيبتها وأسرعت تاركة مكتبها لتستقل سيارتها عائدة إلى منزلها مرورًا بتلك الحضانة التي تستقبل صغيرها بعد انتهاء يومه الدراسي حتى موعد عودتها لتصطحبه معها؛ كان الطريق مزدحمًا من المعادي حتى الزمالك، ولكن كان ازدحام رأسها بالأفكار أكبر. ظلت ياسمين طوال طريق عودتها تفكر بعودة ذلك الغائب لا يشغلها سوى سؤال واحد: «لمَ الآن؟ لمَ بعد تلك السنوات يا مراد؟ لمَ وأنا في أضعف حالاتي وأشد أوقات احتياجي لمن يشاركني أيامي خاصة مع غياب أكرم الذي كنت قد قاربت أن أعتاده»؟!

ظلت ياسمين تصارع مشاعرها ما بين افتقاد لا تستطيع أن تنكره لمراد، حبها الأول وربما الوحيد وما بين دهشة من حنينها إليه وبقايا حب تأجج بمجرد عودته رغم كل ما مرت به بسببه وما بين غضب من أن تكون بداخلها مشاعر لرجل سوى زوجها وهي من يعرف عنها الانضباط والالتزام ولولا ثقة زوجها الكبيرة بها لما كان استطاع أن يتركها ويسافر للعمل ببلد آخر. ظلت الأفكار تتقاذفها طوال الطريق فما كان منها لكنها

أمسكت بهاتفها لتتصل برقم أكرم، ذلك الغائب دائمًا علها تجد عنده ما ينقذها من ذلك الصراع بداخلها. رن هاتفه حتى جاء صوته مرحبًا بها بطريقته المعتادة التي تعرف هي أنها لا تحمل أية مشاعر.

– ياسمين وحشتيني.

ابتسامة يائسة تسللت عبر شفتيها بمجرد أن سمعت صوته الذي أوشى بأنها أبدًا لن تجد عنده ما يريحها من عناء ما تواجهه هي وحدها لتجيبه بفتور كفتور علاقتهما.

– وأنتَ كمان يا أكرم، أخبارك إيه؟

– أنا تمام الحمد لله، طمنيني عليكِ أنتِ ومراد. عاملين إيه؟

انقبض قلبها عند سماعها سؤاله عن مراد قبل أن تتذكر أنها أصرت أن تطلق اسمه على صغيرها فور علمها بحملها لصبي لتبتسم قائلة:

– إحنا كويسين.

صمتت ياسمين للحظات وقد بدأت الدموع تتسلل لعينيها قبل أن تكمل بنبرة وكأنها تتوسل إليه قائلة:

– بس محتاجينك معانا يا أكرم، مش كفاية كدا ولا إيه؟

زفر أكرم في ضيق محاولًا إخفاء تبرمه من سؤالها قبل أن يرد قائلًا:

– أنا نازل أجازة قريب يا حبيبتي والله، عارف إنك مضغوطة ومسؤولية مراد كبيرة عليكِ، حقك عليَّ بس أوعدك الأجازة دي نسافر نغير جو علشان ترتاحي شوية ولو حتى عايزة تسيبي لي مراد وتسافري كم يوم لوحدك معنديش مانع.

ابتسمت ياسمين في سخرية لما قاله وكانت على وشك أن تبدأ نقاشًا كثيرًا ما بدأته معه، ولكنها تذكرت نتائجه المعلومة مسبقًا فآثرت أن تستسلم لعلمها بألا فائدة من الحديث أكثر من ذلك لتكتفي بقولها:

– إن شاء الله يا أكرم، مستنينك.

– قولي لي، قررتِ هتسافري لياسر إمتى السنة دي علشان أظبط أجازاتي؟ يعني تحبي الأجازة تبقى في مصر ولا أظبطها على ميعاد سفرك تركيا؟

– كمان؟! لا ظبط أنتَ حسب ظروفك يا أكرم ومش هتفرق بالنسبة لي أصل إحنا بنسافر نشوف أهلنا مش فسحة، فهي مش سفرية بمعنى الكلمة يعني وإحنا رحنا مع بعض كتير فمش هتفرق يا حبيبي حسب ظروفك.

– خلاص هظبط وأقول لك برده يا روحي، سلمي لي على مراد وبوسيه وأنا إن شاء الله هتصل بيكم بالليل علشان أكلمه.

– إن شاء الله، يلا علشان أنا سايقة. باي.

– خلاص ماشي، باي.

ألقت ياسمين الهاتف على المقعد المجاور لمقعدها في عصبية وهي تتمتم في إحباط:«أجازة إيه وسفر إيه يا أكرم؟ ولا عمرك هتفهم أنا عايزة إيه ولا عمرك هتفهم يعني إيه ولا إزاي تبقى موجود في حياتي حتى لو بعيد. نسافر قال، نسافر مع بعض ليه أصلًا؟ ليه»؟

ثم بترت عبارتها وهي تتذكر يوم رحيل أمها وكيف فاجأها مراد بانتظاره لهم بالمسجد ليصلي معهم قبل أن يتوجه بعد ذلك معهم للمقابر وإصراره على البقاء حتى عودتها للمنزل بعدها، بالرغم من انقطاع علاقتها به آنذاك بسبب اكتشافها زواجه بأخرى. تذكرت عندما سألته بفضول في اليوم التالي عن سبب حضوره كيف جاوبها ببساطة!

– علشان أنتِ طلبتِ مني أول ما عرفنا بعض إني أبقى موجود جنبك لو مامتك الله يرحمها جرى لها حاجة، قلتِ لي أنا لوحدي ومرعوبة من اللحظة دي ومش متخيلة أنا هبقى عاملة إزاي لو ماما كمان سابتني ومعنديش غيرك أسند عليه، فاكرة؟!

– فاكرة بس أنا ماتصلتش بيك حتى يا مراد، ما طلبتش منك تيجي.

– من غير ما تطلبي يا ياسمين، أنا فاهمك أكتر من نفسك وعارف بتبقي محتاجة إيه امتى بالظبط. تفتكري أنا ممكن أعرف حاجة زي دي ومابقاش موجود جنبك؟ تفتكري ما كانش المفروض آجي وأنا عارف ومتأكد إن ما لكيش غيري؟ وحتى لو ليكِ فأنا عارف إنك مش محتاجة حد غيري تسندي عليه. أنا موجود يا ياسمين، جنبك وفي ضهرك وقت ما تحتاجيني.

ابتسمت ياسمين وهي تستعيد ذلك الحديث بينهما وكيف انتهى بعودة ظهوره بحياتها وكيف عاد حبه يدق بقلبها وقتها أكثر من أي وقت مضى حتى اختارت هي بعد شهور قليلة أن تختفي من حياته للأبد، أو كما كانت تتمنى حتى عاد الآن، وكأنه يأبى إلا أن يتركها وحدها تقاوم أفكارها ومشاعرها المتأرجحة بين حبها وافتقادها له وبين وفائها وإخلاصها لوحيدها وزواجها لا زوجها.

على باب الحضانة وقفت تنتظر ذلك الصغير الذي خرج يجري حتى ارتمى بحضنها مهللًا كعادته:

– ماما!

ضحكت وضمته بقوة إلى صدرها قبل أن تقول:

– حبيب ماما يا روحي أنت، وحشتني أوي أوي. وحشتني يا مراد.

قالت جملتها الأخيرة وهي تبتسم لنفسها فهي لا تدري أي المرادين افتقدت أكثر.

مر باقي يوم ياسمين هادئًا بطيئًا لا يحمل جديدًا؛ فزحام الأفكار برأسها كان يكفيها حتى نام صغيرها دون أن يعاود زوجها الاتصال بها كما توقعت. استلقت هي بفراشها مستيقظة تحاول أن تتجاهل ذلك القلق الذي بدأ يزداد كلما اقترب موعد ذلك اللقاء. أمسكت هاتفها ولأول مرة منذ سنوات أخذت تبحث عن اسمه بموقع التواصل الاجتماعي الأشهر لتجده سريعًا نظرًا لتميزه، انقبض قلبها عند رؤيتها صورته للمرة الأولى

منذ سنوات. اه يا مراد، ما زلت تسكن ذلك المكان البعيد بالقلب.

حاولت أن تبحث عن أية معلومات شخصية عنه، ولكن يبدو أنه ما زال كعادته غامضًا لا يشرك أحدًا تفاصيل حياته الشخصية، ظلت تتطلع لصورته في هاتفها بعض الوقت في صمت قبل أن تغلق الهاتف، وهي تذكر نفسها أن ما تفعله لا يليق بها ولا يستحقه منها ذلك الصغير النائم بجواره، حتى إنها قررت أن تقاوم رغبتها في أن تفتح خزانة ملابسها لتختار ما ترتديه في اليوم التالي، حتى لا تترك لنفسها فرصة لاختيار شيء مميز له، وقررت أن تنام مباشرة على أن تختار ملابسها في الصباح.

استقل مراد حافلة مدرسته في الصباح كعادته لتعود ياسمين إلى غرفتها مسرعة، وتقف أمام خزانة ملابسها حائرة فيما ترتدي في ذلك الموعد، حتى استقر رأيها على فستان برتقالي كلون قرص شمس يستعد للغياب في مياه بحر مدينة ساحلية. وقفت تتطلع لنفسها في المرآة بذلك الفستان ذي الأكمام القصيرة الذي وقف عند حدود ركبتيها بارزًا أنوثة طالما فشل كل من حولها في تجاهلها بعد أن وضعت بعض مساحيق التجميل البسيطة، وتركت شعرها منسابًا خلف ظهرها عن عمد لتأخذ بعدها حقيبتها وتذهب مسرعة لعملها كي لا تتأخر عنه مثل كل صباح.

أغلقت خلفها باب مكتبها لتبتسم لدينا التي كانت تجلس في انتظارها:

– صباح الخير يا دينا.

– صباح الفل يا روحي، أخبارك إيه؟!

ابتسمت ياسمين لما يعنيه سؤال صديقتها قبل أن تجيبها:

– الحمد لله كله كويس.

ظلت دينا صامتة تنظر إلى ياسمين مبتسمة قبل أن تكمل الأخيرة قائلة:

– ما تقلقيش عليَّ أنا كويسة، عادي يعني زيه زي أي عميل. مقابلة

وهتعدي.

– أتمنى يا ياسمين، وهي لازم تبقى كدا علشان حاجات كتير، أهمها إنه ما يستاهلش أصلًا والله.

– صح يا دينا، والله ما تقلقي.

– طيب ما دام كدا بقى أنا للأسف عندي اجتماع الساعة 10، فغالبًا مش هحضر المقابلة دي يا ياسمين، مع إني كنت هموت وأبقى موجودة علشان أعدله لو اتعوج.

ضحكت ياسمين قائلة:

– لا خالص، أولًا مراد مش من النوع اللي ممكن يحرج نفسه أبدًا، فعمره ما هيحاول يتعوج قدامك، ثانيًا ولا يهمك أنا قدها، روحي أنتِ اجتماعك واطمني عليَّ.

ربتت دينا على ظهر صديقتها قبل أن تعود لتجلس على مكتبها وتبدأ عملها قبل أن تغادره في العاشرة لحضور ذلك الاجتماع وتترك خلفها ياسمين وحدها فريسة للقلق حتى دقت الساعة الحادية عشر وطرقت رضوى بابها لتخبرها بوصول مراد أبوغيدة وانتظاره بالخارج.

على الرغم من معرفتها بتلك المقابلة منذ أمس، إلا أنها شعرت وكأن رضوى على وشك سماع دقات قلبها بعد أن أخبرتها بحضوره بالخارج، انقبض قلب ياسمين وتسارعت دقاته عند علمها أن ذلك الباب هو فقط ما يفصل بينهما الآن، وأنه سيقف أمامها بعد لحظات قليلة، حاولت السيطرة على مشاعرها المتضاربة سريعًا لتقف قائلة لرضوى التي ما زالت تقف أمامها:

– خليه يتفضل طبعًا.

ما إن غادرت رضوى حتى فتح الباب وظهر عبره ذلك الرجل الذي ما دق قلبها يومًا لسواه، ظهر مراد أبو غيدة حبها الوحيد أمامها بقميص أزرق كلون سماء صافية يحمل تلك العلامة التجارية الشهيرة التي طالما

فضل ارتدائها على بنطلون رمادي. وقف مراد أمامها مبتسمًا كأول مرة رأته بها مادًا يده لها ليصافحها قائلًا بعذوبته التي افتقدتها كثيرًا:

– إزيك يا ياسمين؟

ابتسمت ياسمين وهي لا تدري ما تقوله، فما كان منها إلا أن مدت له يدها لتصافحه قبل أن تشد يدها منه وهي تشير لمقعد أمام مكتبها قائلة:

– إزيك يا مراد، اتفضل.

تحرك مراد باتجاه المقعد المشار إليه قبل أن يمد يده الأخرى واضعًا شيئًا ما على مكتبها لم تلاحظ حمله إياه عند دخوله لتعقد حاجبيها في دهشة قائلة:

– إيه دا؟

– بصي جوا الشنطة طيب.

كطفلة صغيرة يوجهها والدها، نظرت ياسمين بداخل تلك الهدية الموضوعة على مكتبها لتجدها علبة من الشيكولاتة السويسرية المفضلة لديها لتسمع صوته قائلًا قبل أن ترفع رأسها إليه:

– أعتقد لسه بتحبيها يا ياسمين.

***

–05–

ما إن رآها أمامه بعد كل تلك السنوات، حتى اكتشف مراد أن كل محاولاته في الليلة السابقة لإعداد نفسه لهذا اللقاء قد باءت بالفشل.

وقف مراد يتطلع إليها وهي تنظر إلى هديته وهو لا يجد ما يقول بعد أن رأى بعينيها تلك النظرة التي اعتاد رؤيتها في السابق.

لم يتغير شيء بتلك الفاتنة الواقفة أمامه، بل ربما زادت جمالًا ونضجًا الآن، ما زالت عيناها تلمعان عند رؤيته وما زالت تحاول أن

تتحاشى نظراته المباشرة لعينيها حتى تخفيها.

شعر مراد بخجلها ودهشتها من هديته ولمس أيضًا محاولاتها في أن تبدو وكأن ما كان بينهما سوى صداقة عابرة فقرر أن يمسك هو بدفة الحوار، ليبدأ حديثه ببساطة قائلًا:

– أنا قلت ما يصحش أدخل بعد كل السنين دي وايدي فاضية.

شعرت وكأن كل ما بها ينتفض وهي تحاول أن تخفي اشتياقها له فأتى صوتها كالهمس وهي تجيب:

– تعبت نفسك، ميرسي يا مراد.

– ما فيش تعب ولا حاجة، المهم إنك تكوني لسه بتحبيها بس.

فهمت ما يلمح له لتجيب باختصار وهي تحاول أن تكسو ملامحها الجدية:

– ميرسي على ذوقك، هي كل الناس بتحبها عمومًا.

ابتسم مراد لردها الدبلوماسي قبل أن يعتدل في مقعده لينظر إليها، مما أصابها بارتباك لتسرع قائلة:

– تشرب إيه يا مراد؟

– زي اللي بتشربيه بس لو فاكرة أنا باخده من غير لبن.

ابتسمت ياسمين وتورد وجهها وهي تمسك بهاتف مكتبها الداخلي قائلة:

– اتنين نسكافيه واحد بلبن وواحد بلاك سكرهم مظبوط.

ما إن وضعت سماعة الهاتف حتى ضحك مراد بانتصار قائلًا:

– طلعتِ لسه فاكرة يعني زي ما أنا لسه فاكر.

نظرت إليه ياسمين في تحدٍ لتقول:

– مشكلتي إن ذاكرتي قوية للأسف، مش بعرف أنسى حاجة يا مراد.

شعر بالألم بعد جملتها الأخيرة فهو يعلم أنها أبدًا ما نسيته وما إن

رفع عينيه لها وهمَّ بقول شيء ما حتى وجدها تعتدل في مقعدها وتمسك ببعض الأوراق قائلة:

– ها إيه اللي مش عاجبك في الاتفاق بقى يا مراد؟ بس قبل ما ترد أحب أقول لك إنكم واخدين عرض ماحدش شافه قبلكم، وأنا عمري ما هغيره علشان بس نبقى متفقين من قبل ما ندخل في جدال.

ابتسم مراد في ثقة قائلًا:

– وهو مين اللي قال إني هنا علشان أجادل أو أفاصل يا ياسمين؟

عقدت ياسمين حاجبيها وهي تتساءل بعفوية قبل أن تنتبه أنها تعرف إجابة سؤالها منذ طلب تحديد ذلك الموعد معها.

– مش فاهمة، أمال أنتَ هنا ليه يا مراد؟

– طول عمرك ذكية، فما تحاوليش تقنعيني إنك بجد مش عارفة إجابة سؤالك.

– ما هو علشان أنا ذكية وفاكرة كويس إنك برده عمرك ما كنت راجل ذكاؤه قليل مش متخيلة إنك هنا علشان أي حاجة تانية غير الاتفاق اللي بين شركتنا ومصنعكم.

– لا في، أنا دورت عليكِ كتير أوي زمان ولما سمعت اسمك من البنت اللي جت لنا المصنع ما كنتش مصدق إني ألاقيكِ بعد كل دا. بس أصل مافيش ياسمين أورهان تاني في مصر أكيد فطلبت أقابلك.

– طيب بص يا مراد، لأني زي ما أنت عارف مش غاوية لف ودوران ولا شاطرة فيه.

– عارف وأنا مش هنا علشان ألف وأدور يا ياسمين، إحنا كنا صحاب زمان أو زي ما تسميها، وأنتِ اختفيتِ ولما عرفت مكانك حبيت أشوفك علشان فعلًا وحشتيني.

ظلت ياسمين صامتة تعبث بقلمها دون أن ترفع عينيها لتنظر إلى ذلك الجالس أمامها يتأملها وهو يعزف على أوتار قلبها بكلماته دون أن

يدري قبل أن يكمل قائلًا:

– أنتِ اختفيتِ فجأة يا ياسمين وحتى الفيسبوك قفلتيه وغيرتِ رقمك وكأنك قررتِ تمحيني من حياتك.

– لا هو أنتَ اللي محيتني من حياتك لما اخترت تتجوز من غير حتى ما تلمح لي عن الموضوع، وأنتَ أساسًا يا مراد كنت يوم موجود وعشرة لأ.

فتح مراد فمه على وشك أن يجيبها قبل أن تحسم هي النقاش قائلة:

– مراد، أنا ست متجوزة دلوقتي والكلام دا مش مجاله خالص.

لم يبد على ملامحه الاندهاش مما قالت ليعلق بعفوية، وما زالت على وجهه تلك الابتسامة الهادئة:

– أكيد، من أول ما عرفت مكانك وأنا عارف. واحدة زيك مستحيل تبقى سينجل لحد دلوقتي، غير لو كل الرجالة بقوا أغبيا زيي، حتى لما دخلت وشفت إيدك ما فيهاش دبلة قلت أكيد مش لبساها بسبب الحساسية اللي عندك.

– أنتَ لسه فاكر؟!

– عمري ما نسيت أي حاجة تخصك، صدقيني أنا عمري ما نسيتك ولا نسيت أي حاجة ليها علاقة بيكِ.

لاحظ ارتباكها فأكمل محاولًا تغيير الحديث:

– خلفتِ؟

– آه الحمد لله، عندي ولد.

– ربنا يخليه لك، اسمه إيه؟

قطع دخول دينا عليهما حديثهما لتبتسم عند رؤيتها مراد جالسًا أمام صديقتها قبل أن تقول:

– صباح الخير، معلش دخلت من غير ما أخبط، ما كنتش أعرف إن في حد هنا غير ياسمين. أنا دينا، وأكيد حضرتك مستر مراد أبو غيدة، مظبوط؟

أيقنت دينا أنها أفرطت في الحديث مع مراد من نظرات صديقتها المرتبكة وابتسامته ذات المغزى لكلماتها لتكمل قائلة:

– رضوى قالت إن حضرتك طالب ميعاد علشان معترض على الاتفاق، يا ترى ليه؟

– لا أبدًا، أنا بس كنت فاهم حاجة غلط ومدام ياسمين صححتها لي. الاتفاق زي ما هو وأنا همضيه بنفسي حالًا قبل ما أمشي كمان.

اتسعت ابتسامة دينا قبل أن تقول:

– طيب دي حاجة عظيمة جدًا، اتشرفت بمقابلة حضرتك مستر مراد. بعد إذنكم بس، أنا كنت داخلة آخد ورق مهم وراجعة الاجتماع على طول. إن شاء الله ما تندمش على توقيعك مع شركتنا، باي.

ما إن أغلقت دينا باب المكتب خلفها حتى التفت مراد لياسمين قائلًا:

– ظريفة دينا، بس أنتِ أعقل منها.

– هي تلقائية جدًا وبتاخد على الناس بسرعة بس طيبة وبنت ناس.

أومأ مراد موافقًا قبل أن يرفع رأسه وكأنه تذكر شيئًا هامًا ليقول:

– طيب، مش نمضي العقد قبل ما أنسى وأمشي وتلاقيني راجع لك بكرة تاني.

ضحكت ياسمين في خجل قبل أن تمسك بالأوراق الموضوعة أمامها لتقدمها إليه قائلة:

– لا هنمضيه أكيد، اتفضل.

أمسك مراد منها الأوراق وأخذ يوقعها واحدة تلو الأخرى قبل أن يعيد عليها السؤال دون أن يرفع رأسه عن الأوراق:

– ما قلتليش، ابنك اسمه إيه؟

تظاهرت ياسمين بانشغالها في بعض الأوراق أمامها وكأنها لم تسمعه حين سألها ليبتسم هو بخبث قبل أن يمد يده لها بالعقد بعد

توقيعه ضاحكًا في صمت لتسأله في فضول:

– بتضحك على إيه؟

– بضحك علشان فاشلة لما بتحاولي تبقي خبيثة وتعملي قال يعني مش واخدة بالك. مش عايزة تقولي لي إنك سميتِ ابنك مراد قولي أي اسم تاني، هو أنا هدور وراكِ في السجل المدني يعني!

تدافعت دماء الخجل إلى وجهها عند سماعها لما قال وكيف أنه عرف إجابة سؤاله دون أن تجيبه لتسأله حائرة:

– أنتَ عرفت إزاي؟

– من وشك يا ياسمين، أنتِ ليه مش عايزة تصدقي إني فاهمك أكتر من نفسك وإني ما نسيتش أي حاجة تخصك. أقول لك حاجة تانية؟

ظلت تنظر إليه في صمت ودهشة تنتظر أن يكمل ليضيف هو:

– أنتِ مش سعيدة، وعلاقتك بجوزك مش تمام من ساعة ما وصلت لا اتصل بيكِ ولا حتى بعت حاجة على الواتس آب مثلًا. وشك نور لما شفتِ الشيكولاتة كأنك نسيتِ يعني إيه حد يجيب لك هدية مفاجأة.

لم تجد ياسمين ما تقوله فقط ظلت صامتة تدعو داخلها أن يسرع بالاختفاء من مكتبها، فقد كانت على وشك البكاء، كيف استطاع أن يعرف عنها كل ذلك وهو من غاب عنها سنوات؟ كيف استطاع أن يحرك أحاسيس داخلها كانت تظن أنها ذهبت بلا عودة منذ وقت طويل؟ رفعت عينيها الجميلتين إليه وكأنها على وشك أن ترجوه أن يتركها ويذهب ليحسم هو حيرتها بقوله:

– دا كارتي يا ياسمين، ومش هطلب منك رقمك بس عايزك تعرفي إني موجود وقت ما تحتاجيني. أنا في ضهرك لآخر يوم في عمري، أي وقت تحسي إنك لوحدك أو عايزة سند أنا موجود.

بعينين مليئتين بالدموع، رفعت ياسمين وجهها لتنظر إليه بامتنان ليكمل هو مادًا إليها يده:

– دا الكارت بتاعي بكل أرقام تليفوناتي حتى الخاصة مش بتاعة الشغل، أي وقت تحتاجيني كلميني. أنا دايمًا موجود علشانك.

أومأت هي برأسها في صمت قبل أن يقف عن مقعده معلنًا عن قراره بالرحيل بقوله:

– يلا أنا همشي دلوقتي، وبرده عندي أمل إنك هتكلميني قريب.

مد يده لها مصافحًا لتترك هي يدها له للمرة الأولى منذ عاد قائلة:

– مع السلامة يا مراد.

– باي يا ياسمين، مستنيكِ.

ما إن أغلق مراد خلفه باب مكتبها، حتى انهارت ياسمين باكية على مقعدها. وضعت رأسها على مكتبها تبكي ضعف قلبها أمام من اختار سواها قديمًا وعاد ليعبث بحياتها الآن، تبكي ذلك القلب الذي اكتشفت هذا الصباح أن دقاته ما زالت تعلو عند رؤية ذلك الغامض الذي يقرر وحده دائمًا متى يغزو أيامها ومتى ينسحب.

بكت ياسمين كثيرًا بعد رحيله حتى رفعت رأسها تبحث عن هاتفها، لتطلب رقم ذلك الغائب الذي لا يحاول أن يبذل أي جهد ليشغل ذلك المكان الذي ظن أنه بزواجه منها فقط قد احتله. أمسكت ياسمين بهاتفها لتطلب أكرم، وكأنها ترسل له رسالة استغاثة لينقذها من قصة حب قديمة ما زالت خيوطها تغزل بقلبها حتى اليوم، ليأتي صوته باردًا كالعادة:

– أيوة يا ياسمين، وحشتيني.

جاء صوتها ضعيفًا مستسلمًا لأول مرة منذ عرفها:

– أيوة يا أكرم، أنتَ كمان وحشتنا أوي ومحتاجينك أوي أوي يا أكرم.

– مالك يا ياسمين؟!

في محاولة بائسة لأن تمنع تلك الدموع التي تجمعت بمقلتيها من

الانهمار أجابت بصوت باكٍ:

– تعبانة يا أكرم ومحتاجة لك، زهقت من غيابك وتعبت، بجد تعبت ومش قادرة أستحمل أكتر من كدا حاول يا أكرم أرجوك تنزل ولو حتى أجازة قصيرة.

زفر أكرم في ضيق وكأنما قد سئم محاولاتها في إقناعه بالعودة ليجيبها بصوت بارد يملؤه الملل:

– حاضر يا ياسمين، هحاول آخد أجازة قريب حاضر بس معلش مضطر دلوقتي أقفل معاكِ علشان أنتِ مكلماني في ميعاد الشغل وهرجع أكلمك تاني.

– آه آسفة، باي يا أكرم.

– باي يا حبيبتي.

أغلق الخط وبقيت هي تنظر إلى الهاتف بيد ولتلك البطاقة التي تحمل أرقام هواتف من رحل منذ قليل بيدها الأخرى وهي تهمهم قائلة:

– غبي يا أكرم، أنتَ غبي.

ألم يعتصر قلبها وهي تقارن زوجها الذي يعتذر ليغلق الخط وهي تنهار تطلب عودته، وبين من كان يؤكد لها أنه موجود من أجلها متى احتاجته رغم مقاومتها له. شعرت برغبتها في البكاء تتجدد، ولكنها قاومتها هذه المرة، وهي تتساءل إلى متى ستظل صامدة أمام دقات قلبها التي ما زالت تعلو كلما تذكرت ذلك الذي ترك عطره خلفه يملأ مكتبها وهي ما زالت تكرر:

– غبي يا أكرم.

***

–06–

لا تعرف كم مر عليها من الوقت وهي تبكي بمكتبها، حتى شعرت بيد دينا تربت على كتفها قبل أن تسألها بقلق:

– ياسمين، مالك؟ فيه إيه؟

ما إن رفعت ياسمين رأسها بوجه تكسوه الدموع حتى شهقت دينا في صدمة قبل أن تضمها بقوة محاولةً تهدئتها قائلة:

– فيه إيه بس؟ يا خبر يا ياسمين، أنا ما كنتش متخيلة إن الموضوع كبير أوي كدا. والله لو كنت أعرف كنت اعتذرت عن الاجتماع وفضلت معاكِ، اهدي طيب وفهميني إيه اللي حصل؟ هو مراد دا قال لك حاجة تضايقك؟

حاولت ياسمين أن تهدأ قبل أن تزيل آثار الدموع عن وجهها وهي تقول:

– ما فيش حاجة حصلت يا دينا، مراد ما قالش أي حاجة تضايق، أنا بس اللي طلعت ضعيفة أوي ومش مستحملة.

بترت ياسمين عبارتها لتمد يدها وتمسك بالشيكولاتة التي أهداها إياها ذلك الذي كان سببًا في انهيارها هكذا لتدفعها لرفيقتها قائلة:

– بصي يا دينا، بصي مراد جاب لي إيه! تخيلي لسه فاكر نوع الشوكولاتة اللي بحبها؟ تخيلي أخد من وقته إنه يفكر يجيب لي إيه معاه وأخد من وقته وراح جابها لي؟! أنا كنت نسيت الإحساس دا من زمان يا دينا، كنت نسيت الحاجات دي من زمان. أنا حتى كنت نسيت إني بحب الشوكولاتة دي أصلًا والله العظيم.

ابتلعت دينا ريقها بصعوبة قبل أن تقول وهي تنظر مباشرة بعيني صديقتها:

– طيب وإيه يعني جاب لك شوكولاتة؟ طبيعي يعني يا ياسمين يعمل كدا وهو جاي أصلًا يشوفك، بقول لك إيه مراد دا غير أي حاجة في العقد قبل ما يمضي؟

– لأ.

– اتكلم أصلًا في أي حاجة تخص الشغل في المقابلة كلها؟

– لأ يا دينا.

– ما أنا عارفة، هو يا حبيبتي مش طالب الميعاد علشان العقد ولا الكلام دا في دماغه أساسًا. طيب أقول لك على حاجة، لو كنا ضاعفنا مبلغ الأقساط في العقد كمان كان هيمضي برده.

نظرت إليها ياسمين باستغراب لتكمل هي:

– جرى إيه يا ياسو، دا أنتِ طول عمرك بقول عنك إن دماغك توزن بلد بعشرة مني. هو يا حبيبتي عمل كل دا علشان يوصل لك؛ فطبيعي يعني يجيب شيكولاتة ويجيب دهب كمان، هو أنتِ شوية؟! دا أنتِ واحدة قمر واختفت زمان فجأة وبقى له سنين مش عارف يوصل لها وهو كان ضامنك علشان عارف كويس أوي إنك كنتِ بتحبيه. يبقى يرجعك إزاي؟! ما هو بالشويتين دول.

– تفتكري بس علشان كدا يا دينا؟

– آه طبعًا، هو لو بيحبك ما كانش ضيعك منه زمان يا ياسمين، وبعدين أنتم مش مثلًا اتخانقتوا فبعدتِ؛ لأ دا راح اتجوز وسابك، دا بقى غير إنه أساسًا ما قالش لك أصلًا إنه بيحبك قبل كدا.

أومأت ياسمين برأسها في استسلام لتضمها دينا قائلة:

– أنتِ بس دخلته بالشوكولاتة خلت دماغك تلف، إنما هو والله يا بنتي على رأي أستاذ أنيس عبيد وغد حقير.

ضحكت ياسمين على جملة صديقتها الأخيرة قبل أن تدفعها برفق لتحرر رأسها من ضمتها قائلة:

– تيجي نخرج بعد الشغل شوية؟ أنا مش عايزة أروح يا دينا وأقعد لوحدي النهاردا.

– أنا تمام، بس هتعملي إيه في مراد؟

عقدت ياسمين حاجبيها في دهشة متسائلة عما تعنيه رفيقتها بسؤالها عنه لتضيف دينا وهي تبتسم بخبث:

– ابنك، مراد ابنك يا شركسي، ما توترنياش الله يكرمك.

– آه، هعمل إيه يعني هجيبه معانا هوديه فين. ولا أقول لك ما تيجي نتغدى عندي ونقعد نعمل أي حاجة بعد الغدا أو حتى نقعد في البلكونة نشرب حاجة.

صمتت دينا تفكر في عرض صديقتها لتكمل ياسمين في توسل:

– خليكِ جدعة بقى ووافقي، بجد يا دينا مش عايزة أفضل لوحدي النهاردا أنا والشوكولاتة.

ضحكت دينا بصوت عالٍ لتلميح من كانت تظن أنها أقوى النساء لتعلن موافقتها أخيرًا قائلة بحماس:

– خلاص موافقة بس تطلعي الشيشة بتاعت أكرم وتسبيني براحتي في البلكونة بعد ما ابنك ينام.

– خلاص موافقة، مع إنك بتستغلي الظروف بس ماشي عينيَّ.

ضحكت دينا وهي تربت على يد من لا زالت آثار الدموع تكسو وجهها قبل أن تقول ضاحكة:

– ما تفتحي الشوكولاتة بقى ويلا بينا.

قضت ياسمين باقي يومها بصحبة صديقتها الوحيدة ورفيقة عملها دينا بمنزلها كما اتفقتا. تناولتا طعامهما سويًا بصحبة الصغير ثم ذهبت ياسمين لتنظيف أطباق الغداء، فيما جلست دينا تساعد مراد على أداء واجباته المدرسية حتى حان موعد نومه لتفي ياسمين بوعدها وتجلسان سويًا بشرفة منزلها بعد أن أحضرت لها شيشة زوجها.

كانت ياسمين تجلس في صمت بجانب صديقتها تفكر في تلك البطاقة التي لم تنسَ أن تضعها بحقيبتها قبل انصرافها من مكتبها قبل ساعات قليلة، لم تستطع أن تجيب على ذلك السؤال الحائر بعقلها منذ قررت ألا تتركها حيث وضعها وحرصت على أن تأخذها معها: «إن كانت حقًا لا تنوي الاتصال به، فلمَ حرصت على إحضارها معها والاحتفاظ

بها»؟ قطع عليها تفكيرها صوت دينا تسألها:

– ياسمين، تفتكري مراد دا لسه متجوز؟

أثار سؤال دينا دهشتها لتنظر إليها في فضول وهي تكرر ما قالته صديقتها:

– لسه متجوز؟ أنتِ إيه اللي خلاكِ تفكري إنه مثلًا يكون مش متجوز دلوقتي؟

رفعت دينا كتفيها في لامبالاة وهي تنظر في الفراغ أمامها قائلة:

– مش عارفة، مجرد إحساس. أصل مثلًا لو متجوز، إزاي يديكِ رقمه الخاص ويقول لك كلميني أي وقت. يعني على الأقل هيقلق لتكلميه فعلًا وتعملي له مشاكل مع مراته.

استدارت ياسمين على مقعدها باتجاه صديقتها لتسألها وقد ظهرت على وجهها علامات الاهتمام:

– تفتكري طلقها يعني؟!

– أو على أقل تقدير بينهم مشاكل أو مش عامل لها اعتبار أساسًا، بصي في كل الأحوال ما فيش راجل باقي على مراته يدي رقمه لست تانية ويقول لها كلميني في أي وقت من غير ما يخاف.

برغم علمها أنه لا فرصة لعودتها له لكنها وجدت نفسها تبتسم لما قالته دينا وهي تقول في فرحة لم تحاول إخفائها:

– تفتكري فعلًا يكون طلق؟!

– لا أكيد ماعرفش يا ياسو، بس هتفرق في إيه يعني؟! اجمدي يا ياسمين، وافتكري إنه هو متجوز أو مطلق مش هتفرق معانا علشان أنتِ أصلًا متجوزة.

صمتت دينا لحظات قبل أن تكمل وكأنها تركت أفكارها تتحدث دون سيطرة منها:

– وعارفة بقى، حتى لو أنتِ مش متجوزة وهو مش متجوز كنت

هقول لك برده اوعي ترجعي له، علشان زي ما قلت لك هو وغد وحقير.
ماشي يا ياسمين، وغد وحقير.

نطقت دينا كلماتها الأخيرة وهي تغمز بعينها لصديقتها التي أومأت برأسها في هدوء وهي تبتسم لتعلن موافقة زائفة لما قالته صديقتها.

عكس ما توقعت ودون عناء استغرقت ياسمين في النوم مباشرة بعد أن تركتها دينا وغادرت، لتستيقظ في اليوم التالي وهي تشعر براحة كبيرة لعدم تفكيرها به الليلة السابقة. كعادتها كل صباح ودعت وحيدها بعد أن استقل حافلة مدرسته وعادت في آلية وسرعة لترتدي ملابسها وتستعد للذهاب إلى عملها وكأنها تهرب من التفكير به.

استقلت ياسمين سيارتها في طريقها لعملها وقد بدأ مراد يتسلل لتفكيرها في مقاومة منها أرهقتها كثيرًا، ظلت طوال طريقها تحاول انتزاعه من أفكارها ولكن دون جدوى. احتلت ذكرياتها معه تفكيرها وعادت تهاجمها بقسوة ممزقة قلبها بين رجل أحيا حبه داخلها بمجرد رؤيته، وآخر باءت كل محاولاتها معه لخلق مشاعر بقلبها له بالفشل. تشعر أنها تكره أكرم الآن كثيرًا لغيابه وتركها فريسة لصراع مشاعر لم تفلح السنوات الطوال في القضاء عليها.

أمسكت هاتفها تحدث أكرم كعادتها كلما أحست بضعفها نحو مراد، طلبت رقمه وهي تتمنى داخلها أن يمنحها هذه المرة ما تحتاجه حقًا ليأتي صوته على الهاتف مجيبًا في آلية باردة:

– صباح الخير يا ياسمين، أخبارك إيه؟

– صباح الخير يا أكرم، أنا كويسة. هو أنا لو ما كلمتكش ما تفكرش تتصل أنتَ تطمن علينا أبدًا؟ إحنا مش بنوحشك طيب؟

سألته زوجته سؤالها الأخير بعتاب في محاولة لدفعه لقول ما تود هي سماعه ولكن جاء رده مخيبًا لآمالها ليرد أكرم بغضب:

– يوووه يا ياسمين، أنتِ ما فيش مرة تكلميني فيها غير لما تحسسيني

إني سايبكم وناسيكم ومش بسأل عليكم.

قاطعته هي في ضعف وكأنها تحاول إخباره أن غضبه هو آخر ما تريد الآن لتسأله:

– وهو دا مش بيحصل فعلًا يا أكرم؟!

ليكمل هو بنفس الغضب وكأن صوتها لم يلفت انتباهه:

– لا مش دا اللي بيحصل يا ياسمين، مش فاهم أنتِ مكلماني إمبارح وأول وجاية النهاردا الصبح تلوميني إني مش بتصل أسأل عليكم. اللي هو إزاي يعني؟! وبعدين أنتِ أساسًا اللي رفضتِ تسافري معايا من الأول يبقى بتعذبي فيَّ ليه دلوقتي؟

ابتلعت ياسمين دموعها في يأس وقد قررت ألا تحاول الدفاع عن نفسها بأنه لا يوجد ما يضطره للسفر بالأساس، وأنه وعدها أول أمس بأن يتصل ليطمئن على ولده، ولكنه لم يفعل كالعادة. قررت ألا تحاول أن تشرح له أنها تحتاجه بجانبها حتى وإن كان ببلد آخر، فكما يقولون لا يمكنك طلب الاهتمام من أحدهم.

أفاقت ياسمين من شرودها على صوت ذلك الغاضب من عتابها وهو يصرخ مناديًا اسمها:

– ياسمين.

– أيوة يا أكرم.

– هو أنتِ مكلماني تحرقي دمي وتسكتِ على الصبح؟! عايزة حاجة تاني يا ياسمين دلوقتي طيب، علشان أنا سايق؟

هزت رأسها بنفي وكأنها تراه وهي تهمس:

– لا خلاص يا أكرم، مش عايزة حاجة خلاص. حقك عليَّ.

– ماشي خلاص، يلا سلام.

– سلام.

وضعت هاتفها على المقعد المجاور وقد انسابت دموعها بصمت

على وجهها دون أن تحاول منعها حتى أوقفت سيارتها أمام عملها قبل أن تزيل آثار بكائها عن وجهها وتصعد إلى مكتبها، لتبدأ يوم عمل جديد كانت تتمنى أن ينجح في أن ينسيها ذلك الصراع المحتدم داخلها.

ما إن فتحت ياسمين حاسوبها الخاص لتبدأ عملها بعد أن تبادلت حديثًا قصيرًا مع دينا وهي تتناول فنجان قهوتها الصباحي، حتى سمعت طرقات على باب المكتب ليفتح بعدها ويدخل شاب واضح من زيه أنه يعمل عامل توصيل لأحد المطاعم الشهيرة، حاملًا مشروبًا وعلبة من الكرتون ليسأل:

– مدام ياسمين أورهان فين يا فندم؟

في دهشة كبيرة ودون كلام أشارت دينا إليه باتجاه مكتب ياسمين التي جلست في صمت تنتظر أن تفهم ما يجري، ليمد لها الشاب يده واضعًا أمامها المشروب والعلبة قائلًا:

– الأوردر دا باسم حضرتك، دونتس شوكولاتة وكابتشينو.

– أوردر؟ باسمي؟ حضرتك أنا ما طلبتش حاجة.

– هو واحد يا فندم اللي طلبه وكلمني الحقيقة، بس كنت لسه ما وصلتش وهو هيتصل تاني علشان يتأكد من حضرتك إنه وصل، بس هو الأوردر لحضرتك أنا متأكد من الاسم.

ابتسمت ياسمين في عذوبة ظنًا منها أن أكرم قد شعر أخيرًا بما تواجهه وقرر أن يفاجئها لتنتبه من شرودها على صوت هاتف عامل التوصيل الواقف أمامها ليجيب قائلًا:

– أيوة يا فندم، أنا واقف قدام مدام ياسمين أهو والأوردر وصل تمام. حضرتك عايز تكلمها؟ حاضر ثواني، مدام ياسمين اتفضلي..

أمسكت ياسمين الهاتف وقد اتسعت ابتسامتها وهي تجيب بدلال وأنوثة:

– ألو.

لتجد ذلك الذي تحاول منذ رأته أمس الهروب منه دون فائدة يجيبها قائلًا:

– صباح الخير يا ياسمين، الصبح كنت بفطر في (تي بي إس) فافتكرت إنك كنتِ بتحبي تفطري فيه، وقلت أعزمك على الفطار بطريقتي وطبعًا بما إن مش معايا رقمك اضطريت أكلمك على تليفون الراجل الغلبان دا.

– ميرسي يا مراد، ما كانش في داعي والله.

– ما فيش ميرسي، يلا علشان الولد يمشي حرام، بالهنا مقدمًا. صباح الفل.

– صباح النور.

أغلق مراد الهاتف لتمد ياسمين يدها به لذلك المنتظر أمامها قبل أن يأخذه ويرحل لتجلس هي صامتة أمام ذلك الفطار المرسل لها ممن أثبت إجادته العزف على أوتار قلبها. بابتسامة كبيرة وعينين مليئتين بالدموع والحسرة أمسكت ياسمين بذلك الكوب الموضوع أمامها وفتحت علبة الدونتس لتبدأ إفطارها بقلب ممزق وعينين باكيتين.

***

–07–

مرت أيام ياسمين التالية بثقل وبطء، تذهب إلى عملها صباحًا لتقضي وقتها ما بين أوراقها وحاسوبها وبين أحاديثها مع دينا التي لا تنتهي، لتنصرف بعدها عائدة إلى صغيرها حيث تمضي معه باقي يومها ما بين تدريباته في النادي ومراجعة دروسه بالمنزل. تعمدت ياسمين في هذه الفترة أن يكون يومها مزدحمًا حتى تأوي إلى فراشها ليلًا متعبة، لتستطيع النوم سريعًا دون أن تفكر في مراد أو تعقد أية مقارنات بينه وبين أكرم الذي اختفى كعادته بعد آخر اتصال لها به.

تفتقد مراد بشدة وتقاوم رغبة بداخلها تدفعها بقوة للاتصال به كل يوم حتى تداوي به جرح قلبها الذي ما زال ينزف منذ زواجه، تفتقده وتقاوم افتقادها له واشتياقها لأحاديثهما سويًا. تشتاق لمن يسمعها باهتمام، لمن يسمعها ليساعدها على حل ما تواجهه من مشاكل ومواقف حتى وإن بدت مملة. تشتاق لمراد، ذلك الذي كان يهتم بتفاصيل يومها ولا ينسى دائمًا أن يسألها كيف انتهى ذلك الموقف الذي حكته له سابقًا.

ظلت تلك الجميلة تقاوم ذلك الصراع المحتدم بداخلها تارة، وتتجاهله كتجاهلها عدم اتصال أكرم بها منذ أكثر من أسبوع الآن تارة أخرى، حتى أتى ذلك الصباح الذي أشعل الصراع بداخلها ليصل إلى ذروته، صباح يوم عيد ميلادها.

استيقظت ياسمين يومها وهي مجهدة يملأ عينيها الحزن، فقد كانت تنتظر أن يحدثها أكرم في الليلة السابقة عند منتصف الليل ليهنئها بعيد ميلادها، أو أن يرسل لها رسالة على أقل التوقعات، ولكن صدمها ما فعل، قضت ياسمين ليلتها حزينة وحيدة باكية حتى غلبها النوم ونامت بعد أن استبعدت تمامًا فكرة أن تكون هي من تقوم بالاتصال به، فربما نسي كعادته أو لم ينتبه إلى تاريخ اليوم.

ظلت ياسمين تمسك هاتفها تتطلع إليه كل بضع دقائق طوال طريقها إلى عملها ذلك الصباح، وكأنها تخشى ألا تسمع رنينه عند اتصال أكرم بها، كانت تتطلع إليه وكأنها تحاول خلق عذر له بأن يكون قد حاول الاتصال بها، وأن تكون هي من لم تسمع هاتفها ولكن في كل مرة كان هاتفها يخذلها ولا تجد أي اتصال منه أو رسالة.

ها هي قد وصلت أسفل بناية عملها بعد أن نجحت في مقاومة دموعها طوال طريقها إليه لتوقف سيارتها وتأخذ حاسوبها استعدادًا للصعود إلى مكتبها وبداية يوم عمل كسائر أيامها.. لا يهم إن كان يوم ميلادها أم لا، ولكن ما إن فتحت باب سيارتها لتنزل منها حتى وجدت من

يقفز أمامها، وكأن الأرض قد أنبتته فجأة لتشهق في فزع قبل أن تجد ذلك الواقف أمامها يمد لها يده بعلبة شوكولاتة وعلبة أخرى يبدو أنها تحمل بداخلها هدية ما قائلًا: «كل سنة وأنتِ طيبة يا ياسو».

بعينين ما زالتا تحملان آثار دموع الليلة الماضية، ووجه يخلو تمامًا من مساحيق التجميل، وقفت ياسمين تنظر إلى مراد وهي لا تصدق أنه أمامها، وعقدت المفاجأة لسانها لتنظر إليه بابتسامة دهشة في صمت وهو يضيف:

– طبعًا بما إني مش معايا رقمك ما عرفتش أكلمك الساعة 12 أقول لك كل سنة وأنتِ طيبة إمبارح، بس قلت مش هروح شغلي ولا أنتِ هتطلعي مكتبك قبل ما أشوفك وأقولها لك وأديكِ هديتك كمان.

اتسعت ابتسامتها وهي تتمتم في سعادة:

– معقول يا مراد؟!

– آه يا ياسمين معقول ومعقول جدًا، دا هو دا المعقول الوحيد اللي كان لازم أعمله. أي نعم بهدلتيني ونزلتيني بدري عن معادي ساعتين ودوختيني علشان أحدد أجيب لك إيه بس كله فداكِ وفدا ابتسامتك دي.

بتر مراد عبارته فجأة وكأنه قد لاحظ شيئًا لتوه ليسأل في دهشة:

– ياسمين أنتِ معيطة؟

فاجأها سؤاله لتخفض وجهها قائلة بحرج:

– لأ معيطة إيه يا مراد بس، حد يعيط في عيد ميلاده؟

– حد يعيط في عيد ميلاده؟! آه طبعًا، دا هو دا اليوم اللي الواحد المفروض يعيط فيه والله يا ياسو، مش بنكبر سنة؟!

ضحكت ياسمين لدعابته وضحك هو لسعادتها مضيفًا:

– أنا كئيب أوي مش كدا؟ ناقص أشغل لك فريد الأطرش عدت يا يوم مولدي وأقفل لك اليوم وأكرهك في عيشتك خالص بقى.

قال جملته الأخيرة وضحك بصوت عالٍ، وضحكت هي وعلت دقات قلبها عند سماعها ضحكته التي طالما افتقدتها سنوات طوال.

صمت مراد بعد ضحكة بصوت عالٍ، وصمتت هي لترفع رأسها إليه وتنظر في حب وامتنان للحظات قبل أن تقول في عذوبة وهي تنظر إلى هديته بيدها:

– بجد يا مراد مش عارفة أقول لك إيه، تعبت نفسك طبعًا وآسفة إني بهدلتك ودوختك ونزلتك بدري وكل الحاجات دي بس بجد ميرسي أوي على الحاجات الجميلة دي.

– بجد هتزعليني بكلامك دا، أنا اتبهدلت ودوخت ونزلت بدري بس مبسوط، يا ريت كل البهدلة كدا يا ياسمين. وطبعًا ما فيش ميرسي على حاجة دي أقل حاجة، أنتِ تستاهلي الدنيا كلها بس يا رب يعجبوكِ.

ابتسمت ياسمين في أنوثة لكلماته التي اشتاقت لسماعها كثيرًا قبل أن يضيف في حماس:

– الشوكولاتة دي مش النوع اللي بتحبيه، دا نوع دقته وأنا في باريس مرة وعجبني جدًا، فطلبته من واحد صاحبي الأسبوع اللي فات، وكنت بدعي ربنا يلحق يوصل قبل عيد ميلادك والحمد لله لحق وأنا كمان لحقت وجبتها لك.

– يا نهارك أبيض يا مراد، أنتَ بتفكر في عيد ميلادي من أسبوع؟

– ولو كنت عرفت طريقك بدري عن كدا كنت فكرت فيه من أكتر من أسبوع، وكنت عملت أكتر من كدا بس الوقت ضغطني.

صمتت ياسمين وهي تحاول أن تسيطر على تلك السعادة التي اجتاحت ملامحها قبل أن يضيف هو في سؤال جاء وكأنه رجاء:

– ياسمين، هو أنا ينفع أعزمك على الغدا؟ عارف إنك طول عمرك بتحبي عزومة العشاء أكتر من الغدا علشان رومانسية أكتر بالنسبة لك، بس لو ظروفك ما تسمحش عادي ما فيهاش مشكلة.

رفعت ياسمين حاجبيها في دهشة من طلبه ولم تجد ما تقوله ليكمل هو قائلًا:

– أنا طبعًا نفسي أقعد أتكلم معاكِ براحتي بس ما فيش أي مشكلة لو مش هينفع.

ما إن همت هي بالرد عليه حتى فاجأها قائلًا:

– ياسمين أنتِ وحشتيني أوي، وحشاني فعلًا ونفسي في قعدة طويلة من بتوع زمان. فكري وأنا مستني ردك أي وقت النهاردا، أنتِ عارفة مش هينفع أكلمك أنا علشان مش معايا رقمك ومش هضغط عليكِ علشان أخده بس هستنى ردك أي وقت.

ظلت هي صامتة لا تدري أتوافق على طلبه الذي تفتقده هي أكثر منه أم ترفض وتتحمل وحدها وجع قلبها الذي يئن داخلها منذ ظهر أمامها.

شعر مراد بما يحدث داخل تلك البريئة التي تقف أمامه ليقول بحسم وغضب مفتعل:

– أخرتيني على شغلي وشوية كمان وهتتأخري أنتِ كمان، وأنا ما يرضنيش مديرك يكشر في وشك يوم عيد ميلادك. يلا اطلعي وهنطلق أنا ومستني تليفونك.

في استسلام قالت وهي شاردة تفكر في طلبه:

– حاضر..

في هدوء التفتت تاركة إياه خلفها لتصعد مكتبها قبل أن تسمعه يناديها بصوت لطالما عشقته:

– ياسمين.

استدارت تنظر إليه ليكمل هو:

– وحشتيني بجد.

ابتسمت ياسمين لتتركه دون رد وتصعد مكتبها حاملة هداياه

المليئة بعطره وهي مبتسمة، ولكن شعورًا ما بالذنب المغلف بالغضب قد بدأ يتسلل لقلبها ليعتصره ويتركها ممزقة بين سعادة لرؤية حبها الوحيد ذلك الصباح، وبين يأس وسخط على زوج لم يأخذ من وقته دقائق قليلة ليرسل لها رسالة تهنئة تشعرها أنه ما زال يتذكر وجودها.

صعدت ياسمين إلى مكتبها لتجد دينا تنتظرها بهدية وبالون مليء بالهيليوم وعلى وجهها ابتسامة كبيرة لتنطلق بحماس عند دخول صديقتها مهنئة إياها:

– كل سنة وأنتِ صاحبتي وسري وكل حاجة، كل سنة وإحنا مع بعض صحاب وسند لبعض. كل سنة وأنتِ طيبة يا ياسو.

ضحكت ياسمين قبل أن تقول:

– يا نهارك أبيض يا دينا، إيه دا كله يا حبيبتي؟

– إيه دا كله إيه بس، هو أنا جبت إيه أصلًا؟ أنا حتى اتزنقت في الوقت وما لحقتش أجيب تورتة، بس هبعت أجيبها على الضهر كدا ونلم الولاد ونعمل لك عيد ميلاد يا شركسي.

ضحكت ياسمين عاليًا قائلة:

– والله أنتِ مجرمة.

لاحظت دينا الهدايا التي تحملها ياسمين فعقدت حاجبيها في تساؤل قائلة:

– إيه الهدايا دي يا ياسو، مين لحق يعيد عليكِ قبلي؟

ترددت ياسمين بمَ تجيب صديقتها لتحسم أمرها بعد دقائق صمت قليلة وتقول في استسلام:

– دا مراد.

لتكرر دينا في دهشة:

– مراد؟! إزاي وشافك امتى أصلًا؟ مراد إزاي يا ياسمين؟

وضعت ياسمين الهدايا التي ما زالت تحملها على مكتبها وتجلس

قبل أن تقص على دينا كل ما حدث بينها وبين مراد ذلك الصباح، ولكنها احتفظت بالجزء الخاص بطلبه الأخير لنفسها. لا تدري لمَ لم تخبر صديقتها بأمر دعوته لها لتناول الطعام سويًا ولكن شيئًا ما بداخلها فضل عدم البوح به، شيئًا لم تكن تدركه ولكنها أدركته لاحقًا.

جلست دينا تصغي لصديقتها حتى انتهت من حديثها لتقول:

– ودلوقتي أنتِ شايفة إن مراد رومانسي وفظيع وإزاي فاكر عيد ميلادك وتعب نفسه واستناكِ لحد ما وصلتِ، وأكرم وحش ومش رومانسي وما فتكركيش حتى بمسج.

– أنتِ شايفة حاجة تانية؟

– آه شايفة يا ياسمين، شايفة إن مراد دا مش سهل وسكته مش سالكة، وجوزك آه ممكن مش رومانسي بس عادي يعني زي أي راجل مصري أصيل. تفتكري مراد دا لو متجوز، بيعمل كدا مع مراته؟

صمتت ياسمين في حيرة تفكر وقد تلاشت ابتسامتها فجأة لتعاجلها صديقتها في حسم:

– بتفكري في إيه؟! أكيد لا مش بيعمل كدا، هو في راجل بيجيب هدية بعد الفجر لمراته. وبعدين أنتِ إيه عرفك ظروف جوزك إيه؟ مش يمكن يكون عيان ولا عنده مشكلة ولا أي حاجة؟! جربتِ تكلميه أنتِ طيب تطمني عليه؟

لم تنتظر دينا إجابة من صديقتها لتقترب منها وهي تربت على كتفها قائلة:

– كلميه يا ياسمين، كلميه أنتِ وشوفي ظروفه الأول، ولو طلع فعلًا ناسي عاتبيه بالراحة مش بخناق. فهميه أنتِ محتاجة إيه واستني عليه وشوفيه هيتصرف إزاي. حبيبتي مراد دا نوع حقير بجد، اوعي تدي له فرصة يخرب لك حياتك. اوعي يا ياسمين.

استمعت ياسمين في صمت وقد قررت أن تحاول مع زوجها مرة

أخرى، فربما أصابه مكروه كما قالت صديقتها لتمسك بهاتفها وتطلب رقمه في استسلام قبل أن تسمع صوته يجيب في جدية:

– أيوة يا ياسمين، صباح الخير.

– صباح النور يا أكرم، طمني عليك عامل إيه؟

بصوت يحمل علامات تعجب كثيرة داخله جاء صوت زوجها مجيبًا:

– الحمد لله أنا كويس، فيه إيه؟

تدافعت دموع خيبة الأمل لعينيها لتمنعها وهي تجيبه:

– لا ما فيش، بس قلقت عليك علشان بقى لنا فترة ما سمعناش صوتك بس الحمد لله إنك كويس.

جاء رده هذه المرة يخلو من أي مشاعر ليجيب:

– لا اطمني، كويس الحمد لله زي القرد، المهم أنتم كويسين؟

– آه تمام، يلا هكلمك بعدين. باي.

– باي يا ياسمين.

أغلقت ياسمين الخط ونظرت بعيدًا وقد ملأت الدموع عينيها لتقول بيأس:

– طلع كويس يا دينا وزي القرد، طلع كويس ما فيهوش حاجة. هو نسي عيد ميلادي بس.

لم تجد دينا ما تهدئ به صديقتها سوى أن تنهض عن مقعدها وتذهب إليها لتضمها بقوة حتى كفت عن بكائها لتسألها دينا وهي تداعبها، قولي لي، عايزة التورتة شوكولاتة ولا كراميل؟ ولا لا قدر الله كريمة؟

ضحكت ياسمين وقد أزالت عن وجهها آثار دموعها لترفع رأسها بابتسامة تحمل الكثير وهي تجيبها:

– لا كراميل، ما تخافيش مش لا قدر الله.

ضحكت دينا لدعابة صديقتها التي كانت قد حسمت أمرها بأن تقضي يوم عيد ميلادها ذلك العام مختلفًا عن كل الأعوام الماضية.

***

-08-

مضى يوم ياسمين بالعمل هادئًا ولكن مختلفًا، فقد أحضرت دينا كعكة عيد الميلاد كما وعدتها وقامت بالاحتفال بها مع باقي موظفي الشركة في محاولة منها أن تضفي حالة من البهجة على يوم صديقتها وأن تنسيها ما حدث صباحًا من مراد ثم زوجها بعد ذلك. جلست ياسمين بعد أن أطفأت شموع عيد ميلادها وانصرف باقي زملائها من مكتبها بعد تهنئتها تفكر فيما دار بينها وبين مراد صباحًا، وقد بدأت مقاومتها تضعف أمام إلحاح قلبها أن تلبي دعوته اليوم وتمضي معه الباقي من يومها.

أفاقت من شرودها على رنين هاتفها لتجده ينير حاملًا اسم والدة أكرم، راوية المهدي لتمسك بالهاتف قبل أن تطلق تلك التنهيدة وهي تبتسم في سخرية لتضع الهاتف مرة أخرى على مكتبها دون رد. رأت دينا ما فعلته صديقتها وقد لاحظت شرودها قبلها فدفعها فضولها أن تسألها باهتمام:

– ما رديتيش ليه يا ياسمين؟

انتبهت ياسمين إلى أن صديقتها قد لاحظت ما حدث لترد في لامبالاة وهي تنظر بعيدًا:

– عادي، أصلها طنط راوية، وأكيد متصلة علشان عيد ميلادي وأنا مش قادرة بصراحة أتكلم، ومش مستحملة أي حد من ناحية أكرم.

– أيوة يا ياسو، بس أنتِ دايمًا بتقولي إن الست دي محترمة جدًا وبتحبك وعمرها ما ضايقتك في حاجة، صح؟

تنهدت ياسمين بعمق وهي تجيب قائلة:

– صح يا دينا، هي فعلًا كويسة معايا بتحبني وبتحب مراد، وأنا بحس إنها ضد فكرة سفر أكرم أصلًا بس طبعًا مش بتتكلم قدامي علشان ما تخلنيش أتضايق أكتر.

قالت جملتها الأخيرة لتصمت بعدها للحظات ثم تكمل:

– هكلمها خلاص يا دينا، هي فعلًا ما تستاهلش مني كدا. هلم حاجتي بس علشان ماتأخرش على مراد في الحضانة وأكلمها وأنا نازلة.

ابتسمت دينا في حنان وهي تتطلع إلى تلك التي نهضت لتحمل حاسوبها وحقيبتها قبل أن تنتبه إلى هدية مراد التي ما زالت على مكتبها مغلقة، فقد نسيت أن تفتحها لترى ما بداخلها لتمسكها في دهشة وهي تقول:

– تخيلي نسيت أفتحها.

ابتسمت دينا دون رد وقد وضعت ياسمين حاسوبها جانبًا لتفتح الهدية التي ما إن رأت ما بداخلها حتى شهقت في إعجاب ودهشة لتسألها دينا وقد نهضت لترى ما بداخل العلبة:

– طلعت إيه يا ياسمين؟

لترد ياسمين بسعادة وهي تخرج سلسلة ذهبية من العلبة:

– سلسلة دهب يا دينا، سلسلة مكتوب عليها مراد.

– مكتوب عليها مراد؟! إيه البجاحة دي؟

جاء رد دينا غير متوقع فقد حمل صوتها كثيرًا من الغضب لترفع ياسمين وجهها وتنظر إليها في خجل وهي تجيبها بضعف:

– ما يمكن يقصد ابني يا دينا.

– إحنا هنستعبط يا ياسمين؟! ابنك إزاي يعني، هو هيجيب لك سلسلة وهو يقصد اسم ابنك ليه؟ أبوه مثلًا!

ابتسمت ياسمين في سخرية قبل أن تجيبها:

– أبوه؟! هو أبوه أصلًا فاكر.

– ياسمين بقول لك إيه، فاكر مش فاكر أنتِ لازم تقفلي على مراد دا خالص من فضلك. الراجل دا تعبان وهيبوظ لك حياتك أكتر ما هي بايظة، اسمعي كلامي يا حبيبتي.

– وهو أنا عملت إيه بس يا دينا، هو أنا فاتحة أي سكة أصلًا علشان أقفل عليه؟!

– عايزة الصراحة؟ أيوة، ما كانش المفروض أصلًا تقفي معاه الصبح ولا تاخدي منه حاجة. اللي زي دا تدي له وش الشغل بس مهما عمل علشان هو بس صعبان عليه إنك مش في إيده دلوقتي صدقيني.

في استسلام ردت ياسمين محاولة إنهاء الحديث:

– حاضر يا دينا، خلاص هقفل عليه حاضر، أنا همشي دلوقتي علشان اتأخرت على ميعاد حضانة مراد وهكلمك بالليل. يلا باي.

– ياسمين.

– أيوة يا دينا.

– ما تزعليش مني أنا والله خايفة عليكِ، ما تنسيش تكلمي طنط راوية.

– مش زعلانة يا حبيبتي والله، وعارفة إنك خايفة عليَّ. حاضر هكلمها، يلا باي.

– باي يا ياسو.

أغلقت ياسمين خلفها باب مكتبها وهي تردد داخلها:

– خايفة عليَّ بس مش حاسة بي يا دينا.

ما إن وضعت حاسوبها بالسيارة جانبها، حتى أمسكت هاتفها لتطلب رقم راوية المهدي وهي تدير محرك السيارة ليأتي صوتها قويًا كالعادة يحمل داخله حنانًا مستترًا قائلة:

– أيوة يا ياسمين يا حبيبتي، إزيك؟

– إزي حضرتك يا طنط؟ وإزي أونكل عامل إيه؟

– إحنا كويسين يا حبيبتي الحمد لله، كل سنة وأنتِ طيبة يا روحي.

– وحضرتك طيبة يا طنط، تسلمي لي يا رب وتعيدي عليَّ كل سنة كدا.

– قولي لي أكرم كلمك؟

– أنا كلمته الصبح يا طنط، هو كويس الحمد لله.

لم تكن راوية بحاجة لأكثر من ذلك الاختلاف في صوت ياسمين وهي تتحدث عن أكرم لتعرف أن وحيدها لم يتذكر عيد ميلادها، لتجيب وكأنها لم تلاحظ شيئًا كعادتها:

– طيب الحمد لله، أصله بقاله فترة ما كلمنيش تلاقيه مشغول.

لم تجد ياسمين ما تقوله فآثرت الصمت لتكمل راوية في حنان:

– ياسمين بقول لك إيه، ما تجيبي مراد وتيجوا تتغدوا معانا النهاردا يا حبيبتي أحسن وحشتوني أوي.

– والله يا طنط أنا مش عايزة أتعب حضرتك بس.

– لا تعب إيه، تعالوا أنتم بس وما لكيش دعوة بيَّ. أنا أشوفكم دي عندي بالدنيا، أنتِ مش متخيلة مراد وحشني إزاي وقعدتك أنتِ كمان وحشتني إزاي يا حبيبتي.

– وحضرتك كمان وحشتيني جدًا والله، خلاص هروح آخد مراد ونيجي لكم يا طنط من عينيَّ، بس ما تتعبيش نفسك في المطبخ علشان خاطري، أي حاجة كدا وخلاص.

– حاضر يا حبيبتي، ما تتأخروش بقى هنستناكم.

– إن شاء الله يا طنط، مع السلامة يا حبيبتي.

– مع السلامة يا ياسمين.

أغلقت ياسمين الخط وهي تبتسم وتتعجب كيف لحنون مثل راوية أن تربي رجلًا لا يحمل بداخله قلبًا كأكرم الذي ما إن تذكرته حتى رن هاتفها حاملًا اسمه لتتسع ابتسامتها وهي تجيبه ضاحكة:

– طبعًا طنط راوية كلمتك.

فاجأها صوته الذي جاء يحمل الكثير من الغضب قائلًا:

– هو أنتِ بتشتكيني لماما يا ياسمين؟ لا بجد أنتِ فاضية للدرجة

دي؟

– فاضية وبشتكيك؟! أنتَ بتكلمني أنا؟

– أمال بكلم نفسي؟! في إيه يا ياسمين، هو أنا لازم أطلع الشرير في القصة ولازم أبقى سبب تعاستك؟ إيه اللي حصل لما ما شفتش تاريخ النهاردا وما ركزتش إنه عيد ميلادك؟ الدنيا خربت؟

ولأول مرة منذ عرفها تنفعل ياسمين في غضب لتجيبه بغيظ:

– هي مين دي اللي اشتكت ومين دي اللي عايزة تطلعك شرير يا أكرم؟ من غير عيد ميلاد أنتَ أصلًا بتسأل عليَّ أنا وابنك كل كم يوم ولا أسبوع؟ تعرف أي حاجة عننا حتى؟ وكل ما أكلمك مشغول مشغول إيه يا أخي، تكون بقيت حاكم إمارة دبي بس مخبي علينا مثلًا؟ أنتَ بتكلمني كدا ليه أصلًا، أنا ماشتكتش لطنط أصلًا، وحتى لو اشتكيت فدا علشان مستنية كل سنة وأنتِ طيبة منك أنتَ بالأخص، مش علشان أضايقك يعني. أنتَ ليه مش حاسس بي يا أكرم، ليه؟

توقعت أن يرق قلبه لصوتها الذي بدأ يتهدج وهي على وشك البكاء، ولكنها وجدته كعادته يسارع للعب دور الضحية قائلًا:

– أحس بيكِ إزاي يعني؟ هو أنا مسافر ومتغرب علشان أفضل أكلمك كل نص ساعة يا ياسمين أحب فيكِ؟ في إيه يا ياسمين، ما تكبري شوية وتفهمي إننا مش اتنين مراهقين لسه هنسهر في التليفون نتنهد لبعض بالليل.

صدمتها كلماته لتبتلع دموعها وهي تنهي المكالمة قائلة:

– مش اتنين مراهقين؟ خلاص يا أكرم أنتَ صح أنا آسفة، عايز حاجة تانية طيب علشان أنا سايقة؟

– ماشي يا ياسمين، كل سنة وأنتِ طيبة.

– وأنت طيب، باي.

– سلام..

أغلقت الخط وهي ما زالت تسترجع ما سمعته لتوها من زوجها وهي لا تصدق أن تكون كل تلك المسافة قد باعدت بينهما، جاهدت لتمنع نفسها من البكاء وبغضب كبير وكرامة مجروحة أوقفت سيارتها أمام حضانة ابنها وأمسكت بحقيبتها تبحث بداخلها عن شيء ما قبل أن يأتي وحيدها ويذهبا لجدته معًا.

أخيرًا عثرت على ما تبحث عنه، أخرجت يدها من حقيبتها تحمل بطاقة مراد التي تحمل أرقامه كلها لتمسك هاتفها وتطلب رقمه الخاص قبل أن يأتي صوته هادئًا غامضًا يجيب:

– ألو.

ترددت للحظات عند سماع صوته تفكر فيما هي على وشك فعله ولكنها حسمت أمرها لترد قائلة:

– أيوة يا مراد.

وكأن صوتها قد أحياه، أتى صوته يحمل كثيرًا من الحب والحماس وهو يقول:

– ياسمين؟! مش معقول أنا مش مصدق والله العظيم إنك اتصلتِ.

ابتسمت في خجل لتجيبه:

– لا صدق، أنا ياسمين يا مراد.

– إزيك يا ياسمين؟ أنتِ عارفة أنا ما سمعتش صوتك في التليفون بقى لي كم سنة؟

– عارفة، بس استنى وفر فرحتك دي لحد ما تعرف أنا مكلماك ليه أصلًا.

– لا ما تقوليش إنك كمان وافقتِ على عزومتي؟! لا أنا كدا ممكن أروح منك.

في لهفة وسرعة ردت قائلة:

– بعد الشر عنك.

لتصمت بعدها في خجل قبل أن تضيف:

– هتعزمني على العشا فين؟

أتى صوته متحمسًا مليئًا بالسعادة وهو يكرر:

– عشا؟ وكمان عشا مش غدا، في المكان اللي تختاريه أو أقول لك، سيبيني أنا أختار.

– خلاص تمام، أحسن اختار أنتَ.

– يناسبك الساعة كم؟

– تسعة كويس؟

– دا كويس جدًا، أي معاد أشوفك فيه هيبقى كويس أكيد. خلاص تحبي أعدي عليكِ في أي مكان أخدك؟

– مش عارفة والله يا مراد.

– هعدي عليكِ قدام باب نادي الجزيرة الساعة تسعة أخدك، علشان المكان يبقى مفاجأة، اتفقنا.

في حيرة وكأنها انتبهت لما فعلت لتوها أجابت باستسلام:

– اتفقنا يا مراد، صحيح ميرسي على السلسة.

– على إيه يا ياسمين، فاكرة زمان كنتِ دايمًا تقولي لي إنك بتحبي أوي السلاسل اللي عليها الأسامي دي، ولما كنت بقول لك طيب ما تجيبي واحدة كنت بتقولي لي مش دلوقتي. أهو بقى عندك واحدة أخيرًا.

– ميرسي بجد يا مراد إنك فاكر لسه.

في حب أتى صوته قائلًا:

– أنا اللي بشكرك إنك وافقتِ أشوفك النهاردا بجد يا ياسمين، أنتِ ما تعرفيش أنتِ وحشاني قد إيه. يلا انطلقي دلوقتي علشان أعمل اتصالاتي وألحق أظبط العزومة.

ضحكت هي في عذوبة قبل أن تقول:

– ماشي، يلا باي.

– باي يا ياسو.

ما إن أنهت حديثها معه حتى فتح باب سيارتها ذلك الصغير الذي أطلقت عليه اسم من ظل بقلبها بعد كل تلك السنوات، وقد أتى ضاحكًا ليقفز واضعًا قبلة على وجنتها قبل أن تنظر إليه بابتسامة حنونة وهي تقول:

– روح قلب مامي، عارف إحنا رايحين فين دلوقتي؟

ليقفز في حماس مصفقًا:

– النادي!

– لا رايحين لتيتة راوية.

– تيتة رااوية!

ضحكت ياسمين لطريقته في التعبير عن سعادته بالخبر قبل أن تضيف:

– بس هنعدي على البيت الأول نجيب بيجاما لحبيب ماما علشان هيبات هناك النهاردا.

– هيه هيه، هتباتِ معايا؟

– لا يا روحي، أنا خارجة مع ناس صحابي بالليل فأنتَ هتبات هناك وأنا هاجي بكرة أخدك. اتفقنا؟

في حماس وسعادة أجابها الصغير وهو لا يزال يصفق:

– اتفقنا.

وضعت ياسمين قبلة على جبينه قبل أن تنطلق بسيارتها باتجاه منزلها لتحضر له ملابسه حتى تتركه عند جدته هذه الليلة، وتستعد هي للاحتفال الأحب إلى قلبها بعيد ميلادها.

***

-09-

في تمام السادسة مساءً أوقفت ياسمين سيارتها أمام فيلا صغيرة بإحدى شوارع محي الدين أبو العز الجانبية قبل أن تنظر إلى ذلك الصغير الجالس بجانبها مبتسمًا في حماس.. يكاد يطير فرحًا منذ أخبرته أنه سيبيت ليلته عند جدته لتبتسم وتلقي آخر تعليماتها له قبل الدخول في حزم مغلف بحنان كبير:

– مراد، مش عايزين شقاوة عند تيتة وما ننساش نغسل أسناننا قبل النوم وما نغلبش تيتا في الصحيان الصبح. أوكي يا حبيبي؟

في طاعة ونفاد صبر أومأ الصغير برأسه وهو يقفز في مكانه قائلًا:

– أوكي يا مامي.

– تمام، يلا بينا.

أغلقت ياسمين سيارتها لتمسك بيد وحيدها قبل أن تقف أمام باب منزل جدة مراد لتدق الجرس وهي تحمل ابتسامة اجتهدت كثيرًا لترسمها على وجهها. في سرعة توحي بانتظارها لهما طويلًا فتحت راوية الباب في سعادة وهي تحمل تلك الابتسامة الحنون الكبيرة لتفتح ذراعيها لذلك الحفيد الذي ترى فيه وحيدها المسافر بلا سبب قائلة في حماس ولهفة:

– حبيب تيتة اللي وحشها مووووت موت!

قفز الصغير ليختبئ بين ذراعيها وتضمه هي بلهفة ضاحكة:

– كبرت يا روحي وقربت تبقى طول تيتة، اسم الله عليك.

وضعت راوية قبلة على خد الصغير قبل أن تضعه من يدها، لتلتفت لياسمين التي ما زالت واقفة تشاهد ذلك اللقاء بابتسامة عذبة في صمت لتفتح ذراعيها لها قائلة في حنان:

– معلش يا ياسمين حقك عليَّ، إزيك يا حبيبتي. وحشتيني والله أنتِ كمان بس أنتِ عارفة أنا ما بصدق أشوف المجرم دا.

ابتسمت ياسمين وهي تضم راوية بحب قائلة:

– ولا يهمك يا طنط، أنا عارفة طبعًا ما تقلقيش. وحشتيني يا حبيبتي، عاملة إيه؟

أفلتت راوية ياسمين من ذراعيها بهدوء وهي تجيبها:

– الحمد لله يا روحي لا جديد. أنتم عاملين إيه؟ طمنيني عليكم أخباركم إيه؟ تعالوا بس الأول اغسلوا إيديكم ونقعد ناكل أحسن متنا من الجوع ونتكلم على السفرة.

– آسفين والله يا طنط معلش.

لتلتفت لمراد بعدها قائلة:

– مراد تعالى يا حبيبي نغسل إيدينا علشان نتغدى يلا.

جلس مراد بعد الانتهاء من تناول الطعام يستذكر دروسه بمساعدة جده الذي كان فخورًا بذكاء حفيده وحريصًا دائمًا على التباهي به أينما ذهب، في حين أعدت ياسمين الشاي وجلست في الشرفة تنتظر حضور راوية لتجلسا سويًا تتحدثان لبعض الوقت قبل أن تغادر وتترك صغيرها للاحتفال بعيد ميلادها مع من أصبح مصدر السعادة الوحيد لها منذ عودته.

وقفت ياسمين تنظر من الشرفة بعيدًا حتى سمعت صوت راوية، لتلتفت تجدها تقف خلفها بابتسامتها العذبة تحمل علبة صغيرة من القطيفة الزرقاء قبل أن تقول بحنان:

– كل سنة وأنتِ طيبة ووسطنا منورة العيلة يا ياسمين.

لا تدري لمَ شعرت بغصة بقلبها عند سماع تهنئة راوية، حتى إنها ترددت قبل أن تمد يدها أخيرًا وهي تحاول رسم ابتسامة على وجهها قبل أن تقول بامتنان:

– ميرسي جدًا يا طنط، تعبتِ نفسك بجد ليه كدا.

طبعت راوية قبلة على خدها وهي تربت على كتفها قائلة:

– أنا ما خلفتش بنات ومن يوم ما شفتك حتى قبل ما أكرم يتجوزك وأنا حسيت إنك بنتي، لو كنت خلفت ما كنتش أتمنى بنت أحسن من كدا. كل سنة وأنتِ طيبة يا حبيبتي.

صمتت ياسمين وهي تحاول أن تقاوم تلك الدموع التي تحاول الاندفاع من عينيها لتقول في صوت أقرب إلى الهمس:

– ربنا يخليكِ لينا يا طنط، تسلمي لي يا رب.

جلست راوية تتحدث مع تلك الحسناء التي تشعر جيدًا بمعاناتها وهي ترى الحزن بعينيها كلما تقابلا، وتدرك جيدًا مدى عذابها في مقاومة دموعها التي رأتها بنفسها منذ قليل، ولكن تعمدت تجاهلها حرصًا منها على مشاعرها.

قبل أن تدق الثامنة استأذنت ياسمين في الانصراف حتى تذهب للاحتفال بعيد ميلادها مع دينا صديقتها الوحيدة كما أخبرت راوية التي وقفت تودعها قائلة:

– ما لحقتش أقعد معاكِ يا ياسمين بس اخرجي يا حبيبتي وامبسطي.

– معلش يا طنط والله هاجي لك بكرة بعد الشغل ونقعد براحتنا، معلش هتعبك مع مراد النهاردا..

– لا تتعبيني إيه أنتِ بتهزري، دا حبيبي وأحلى حاجة في خروجتك دي إنك هتسبيه معايا الليلة دي. روحي يا حبيبتي واتطمني عليه وهستناكِ بكرة.

– تسلمي يا طنط على الخاتم، بجد تحفة تسلم ايديك.

ابتسمت راوية وهي تضمها لصدرها بحنان حقيقي قائلة:

– تستاهلي أكتر من كدا وبعدين ما فيش داعي للشكر أصلًا يا روحي. يلا علشان هتتأخري على معادك.

– باي يا طنط.

– باي يا حبيبتي.

ما إن أغلقت خلفها الباب حتى أسرعت راوية لتحضر هاتفها وتطلب رقم أكرم الذي ما إن سمعت صوته يجيب حتى سارعت بانفعال تسأله:

– أنتَ فين يا أكرم؟

– في إيه يا ماما، أنا فين يعني إيه؟ هكون فين يعني.

– لا مش قصدي أنتَ فين دلوقتي، عارفة إنك في دبي بتشتغل. قصدي أنتَ فين يا ابني من يوم مراتك؟ فين من حياتها؟!

تنهد أكرم في تبرم وملل فور سماعه كلمة «مراتك» قائلًا:

– آه، هي جت طبعًا واشتكت.

– والله ولا فتحت بوقها ولا قالت حاجة، هي من إمتى ياسمين بتتكلم أصلًا علشان تشتكي؟! بس أنا ست وأفهم إحساسها من غير ما تقول، مراتك عينيها على طول مليانة دموع يا حبيبي، مش سعيدة ووحيدة. لازم يا حبيبي تحسسها إنك معاها.

– أعمل إيه يعني يا ماما؟ أسيب شغلي وآجي أقعد جنبها؟

– بقول لك إيه يا أكرم، أنا مش ياسمين علشان تاكلني بالكلمتين دول. أنتَ عارف قبل مني إنك مش محتاج السفر ولا الغربة، بس قلنا دي رغبتك وبراحتك لو هترتاح كدا، إنما أنتَ عارف كويس أوي إن شغل أبوك هنا محتاجك فبلاش أسطوانة يعني أسيب شغلي والحركات دي عليَّ.

صمت أكرم للحظات قبل أن يعلن استسلامه ويسألها في هدوء:

– يعني أنتِ عايزاني أعمل إيه يا ماما؟

– أنا عايزاك تبقى موجود في حياتها، مراتك يا حبيبي صغيرة وحلوة ومالهاش حد ووحيدة فلازم تحس إنك معاها على طول علشان كدا يا حبيبي مش صح وهترجع تندم بعدين.

– أندم بعدين يعني إيه؟ هتخوني مثلًا!

– يا ابني ما تبقاش غبي، هتخونك إيه بس، ياسمين بنت ناس وما تعملش كدا. بس يعني هو الندم ما يبقاش غير على الخيانة؟! ليه تخلي مراتك تبص على معاملة راجل لمراته وتتحسر على نفسها؟ ليه تخليها تقول يا ريتني اتجوزت واحد زي فلان دا ولا دا؟ ليه تخليها تندم إنها اختارتك أنت وتبقى عايشة معاك من غير روح بس علشان ابنها؟ فاهمني يا حبيبي؟

– فاهمك يا ماما، بس حاسس إنك مكبرة الموضوع شوية، يعني مثلًا ما أنتِ بابا كان معظم الوقت مسافر ولا كانت عنيكِ مليانة دموع ولا الدلع دا.

تنهدت راوية وهي تسترجع تلك الأيام قبل أن تجيب:

– وأنتَ مين قال لك؟ بس أنا كانت عيني بتتملي دموع من شوقي لأبوك مش من الحسرة والوحدة، أبوك ما كانش بيفوت يوم من غير ما يكلمني ولا يسمعني كلام حب وقد إيه واحشاه. عمري ما حسيت إنه مرتاح في بعده عني، ولو عدى يوم ما سمعتش صوته ما كنتش أعرف أنام. ما كانش بيحصل حاجة في يومي هو ما يعرفهاش، وأنا كمان كنت عارفة عنه كل حاجة. أبوك كان بيبقى مش في البيت صحيح لكن موجود طول الوقت معايا ومالي عليَّ حياتي، ولو ما كانش كدا ما كناش كملنا مع بعض لحد دلوقتي يا ابني.

ظل أكرم يستمع لها وهي تكمل:

– اشغل حياة مراتك يا ابني، الست بتحب الكلمة الحلوة فبلاش تسيبها لوحدها وتبخل عليها كمان حتى بالكلمة، خليك أول واحد تروح له لما تضايق ومش كل ما تعاتبك تطلع فيها وبتشتكي ومش بتشتكي والكلام الفارغ دا. فاهمني يا حبيبي.

– فاهمك يا ماما، خلاص والله.

– ماشي يا حبيبي، يلا كلمها طيب خاطرها بكلمتين، واوعى تجيب لها سيرة إني كلمتك.

– حاضر يا حبيبتي والله، هي مشيت إمتى؟

– قبل ما أكلمك على طول، سابت مراد هنا علشان خارجة مع دينا صاحبتها. كلمها بقى صالحها علشان تعرف تتبسط بالخروجة.

– حاضر هكلمها دلوقتي على طول.

أغلق أكرم الخط وحاول الاتصال بياسمين للاعتذار عما حدث منه في المكالمة السابقة، ولكنها لم ترد فقرر أن ينتظر، ويحاول مرة أخرى بعد قليل علها لم تسمع رنين هاتفها. ظل أكرم يسترجع كلام أمه ويفكر هل من الممكن أن تكون ياسمين تعاني من غربته كما قالت أمه؟! ظل يفكر بياسمين، تلك التي تركت أمه منذ قليل لتستقل سيارتها وهي تقاوم فكرة أنها خائنة والتي بدأت تسيطر على تفكيرها منذ رأت تلك السيدة الرائعة التي تشعر بحبها يزداد لها في كل مرة تراها. تعلم أن ما توشك على فعله لا يصنف إلا خيانة لزوجها ولكن أنوثتها المهملة وكرامتها المجروحة يصران على ذلك اللقاء ويصران على الثأر لها من ذلك الذي لم يتبقَ لها منه إلا اسمه المحفور على خاتم زواجهما. ظل الصراع بداخلها مشتعل ما بين رغبة في لقاء مراد أعلنها قلبها بإصرار ورغبة أخرى تلح عليها في أن تعتذر عن ذلك اللقاء وتغلق هاتفها بعدها حتى يمل من ملاحقتها.

قطع اتصال أكرم عليها تفكيرها لتلقي هاتفها جانبها فور رؤيتها اسمه مقررة عدم الرد عليه وهي تهمس لنفسها: «مش قادرة على خناق تاني يا أكرم».

أسفل منزلها أوقفت ياسمين سيارتها وهي لا تزال فريسة ذلك الصراع داخلها، لم تحسم قرارها بعد وقد بدأت تتمنى أن يعتذر هو أو يختفي كما اعتاد قديمًا حتى يريحها من تلك المنافسة بين عقلها وقلبها. ما إن اجتازت مدخل البناية ووقفت تنظر في هاتفها لتجدها الثامنة

والنصف حتى رن هاتفها في يدها حاملًا اسم من تمنت لأول مرة منذ عرفته أن يعاود الاختفاء منذ قليل. وقفت تنظر إلى اسمه لا تعرف أتجيبه أم تتركه لأول مرة يتجرع مرارة أن يختفي أحدهم دون سبب معلوم أو إنذار مسبق.

ظلت ياسمين تنظر في هاتفها حتى صمتت رناته أخيرًا لتصعد إلى منزلها مسرعة وهي لا تدري لمَ تشعر بالندم الآن على ما فعلت، لا تعرف لمَ تتمنى أن يحاول الاتصال ثانية لتجيبه وتذهب لتلقاه. أغلقت خلفها الباب وهي على وشك البكاء فليس هناك أصعب على القلب من مقاومة حبيب تفتقده، وضعت حقيبتها وما إن ذهبت لتبدل ملابسها حتى سمعت رنين هاتفها ثانية لتذهب مسرعة هذه المرة وترد بلهفة قائلة:

– ألو.

– أيوة يا ياسمين، يا بنتي خضتيني قلت مش هتنزلي لما لاقيتك مش بتردي.

– معلش يا مراد ما كنتش سامعة..

– طيب حصل خير، مال صوتك؟ في حاجة ولا إيه؟

– لا ما فيش حاجة، أنا كويسة ما تقلقش.

– طيب الحمد لله، هتنزلي ولا في مشكلة.

للحظات ترددت قبل أن تجيب بحسم:

– لا ما فيش مشكلة عادي، بس خليها 9 ونص لو ينفع.

– أي حاجة عايزاها تنفع يا ياسمين، خلاص تمام هتلاقيني هناك في الميعاد.

– تمام، يلا هقفل دلوقتي علشان ألحق.

– تمام مستنيكِ.

أغلقت ياسمين الخط وأسرعت بعد أن أخذت حمامًا دافئًا سريعًا تفتح خزانة ملابسها لتخرج منها فستان أرجواني قصير كشف

عن خصر صغير وأنوثة رائعة بمجرد ارتدائها له، كان فستانًا بلا أكمام ضيق يقف على حدود ركبتيها ورغم بساطته إلا أن جمالها جعل منه تحفة فنية لا تقارن. وقفت تتطلع لنفسها في مرآة غرفتها تفكر كيف تصفف شعرها حتى قررت أن تتركه منسابًا في تلقائية قبل أن تخرج من حقيبتها السلسلة التي أهداها إياها صباحًا لترتديها قبل أن تقف حائرة لا تدري أتكون السلسلة هي ما أضافت لصدرها جمالًا على جماله أم العكس هو ما حدث.

ارتدت حذاءها الأسود ذا الكعب العالي أخيرًا، لتقف بثقة أمام مرآتها تلقي نظرة أخيرة على نفسها قبل أن ترفع رأسها في ثقة لتأخذ حقيبتها وتذهب للقاء من تحمل اسمه بجانب قلبها وداخله.

أمام بوابة نادي الجزيرة الرئيسة أوقفت ياسمين سيارتها وأمسكت بهاتفها لتطلب مراد الذي أجاب على الفور قائلًا:

– أيوة يا ياسمين أنا واقف قدام شوية بعربية أودي سودا حاجز لك مكان علشان تركني، أنا شايفك اطلعي قدام كم عربية هتلاقيني أنا هطلع اركني أنتِ علشان نمشي بعربيتي.

ابتسمت ياسمين وهي تسمعه وقد نجح في إبهارها كعادته في اهتمامه بتفاصيلها حتى أنه لم ينس أن يذهب مبكرًا ليجد لها مكانًا توقف به سيارتها. انتبهت على صوته يناديها:

– ياسو.

– أيوة أيوة يا مراد، حاضر أنا جاية أركن حاضر.

أوقفت ياسمين سيارتها حيث اختار لها هو، وهبطت منها لتجده يهبط من سيارته ليستقبلها بابتسامته الساحرة وفي عينيه إعجاب بها لا يخفى. وقف مراد أمامها بعينين لامعتين وقد تألق في چاكت أزرق داكن على قميص أبيض وبنطلون من الجينز الأزرق. ما إن رآها مراد تقف أمامه حتى نظر إليها بانبهار قائلًا:

– لسه مبهرة زي ما أنتِ يا ياسمين.

خفضت نظرها في خجل لا تجد ما تقوله ليكمل هو مشيرًا إلى سيارته:

– يلا بينا؟!

لمحت بيده ساعة كانت قد أهدته إياها قديمًا لتسأله باستغراب:

– لسه عندك؟

– آه شوفتِ؟ كنت هزعل أوي لو ما أخدتيش بالك، كل حاجة منك لسه عندي.

تورد وجهها وسارت بجانبه في صمت وهي تشعر لأول مرة منذ سنوات أنها تسير بحماية أحدهم، تسير وعلى وجهها ابتسامة سعادة حقيقية حتى وإن كانت مؤقتة.

***

–10–

أمام إحدى البواخر السياحية الراسية على كورنيش الزمالك أوقف مراد سيارته قبل أن ينظر إلى تلك الفاتنة الجالسة بجواره في هدوء منذ التقيا أمام نادي الجزيرة قبل قليل ليقول بحماس طفولي وهو يبتسم:

– يلا بينا.

ابتسمت ياسمين في سعادة سيطر عليها الخوف من أن يراها أحد جيرانها أو أصدقاء زوجها القدامى لتسأله في تردد:

– إحنا هنقعد هنا؟

عقد مراد حاجبيه وهو يحاول تفسير مغزى سؤالها ويجيبها قائلًا:

– لو فيه مشكلة في المكان بالنسبة لك نغيره ما فيهاش حاجة.

لا تعرف لما شعرت بالخجل من كلماته لتجيب نافية:

- لا خالص، أنا بس بسأل عادي.

ابتسمت في خجل لتكمل وهي تفتح بابها:

- يلا.

هبط مراد من السيارة قبل أن يدور حولها نصف دائرة، ويسير بجانب ياسمين التي نسيت جميع مخاوفها وتلاشى قلقها من أن يراها أحدهم بصحبته. عبرا معًا مدخل الباخرة ليسبقها بعدة خطوات فاتحًا باب المطعم الذي كان قد قام بحجز طاولة لهما به فور اتصالها به وقبولها دعوته على العشاء.

وقف مراد ممسكًا بباب المطعم لها حتى عبرته لترى طاولة في الزاوية مطلة على النيل مباشرة وقد أضاءتها الشموع وزينتها بعض الورود لتنظر إليه في دهشة مغلفة بالسعادة ظهرت في لمعة عينيها التي نطقت قبل لسانها وهي تقول:

- لحقت تعمل كل دا إمتى؟

أفلت مراد الباب من يده ليسير بجانبها مرة أخرى، وهو يشير إليها باتجاه الطاولة لتتحرك، وهي ما زالت تنظر إليه كطفلة فضولية تنتظر إجابة سؤالها ليضحك قائلًا:

- لسه فضولية يا ياسمين، طيب هو إيه دا اللي لحقت أعمله؟! الورد والشموع؟ هو أنا لحقت أعمل حاجة أصلًا يا ياسو.

شعرت وكأنها تريد القفز فرحًا بجانبه فقد افتقدت ذلك الإحساس منذ سنوات؛ إحساس أن يأخذ أحدهم من وقته وجهده ليفاجئها ويبث السعادة بقلبها هكذا. مرة أخرى يسبقها مراد بخطوات قليلة قبل أن يجذب لها مقعدًا لتجلس ويدور بعدها نصف دائرة ليجلس أمامها وهو ما زال محتفظًا بابتسامته الهادئة لما يراه من سعادة بعينيها.

لسنوات طوال ظلت تردد لنفسها كلمات كثيرة وأحاديث أكثر كانت تود أن تبوح له بها ولكن لدهشتها لم تعد تتذكر شيئًا الآن، تبخرت من

رأسها كل تلك الأحاديث التي كانت تتمنى رؤيته ولو لمرة أخيرة لتخبره بها كأنها ما كانت. رفعت رأسها تنظر إلى النيل بجانبها بابتسامة تفيض عذوبة وأنوثة قبل أن تلتفت إليه قائلة بامتنان:

– متشكرة أوي يا مراد.

اتسعت ابتسامته عند سماع صوتها وهز رأسه في تساؤل قائلًا:

– متشكرة على إيه يا ياسمين؟ أنا اللي متشكر إنك ادتيني فرصة أعمل حاجة تبسطك مرة واحدة في حياتي.

توردت وجنتاها لكلماته ليضيف هو:

– أنتِ عارفة إن دي أول مرة نحتفل بعيد ميلادك سوا من يوم ما عرفتك.

– آه تخيل فعلًا.

– يا رب أكون قدرت فعلًا أفرحك.

– جدًا بجد، أكيد باين على وشي.

– الحقيقة هو باين على وشك طبعًا بس هو في حاجات تانية كتير باينة على وشك من أول مرة شفتك.

عقدت حاجبيها الجميلين في تساؤل ليكمل هو:

– باين على وشك إنك مش سعيدة كمان يا ياسمين، باين إنك اتغيرتِ ما بقتيش ياسو المنطلقة المتفائلة بتاعة زمان.

لمح بعينيها دمعة تترقرق وهي تحاول منعها ليسألها بحنان:

– مالك يا ياسمين؟ ليه ما بقيتيش مبسوطة؟

تمنت لو أنها تستطيع أن تحتمي بذراعيه وتطلق لدموعها العنان على صدره حتى تستريح مما هي فيه، رفعت إليه عيناها الدامعتين قبل أن تجيبه:

– ما فيش يا مراد، مش موضوع مش مبسوطة قد ما هو وحدة في كل حاجة.

– جوزك فين يا ياسمين؟

– بيشتغل في دبي وحتى أجازاته مش بمواعيد، ياسر أخويا زي ما أنتَ عارف في تركيا مش بشوفه غير مرتين تلاتة في السنة لما بسافر له. حياتي كلها أنا ومراد وبس.

ابتسم مراد عند سماعه اسم صغيرها وكاد أن ينطق بكلمة لم تتبينها لبتره عبارته عند ظهور النادل وقد أحضر طبقين من شوربتها المفضلة التي ما إن رأتهما حتى صاحت بعفوية شديدة:

– onion soup!

ليبتسم هو في سعادة بعد أن أومأ للنادل في امتنان سائلًا إياها:

– شفتِ لسه فاكر إنها شوربتك المفضلة إزاي؟!

– آه فعلًا، أنتَ إزاي لسه فاكر كل التفاصيل دي يا مراد.

– إزاي لسه فاكر؟! وأنتِ إزاي سميتِ ابنك مراد بعد كل السنين دي يا ياسمين؟

أطرقت خجلًا قبل أن يكمل هو وكأنه لا ينتظر إجابة لسؤاله:

– إجابة السؤال دا هو إجابة السؤال دا بالظبط، وعارفة إجابة كمان سؤال أنا ليه طلبت أقابلك أول ما سمعت اسمك من رضوى.

نظرت إليه ياسمين في حيرة بعد أن تركت الملعقة من يدها وقد قررت أن تسأله بوضوح قائلة:

– أيوة ليه يا مراد؟ طيب أنا عارفة أنا سميت ابني مراد ليه وأعتقد إنك عارف من زمان برده، إنما أنتَ بكل اللي عملته زمان ليه تبقى لسه فاكر كل حاجة تخصني كدا.

وكأنه كان ينتظر سؤالها منذ سنوات، ما إن نطقته هي أجاب مسرعًا:

– علشان بحبك.

انتفضت ياسمين وقد اجتاحها مزيج غريب من مشاعر مختلطة،

فعلى الرغم من أنها أول مرة تسمعه فيها يقول تلك الكلمة التي انتظرتها كثيرًا، لكنها فوجئت بنفسها تشعر بضميرها أنها دفعت رجلًا آخر سوى زوجها ليسمعها إياها، ولكن ما إن تذكرت أكرم حتى اجتاحتها موجة غضب كبيرة كونه هو من تركها فريسة رجل آخر ببروده وبخله العاطفي. لا تستطيع أن تنكر أن بداخلها سعادة لاعترافه بحبها أخيرًا ولكن بداخلها أيضًا شعور بالذنب تجاه زوجها وابنها يحيل بينها وبين إحساسها هذا.

لم يستطع مراد معرفة ما يدور برأسها بعد اعترافه لها بحبه، فقط ظل صامتًا يتطلع لها وهي شاردة لا يعرف فيما يمكن أن تكون تفكر حتى همس مناديًا إياها:

– ياسمين.

– أيوة يا مراد.

– أنا ضايقتك في حاجة؟!

– لا أبدًا، بس بصراحة في مليون سؤال نطوا في دماغي أول ما قلت لي إنك كنت بتحبني.

– أنا قلت بحبك مش كنت بحبك يا ياسمين.

– أيوة يعني إزاي يا مراد؟! أنتَ فاكر أنتَ اختفيت كم مرة زمان؟ فاكر أنا استحملتك قد إيه وأنا متأكدة إنك كنت عارف حقيقة مشاعري ليك؟ فاكر آخر مرة قطعنا ليه؟

– فاكر وعمر ما حد استحملني قدك في حياتي، عمر ما حد حبني زيك.

– أيوة كلامك دا معناه إنك حاسس بقيمتي أو زي ما بيقولوا شعور بالامتنان مش حب يا مراد.

ما إن انتهت من عبارتها الأخيرة حتى نظر إليها بتحدٍ في دهشة قائلًا بإصرار:

– لا حب يا ياسمين، أنا مش عيل علشان ماعرفش الفرق بين الاتنين. أنا بحبك وعمري ما حبيت حد من بعدك.

ابتلعت ياسمين دموعها لتقول باستسلام وضعف:

– طيب إزاي حبيتني ورحت اتجوزت واحدة تانية من غير أي مقدمات؟ إزاي حبتني وأنتَ عمرك ساعتها ما قلتها لي مرة حتى؟ اقنعني يا مراد لو أنا ظلمتك.

– أنا حكيت لك قبل كدا إني وحيد أمي وأبويا وعندي أربع أخوات بنات، مش كدا؟

– أيوة بس دا إيه علاقته بسؤالي؟!

– اصبري بس.

قطع ظهور النادل مرة أخرى حديثه ليضع طبقين آخرين لم تنتبه لهما ياسمين مع شدة انتظارها لما سيقوله ذلك الجالس أمامها ليفتح لها قلبه كما لم يفعل من قبل، اعتدل مراد في مقعده ونظر إليها فور انصراف النادل ليكمل:

– أمي مع أخواتي تقدري تقولي كدا عصابة، أنتِ متخيلة همّ عاملين إزاي بجد يا ياسمين. أنا حكيت لهم عليكِ أيامها وقلت لهم إني عايز أخطبك، عارفة إيه اللي حصل؟!

– خير؟

– الدنيا ولعت، أمي رفضت إني أتجوز واحدة متربية برا، والأكتر كمان أخوها لسه هناك يعني يوم ما تغضب مين عارف تاخد ولادك وما ترجعش وأفلام هندي وطبعًا أخواتي عملوا جبهة واحدة معاها.

– طيب بما إنك بتقول إنه فيلم هندي، إيه اللي خلاك تمشي ورا كلامهم؟

– أنا ما سمعتش كلامهم يا ياسمين، بس أنا عارف أمي وأخواتي لو كنت اتجوزت واحدة هم رافضينها كانوا خلصوا عليها وحولوا حياتها

جحيم؛ خصوصًا إن أمي راحت جابت لي واحدة قريبتها وصممت تجوزها لي.

اتسعت عيناها البريئتان عند ذكره زوجته قبل أن تسأله في صوت أقرب إلى الهمس:

– واتجوزتها؟!

بصوت يحمل الكثير من الأسى أجابها باقتضاب:

– للأسف أيوة.

– وبعدين؟

– ما فيش، أديني منفصل ومش عارف أعيش وحاجة في منتهى التعاسة علشان أمي تتبسط.

– يعني أنتَ عايش مع مين دلوقتي ولا إزاي مش فاهمة؟!

– عايش في شقتي لوحدي وهي عند أهلها وكل واحد في حاله بس طبعًا أمي مش سايباني في حالي.

شعرت بغصة بقلبها لحاله لتقول في محاولة منها لتهون عليه:

– أنا آسفة أوي يا مراد إني خليتك تحكي حاجة مش عايز تحكيها.

– لا عادي ولا يهمك، أنا اللي آسف نكدت عليكِ وأنا أساسًا خارج أبسطك.

– لا عادي ولا يهمك.

– طيب يلا كلي علشان لسه في الحلو.

– حاضر يلا أنتَ كمان كل بقى.

ما إن انتهت ياسمين من تناولها طعامها حتى أشار مراد إلى النادل الذي أتى مسرعًا، ليحمل الأطباق الفارغة قبل أن يحضر كعكة عيد ميلاد صغيرة من الكراميل كتب عليها بالإنجليزية:

«U were missed so much لقد افتقدتك كثيرًا..»

ابتسمت ياسمين عند رؤيتها وتوردت وجنتاها في حين ابتسم هو

بعذوبة قائلًا:

– كل سنة وأنتِ طيبة وجميلة وحنينة زي ما أنتِ يا ياسمين، عارف بتحبي الكراميل.

– أيوة صح، وأنتَ طيب يا مراد.

أمام بوابة نادي الجزيرة أوقف مراد أبو غيدة سيارته مرة ثانية بعد أن أمضى ثلاث ساعات مع من ظل يحاول العثور عليها لسنوات طويلة. التفت لينظر إليها وكأنه يضم ملامحها التي طالما افتقدها قبل أن يقول بحب كبير:

– ياسمين، أنا متشكر جدًا إنك سمحتي لي أحتفل معاكِ بعيد ميلادك ومتشكر جدًا على إنك خليتيني أتكلم وأحكي كل اللي في قلبي بعد كل السنين دي.

لم تجد ياسمين ما تجيب به سوى ابتسامة عذبة وعينين عاشقتين ظلت تنظر بهما له وكأنها تعوضهما عن سنوات افتقدتاه بها. صمت مراد لدقائق قليلة قبل أن يكمل في رقة:

– ومتشكر كمان إنك لبستِ السلسلة وأنتِ جاية.

– أنا اللي متشكرة جدًا عليها، بجد أحلى هدية جت لي في حياتي.

ابتسم مراد في سعادة لتضيف هي:

– مراد.

– أيوة يا ياسمين.

– ميرسي إنك جاوبت على أسئلة كتيرة كانت في دماغي من سنين وميرسي على اليوم الجميل دا.

– أنتِ تستاهلي أكتر من كدا بكتير، أنتِ فعلًا أحسن حاجة حصلت لي في حياتي وأكتر حاجة ندمان عليها في حياتي كمان.

اعتدلت ياسمين في مقعدها قبل أن تمسك بحقيبتها وتفتح باب السيارة التي أوقفها مراد بجانب سيارتها قبل أن يبتسم مستأذنًا:

– ياسمين بعد إذنك همشي وراكِ لحد البيت علشان أطمن عليكِ إنك وصلتِ، الوقت اتأخر وأنتِ عايشة لوحدك برده، فمعلش عايز أطمن عليكِ.

في طاعة وعذوبة أجابته:

– أنا بس مش عايزة أعطلك بس اللي يريحك، أنا أصلي بصراحة مش متعودة أروح متأخر كدا، فبرده خايفة شوية.

ضحك مراد لبراءتها وهو يتابعها تستقل سيارتها بعد أن تركته وقد ظهرت على ملامحها علامات سعادة لم تكن هناك من قبل.

ظلت ياسمين تتطلع طوال الطريق لمنزلها بمرآة سيارتها حتى تطمئن أنه يتبعها كما قال حتى أوقفت سيارتها أسفل البناية، ونظرت إليه في امتنان من بعيد قبل أن تصعد لشقتها وهي تكاد تطير فرحًا بذلك اللقاء الذي انتظرته طويلًا.

بدلت ملابسها واستلقت بفراشها استعدادًا للنوم..

ولكنها تذكرت أنها لم تطمئن على مراد فما كان منها إلا أن نهضت تبحث عن هاتفها بحقيبة يدها قبل أن تجده لتعود بعدها لفراشها وهي متلهفة لترى ماذا أرسل لها بعد عودته.

ما إن فتحت الهاتف حتى وجدت أن أكرم قد حاول الاتصال بها عدة مرات، ولكن يبدو أنه قد يئس من ردها عليه فقام بإرسال رسالة لها. ترددت ياسمين كثيرًا أمام رسالة زوجها، أتقرأها الآن أم تتركها للصباح ليقينها أن ما بها حتمًا سيضايقها ولكنها قررت أن تفتحها وألا تنتظر للغد.

«ياسمين، أنا آسف، عارف إني ضايقتك علشان كدا حاولت أكلمك كتير علشان أصالحك وما تناميش زعلانة مني بس تقريبًا ما كنتيش سامعة الموبايل. حقك عليَّ، ابقي طمنيني عليكِ، بحبك».

ظلت ياسمين تعيد قراءة الرسالة مرة تلو الأخرى لا تصدق التغيير

الذي طرأ على زوجها، وتذكرت ذلك الموعد الذي عادت منه لتوها فاندفعت الدموع من عينيها فجأة، كمدينتين بعديتين يفصل بينها وبين زوجها فرق توقيت. يدير لها أكرم ظهره عند حاجتها له ويعود ليقرر إعطائها ما أرادت ولكن حسب توقيت مدينته هو المحلي لا مدينتها هي.

وسط دموع كثيرة لم تكن هناك منذ ساعات قليلة علا رنين هاتفها حاملًا اسم مراد، الذي ما إن رأته ياسمين حتى وضعت الهاتف جانبها وهي تقاوم أن تجيبه حتى صمت صوته أخيرًا لتمسكه وتقوم بكتابة رسالة ترد بها على زوجها النائم بعد أن ترك لها ما يؤلم ضميرها ويحيل بينها وبين نومها طوال ليلة كانت تظن أنها الأجمل منذ أعوام.

«حصل خير يا أكرم، بس لو بجد بتحبني حاول ترجع ولو أجازة صغيرة قريب، أنا بجد محتاجة وجودك دلوقتي أكتر من أي وقت تاني. مستنياك».

***

–11–

استيقظت ياسمين في صباح اليوم التالي على صوت هاتفها لتجيب في فزع دون أن ترى من ذلك الذي يتصل بها في السادسة صباحًا:

– ألو.

– أيوة يا ياسمين.

تنهدت عند سماعها صوت أكرم لتسأله بلهفة:

– خير يا أكرم، في حاجة ولا إيه؟

– لا ما تقلقيش أنا بس كلمتك إمبارح كذا مرة لاقيتك مش بتردي قلت يمكن مش سامعة الموبايل فقلت أكلمك أصحيكِ، مش مراد بينزل في المعاد دا؟

زفرت ياسمين في راحة قبل أن تعتدل قائلة:

– لا مراد بايت عند طنط من إمبارح علشان أنا خرجت بالليل، فكنت هصحى على ميعادي أنا على طول ومش متعودة إنك تكلمني في الميعاد دا، بس علشان كدا اتخضيت. المهم أنتَ عامل إيه؟

– مراد بايت عند ماما، غريبة ما قالتش إنه عندها. أنا تمام الحمد لله.

– ما قالتش؟! أنتَ كلمت طنط إمبارح أصلًا؟

شعر أكرم أنه أخطأ عندما أشار إلى اتصاله بأمه في اليوم السابق، وابتسمت ياسمين ابتسامة سخرية لتفسيرها تغيره المفاجئ معها أمس. تردد أكرم قبل أن يجيبها:

– آه اتكلمنا إمبارح، طمنيني عليكِ.

– أنا الحمد لله كويسة.

– أمال إيه المسج اللي بعتيها لي دي، قلقتيني عليكِ.

– لا ما تقلقش أنا بس زهقانة ونفسي تيجي حتى ولو أجازة صغيرة نسافر أو نغير جو بأي طريقة.

– إن شاء الله يا ياسمين، هاجي إن شاء الله بس الفترة دي مشغول شوية.

– هو ما ينفعش حتى تنزل ويك إند وتاخد عليه يومين بس؟

تعلم جيدًا أنه يمل من إلحاحها، ولكنه حاول السيطرة على انفعالاته ليقول بهدوء:

– أنزل من دبي لمصر علشان 4 أيام يا ياسمين؟! لا أكيد مش هينفع.

صمتت في يأس وشعر هو بإحباطها ليحاول إرضاءها مضيفًا:

– بصي بصراحة أنا بحوش الأجازة علشان أنزل في الصيف أجازة طويلة شوية، نعرف نروح لياسر وممكن نسافر أي مكان تاني تختاريه.

– الصيف؟! أنت مش هتنزل أجازة قبل الصيف يا أكرم؟

شعر أنه قد بدأ يفقد صبره أمام إلحاحها الذي لا يعرف له سببًا ليقول بنبرة صوت قاسية منهيًا الاتصال:

– طيب ياسمين بقول لك إيه علشان ما تقلبش خناقة في أول اليوم كدا، قومي البسي وأنا كمان وصلت شغلي ونبقى نكمل كلامنا وقت تاني علشان لا تزعلي مني ولا تزعليني.

انتظرت ياسمين في صمت حتى انتهى من كلامه لتقول بهدوء من استسلم أخيرًا لما رفضه كثيرًا:

– حاضر يا أكرم، يلا مع السلامة.

أدهشه رد فعلها الهادئ المختلف عن ردود أفعالها الغاضبة التي اعتادها ليقول بشرود:

– مع السلامة يا ياسمين.

أغلقت ياسمين الخط ووضعت هاتفها جانبًا قبل أن تعتدل وتجلس تفكر فيما يحدث لها منذ ليلة أمس، ولكن ما إن تذكرت مراد حتى عادت لتمسك هاتفها تبحث عن اسمه فوجدت أنه قد حاول الاتصال أمس ولكنها لم تسمعه فأرسل لها رسالة يقول:

«شكلك نمتِ، بس أنا حبيت أشكرك على اليوم جدًا وحبيت تعرفي إن دا أحلى وقت قضيته بقى لي مدة كبيرة، أنا بحبك يا ياسمين».

في حيرة تنهدت ياسمين قبل أن تضع هاتفها جانبًا وتنهض لتنظر إلى نفسها في مرآتها للحظات قليلة، لتعود بعدها وتمسك هاتفها لتكتب رسالة لدينا تخبرها فيها أنها لن تذهب لعملها اليوم فهي متعبة جدًا، انتهت من كتابة الرسالة وقامت بإرسالها ثم أغلقت هاتفها وعادت لفراشها تحاول النوم مرة أخرى.

لا تدري كم من الوقت نامت، ولكنها تشعر وكأن عقلها قد قرر الهروب من كل ما يحيط بها بالنوم، فتحت ياسمين عينيها للمرة الثانية في هذا اليوم لتجدها الثانية عشر والنصف ظهرًا، فقررت أن تنهض

لتأخذ حمامًا دافئًا وتعد لنفسها إفطارًا شهيًا تتناوله أمام شاشة التلفزيون وهي تشاهد أحد الأفلام الحديثة دون أن تفتح هاتفها أو تخبر أحدًا سوى دينا أنها بمنزلها ولم تذهب إلى العمل اليوم. كانت تعرف أن كل ما تقوم به تفعله فقط هربًا من مراد خاصة بعد أن شعرت بضعفها الشديد أمامه بعد مقابلتها له ليلة أمس.

ظلت ياسمين بمنزلها حتى السادسة مساء تاركة هاتفها مغلقًا وقد قررت أن تتركه مغلقًا حتى صباح اليوم التالي فهي لا تشعر أن هناك ما يجبرها أن تفعل غير ذلك، قضت يومها ما بين فراشها والشرفة وهي تقاوم افتقادها لمراد حتى أنها قررت أن تذهب لتبيت مع وحيدها عند راوية هذه الليلة وكأنها تحتمي بمن حولها منه ومن حبه الذي بدأت شعلته تعلو داخلها من جديد.

كان يومها يسير وفقًا لما خططت له حتى سمعت طرقات على بابها في السادسة والنصف لتجدها دينا قد أتت لتطمئن عليها بعد أن ملت من محاولات الاتصال بها طوال اليوم دون جدوى. ما إن فتحت لها ياسمين الباب حتى اندفعت دينا تسألها في قلق:

– ياسمين أنتِ كويسة؟

– آه الحمد لله مالك، مخضوضة ليه كدا؟

– مخضوضة ليه؟ مش عادتك تاخدي أجازة أصلًا وبعدين قافلة موبايلك ليه من الصبح؟ أنا زهقت بحاول أكلمك أطمن عليكِ مقفول مقفول خفت تكوني تعبانة بجد قلت أعدي أشوفك.

ابتسمت ياسمين لتكمل دينا في فضول:

– مالك، فيكِ إيه مش مظبوط؟

رفعت ياسمين نظرها لصديقتها وفي تحدٍ كأنما أرادت أن تبوح بما تحمل لأحد سواها ليسمعها ما تكرره هي لنفسها منذ أمس.

– أنا خرجت إمبارح بالليل.

– طيب وفيها...

– مع مراد

– مع إيه؟ مع مين قصدي؟

– أيوة يا دينا مع مراد.

ظهرت علامات الحيرة والذهول على وجه تلك التي كانت تظن أن صديقتها مريضة ولكنها أبدًا ما خطر ببالها ما سمعته لتوها من قبل. صمتت دينا للحظات وكأنها تفكر ماذا يجب عليها أن تقول في مثل هذا الموقف لتبتلع صدمتها أخيرًا وتبدأ كلامها بهدوء أم تحاول أن تصادق ابنتها المراهقة:

– بصي يا ياسمين، أنتِ طبعًا عارفة كويس إني أكيد مش موافقة ولا هيعجبني اللي حصل دا بس زي ما بقول لك هو حصل وخلاص، وتصرفك النهاردا إنك تقعدي في البيت وتقفلي تليفونك دا معناه إنك ندمانة ومتضايقة من نفسك كمان على اللي عملتيه، صح ولا في حاجة تاني أنا ماعرفهاش؟

أطرقت ياسمين في صمت ففهمت دينا أنها أصابت الهدف وأن تلك المعذبة تشعر بتأنيب الضمير مما فعلت أمس فقررت ألا تقسو عليها وأن تحاول محاورتها بهدوء ومنطق لتكمل:

– ياسمين، تفتكري مراد عايز منك إيه؟

– بيحبني، بيحبني يا دينا.

– دا إحساسك ولا هو اللي قال لك؟

– هو اللي قال لي إمبارح.

– تمام، طيب هو منتظر إيه من الحب دا؟!

عقدت ياسمين حاجبيها الجميلين في تساؤل وهي تستوضح قائلة:

– لا مش فاهمة، تقصدي إيه؟

– أقصد لما هو بيحبك اتجوز واحدة تانية ليه؟

– مامته وأخواته ما كانوش موافقين عليَّ.
– وهما يعرفوكِ منين أساسًا علشان يوافقوا ولا يرفضوا؟
– لا هما كانوا رافضين مبدأ إنه يتجوز واحدة أصلًا مش مصرية وكمان مش متربية هنا.
– آه، وأنتِ بقى صدقتِ الكلام دا.
– وهو إيه اللي يخليه يكذب دلوقتي؟! أنتِ اللي ليه مكذباه؟
– أقول لك، أولًا الراجل اللي أنا شفته دا مش نوعية الرجالة اللي ماما تختار له عروسة أو تمشي كلامها عليه. دا واحد عينيه كلها قوة ومش سهل خالص دا أولًا، ثانيًا بقى هنفترض إن دا هو السبب وإنه راح اتجوز اللي هما موافقين عليها إيه اللي يخلي راجل متجوز يقول لحبيبته القديمة الكلام دا دلوقتي رغم إنه زمان سابها من غير أي أعذار أو تفسير؟
– لا هو مش متجوز دلوقتي، هو منفصل وعايش لوحده.
– آه بس أنتِ متجوزة، مش حاسة إن دي أنانية منه إنه يحكي لك كلام زي دا، وهو أكيد حاسس إنك لسه جواكِ حاجة ليه وأنتِ ست متجوزة؟!
– دينا، مراد عارف من أول مرة شافني فيها إني ست مش سعيدة في جوازي.
– مممممم، كدا أنا فهمت. هو انفصل وراجع عايز يحس إنه مرغوب ولسه بيتحب وكدا وطبعًا ما فيش غيرك تنفع تقوم بالدور دا.
– يعني إيه؟
– يعني الست الحلوة بنت الناس اللي ياما استحملته وكانت مستنية بس كلمة منه وهو بخل بيها زمان علشان ما يربطش نفسه بأي حاجة تتاخد عليه وعد، إنما دلوقتي هي متجوزة، فمش هتبقى مستنية حاجة وفي نفس الوقت مش سعيدة فما هتصدق تسمع كلام حلو وخصوصًا

لو من الراجل الوحيد اللي حبته في حياتها.

نظرت لها ياسمين في حيرة تحاول فهم ما تقصده صديقتها بكلامها لتوضح لها دينا قائلة:

– يعني هيرضى غروره من غير ما يبقى مضطر يوعد بحاجة وكونك أنتِ متجوزة دا هيخليكِ مستمتعة بس بعلاقتك بيه من غير ما تطلبي أي حاجة أكتر من كدا. دا تعبان يا ياسمين.

– لا مش ممكن يكون كل دا في دماغ مراد يا دينا، مستحيل هو مش بشع كدا.

– أنا مش هجادل معاكِ ولا هحاول أثبت لك يا ياسمين علشان عارفة إن عقلك يوزن بلد وهتفكري في كلامي مع نفسك وتلاقيه منطقي جدًا عن الكلام الفارغ اللي هو بيقوله دا. المهم أكرم عامل إيه؟

تنهدت ياسمين في أسى قبل أن تجيبها وهي تنظر بعيدًا:

– إمبارح كلمني بس ما ردتش عليه، راح بعت لي مسچ اعتذار وبحبك وكدا، فبعت له أتحايل عليه ينزل أجازة وأقول له إني محتاجة له.

– وبعدين؟

– كلمني الصبح لما قراها وبرده قلت له ينزل ولو حتى كم يوم مع ويك إند، عارفة قال لي إيه؟

– قال لك إيه؟

– قال لي خلينا نقفل دلوقتي علشان ما نقلبهاش خناقة، وهو مجمع الأجازات علشان ينزل في الصيف ونسافر لياسر سوا وممكن نسافر أي مكان تاني.

زفرت دينا في ضيق قبل أن تقول وهي تحاول قراءة أفكار صديقتها:

– وطبعًا اتخانقتِ وقفلتوا زعلانين؟

– لا خالص.

– بتتريقي؟!
– لا والله خالص، سكت ولا قلت حاجة.
صمتت ياسمين للحظات قبل أن تضيف:
– عارفة يا دينا أنا سكت ليه؟
– أكيد تعبتِ خناق.
– لا خالص، بس لاقيت إني من جوايا مش عايزة أكرم يجي ولا واحشني ولا أنا برتاح في وجوده.
– لا مش فاهماكِ يا ياسمين.
– أنا بتحايل عليه ينزل علشان أشغل وقتي وأفكر نفسي إني متجوزة وأوهم نفسي إننا عايشين حياة طبيعية بس دي مش الحقيقة. أنا لا ببقى مبسوطة معاه ولا حياتنا طبيعية ولا هو بيملى وقتي.
– للدرجة دي يا ياسمين!
– عارفة يا دينا أنا ليه رفضت أسافر دبي مع أكرم؟!
– علشان مراد ما يطلعش وحيد زي ما عدم الاستقرار عمل فيكِ.
– دي الحجة اللي مسكت فيها، لكن الحقيقة هي إن أنا مش حاسة بأي أمان مع أكرم علشان أتغرب معاه. أنا طول عمري وحيدة ولما اتجوزت أكرم افتكرت إنه هيكون السند والعوض لكن ما حصلش لا بقى سند ولا عوض، وكنت حاسة برده بالوحدة في وجوده فأكيد مش هزود الوحدة وأسافر مكان ما عرفش فيه غيره.
– يا نهار أبيض يا ياسمين تخيلي أنا عكس اللي أنتِ بتقوليه دا تمامًا.
– مش فاهماكِ.
– أنتِ عمرك ما سألتِ نفسك أنا إيه اللي وصل علاقتي بمصطفى لكدا؟
– أنتِ قلتِ لي الروتين والحياة وبروده.

هزت دينا رأسها في نفي قائلة:

- لا، مصطفى خانني بعد ما ولدت تاني مرة.

في دهشة رفعت ياسمين حاجبيها قبل أن تضع يدها على فمها وقد صدمها ما سمعت من تلك الحسناء الجالسة أمامها تكمل:

- هو عرف واحدة عليَّ وأنا متأكدة إن الموضوع ما تعداش إنه كان بيحاول يملى وقت فراغه، خصوصًا بانشغالي مع الولاد، بس أنا حاسة كرامتي انجرحت وأنوثتي كمان، للأسف رغم اعترافي بتقصيري وقتها وطبعًا هو ساب البيت فترة من غير ما حد يعرف ورجع اعتذر بس هو من جواه مكسوف مني وحاسس بإهانة إنه اتقفش. فاهماني؟

- آه جدًا.

- من ساعتها واحنا عايشين على أمل إني أنسى وإنه يقتنع إن رد فعلي طبيعي في الموقف دا.

- غريبة إنكم مكملين رغم إن العلاقة بينكم وصلت لكدا.

- علشان بحبه لسه وعارفة إنه بيحبني ورغم كل حاجة لسه عندنا استعداد نستحمل أي حاجة بس نفضل مع بعض على أمل الأيام تداوي، لما ساب البيت وحشني ما تخيلتش حياتي في غيابه واشتقت له فعلًا.

- ياه يا دينا.

- شفتِ الفرق بيني وبينك، أنتِ وصلتِ لمرحلة إنك تستحملي أي حاجة بس تبعدي عن أكرم وأنا بحاول أعدي أي حاجة بس نفضل أنا ومصطفى مع بعض.

ترقرقت دمعة في عين دينا حرصت على منعها قبل أن ترفع رأسها فجأة وكأن فكرة ما قد خطرت ببالها للتو لتنظر إلى تلك الجالسة أمامها تفكر فيما سمعته من دقائق:

- ياسمين بقول لك إيه؟!

– قولي يا دينا.

– أنا هثبت لك إن مراد دا تعبان وكل همه يحس بنفسه على حساب أي حد.

– إزاي؟

– أنتِ مش بتقولي إنه منفصل؟!

– آه.

– خلاص تمام، لما يكلمك المرة الجاية ما دام حبك متمكن منه كدا وهو عارف إنك تعيسة في جوازك قولي له أنا هطلب الطلاق ونتجوز أنا وأنت حتى لو من ورا أهله.

– نعم؟!

– اعملي كدا بس وأراهنك إن رده هيبهرك صدقيني.

صمتت ياسمين تفكر فيما اقترحت صديقتها ولدهشتها لا تعرف لمَ شعرت بشيء ما داخلها يؤيد حديث دينا وشعرت بقلق من أن تخذل للمرة الثانية على يد من لم تحب سواه.

***

–12–

تركت دينا صديقتها وذهبت بعد أن نجحت خطتها لكشف حقيقة نوايا مراد في السيطرة على تفكير ياسمين وبدأت تفكر في كيفية تنفيذها وقد عزمت على أن تترك هاتفها مغلقًا حتى تحسم أمرها.

ارتدت ياسمين ملابسها استعدادًا للذهاب إلى منزل والدة أكرم وقد عزمت على قضاء ليلتها هناك خاصة وأن غدًا الجمعة ليس لديها ما يدفعها للعودة لقضاء الوقت بمفردها بمنزلها، فقررت أن تقضي ليلتها هناك على أن تصطحب وحيدها وجدته وجده غدًا ليذهبوا جميعًا إلى النادي لقضاء يومهم هناك وتعود بمراد إلى منزلها في المساء وكأنها تهرب

مما بداخلها في الزحام والناس كي لا تدع نفسها فريسة لوحدتها طوال الوقت.

قضت ياسمين ليلتها واليوم التالي مع مراد وأسرة زوجها التي رحبت بها بشدة خاصة وأنها المرة الأولي التي تقرر فيها المبيت معهم منذ زواجها من أكرم، مما أكد لراوية شكوكها حول تعاسة زوجة ابنها ووحدتها في غيابه. لاحظت راوية هاتف ياسمين المغلق ليومين وعدم محاولة أكرم الاتصال بوالدته للاطمئنان على زوجته وصغيرِه؛ مما يعني أنه لم يحاول الاتصال بياسمين منذ اليوم السابق وإلا كان اكتشف هاتفها المغلق. اشتعلت راوية غضبًا بسبب إصرار أكرم على تجاهل احتياجات زوجته، والتي دفعت المسكينة للهروب منها إلى أسرته للاحتماء بهم، ولكنها تعلم جيدًا أن ما تحتاجه المرأة من اهتمام زوجها لا يعوضه آخرون.

مضى يومان منذ لقاء مراد وياسمين وما زالت الأخيرة تفكر فيما يجب عليها فعله وفيما أكدته دينا من أن ذلك العائد بعد سنوات غياب، لا يبحث سوى عن امرأة ترضي غرور الرجل بداخله، ولا ينوي القيام في حياتها سوى بدور الحبيب دون وعود ومسؤوليات. ظنت أنها بإغلاق هاتفها وبعدها عن اتصالاته ورسائله ستكون قادرة على حسم أمرها في هدوء، ولكن ها هي في طريقها عائدة إلى منزلها بعد مرور يومين ولا تزال الأفكار برأسها مزدحمة مشوشة لا تستطيع الهرب من إحساس الخيانة المسيطر عليها منذ رؤيته ولا تستطيع نفي أن يكون عائدًا فقط ليرضي نفسه كما أخبرتها صديقتها. ما زالت ممزقة بين أن تأخذ قرارها بالانفصال فعليًا وتخبره بعدها، أم أن تطلب منه الابتعاد عنها مهما كانت دوافعه في معاودة الاتصال بها، يحبها أم يستغل حبها له لا فرق إذًا وقتها إن هي قررت الاستمرار مع أكرم. زفرت ياسمين بقوة حائرة وهي تنظر إلى ذلك الملاك النائم بالمقعد المجاور لها وهي تردد:

– لو ما كنتش أنتَ يا مراد، أنتَ بس اللي مخليني متلخبطة كدا،

وعلشان خاطرك أنتَ بس أنا ممكن أعمل أي حاجة.

ما إن وصلت أسفل منزلها وأوقفت سيارتها حتى لمحت سيارة مراد واقفة أمامها وبداخلها يجلس هو في ترقب وقد رفع حاجبيه في غضب وقلق. انتفضت ياسمين عند رؤيته فقد كان آخر ما تتمنى أن يصل لها قبل أن تحسم أمرها معه ولكنها للأسف وجدت نفسها أمامه وحدها لا تعرف ماذا عليها أن تفعل ولكن كل ما تعرفه هو أنها ما زالت تطمئن عند رؤيته، ما زال وجوده وحده قادر على أن يبث إحساس الأمان بقلبها.

ظلت ياسمين داخل سيارتها تنظر إليه وقد ظهرت على وجهه علامات الغضب قبل أن يمسك بهاتفه ويطلب رقمًا فهمت بعدها أنه رقمها عندما لوح لها بهاتفه في استفهام وكأنه يحاول فهم سبب إغلاقها هاتفها. لا تعرف لمَ كانت تشعر وكأنها أخطأت بحقه، وكأنه محق في غضبه منها، ظلت تفكر لدقائق قليلة فيما يجب عليها قوله لتبرير اختفائها منذ ذلك اليوم حتى خطرت ببالها فكرة لتعبر بها ذلك الموقف فرفعت رأسها تنظر إليه بإيماءة خفيفة وكأنها تخبره أن ينتظر لتفسر له ما حدث.

التقط مراد إشارتها فهدأ غضبه قليلًا ليراها بعدها تنظر جانبها لتوقظ صغيرها النائم قبل أن تصحبه وتختفي داخل العقار في طريقها لشقتها، فيما ظل هو منتظرًا بالأسفل على أمل أن تكون إيماءتها تعني أنها ستعود إليه بعد أن تضع ابنها في فراشه. انتبه مراد من شروده على صوت رسالة على هاتفه تخبره أن ياسمين قد فتحت هاتفها ليعاود هو الاتصال برقمها ربما للمرة المائة منذ تركها ذلك اليوم.

ما إن فتحت ياسمين هاتفها حتى علا رنينه معلنًا استقبال عدة رسائل من مراد تخبرها محاولته الاتصال بها عدة مرات اليومين الماضيين وعلى غير عادته وجدت رسالة أخرى تخبرها بمحاولة ياسر أخيها الاتصال بها عدة مرات أمس، ظلت تحدق بتلك الرسالة الخاصة

باتصال ياسر وهي تفكر ماذا يمكن أن يكون سبب اتصاله غير المعتاد بها، ولكن قبل أن تجد الإجابة رن هاتفها حاملًا اسم من ما زال ينتظر بالأسفل على أمل أن تعود ثانية. وعلى الرغم من توصلها لحجة تهرب بها من غضبه لاختفائها إلا أنها ارتبكت عند ظهور اسمه على هاتفها لتتردد قليلًا قبل أن تجيب في ضعف وارتباك:

– ألو.

– ألو إيه يا ياسمين؟ أنتِ فين من يوم الأربع؟ حرام عليكِ؟!

– معلش رجعت نمت وصحيت نزلت من غير ما آخد بالي إني نسيت الموبايل وبعدين رحت عند طنط جدة مراد كنت بايتة هناك ولسه راجعة حالًا.

– الحمد لله إنك كويسة، كنت قلقان عليكِ أوي وحاسس بقلة حيلة مش عارف أوصل لك إزاي ومخنوق بجد.

– أنا آسفة معلش.

– ولا يهمك، أنا اللي آسف إني جيت تحت البيت، بس لما عديت امبارح...

قاطعته في دهشة:

– عديت إمبارح؟!

– آه جيت بالليل ما لاقيتش عربيتك وفضلت واقف لغاية الساعة واحدة تقريبًا ما فيش فايدة فمشيت.

– يا نهارك أبيض يا مراد، فضلت واقف تحت لحد واحدة!

– أنتِ مش متخيلة أنا كنت قلقان عليكِ إزاي وما فيش في ايدي حاجة أعملها غير إني آجي أستنى أطمن بأي طريقة.

لم تجد ياسمين ما تقوله لمراد، فقط قفز حديث دينا بعقلها فجأة وشعرت أن من يحدثها الآن لا يمكن أن يكون قد عاد ليرضي غروره فقط.

– ياسمين.

انتبهت على صوته يناديها برقة عاشق لا يمكن أن تخطأها:

– أيوة يا مراد.

– عايز أقول لك حاجة بصراحة.

– اتفضل.

– بصي أنا حاسس إنك قفلتِ الموبايل قصد مش موضوع إنك نسيتيه ولا حاجة.

فاجأتها كلماته وشعرت بالخجل من أن يراها كاذبة، وقد أربكتها صراحته لتصمت في حرج لا تعرف بما تجيب فأكمل هو وقد شعر بما يدور برأسها:

– مش عايزك تقولي لي أنا صح ولا غلط، أنا بس حابب أقول لك إنك عمرك ما كنتِ وحشة ولا أنا عمري هفكر فيكِ كدا. أنا حاسس بيكِ وفاهمك كويس وعارف مين هي ياسمين أورهان من زمان فبطلي تجلدي نفسك وخليكِ واثقة إني عمري ما هبقى عبء عليكِ ولا عمري هضرك، فاهماني يا ياسمين؟

تنهدت بأسى وقد شعرت أنها تود أن تبكي بين ذراعيه الآن، كم تتمنى لو تستطيع فعلها لتلقي بكل ما يمزقها على صدره.

– فاهماك يا مراد.

– بس كدا، دا اللي يهمني تعرفيه وتبقي متأكدة منه كويس.

– أنا متأكدة!

صمتت للحظات قبل أن تناديه بعذوبة:

– مراد.

– أيوة يا ياسمين.

– متشكرة أوي على كل حاجة.

– ياسمين.

- نعم.
- أنا بحبك، بحبك بس.

علت دقات قلبها عند نطقه بها وقد نطقها قلبها أيضًا، ولكنها منعت نفسها من أن تعلن عن مشاعرها فما يزال بداخلها جزء يمنعها من البوح بمشاعرها دون تفسير. طال صمتها ليسألها بحماس فجأة:

- لسه بتحبي إسكندرية؟

ضحكت لبراعته في تغيير حديثهما بعد أن شعر بحيرتها لتجيبه بحماس:

- لسه بحبها؟! هو أنا عمري أقدر ماحبهاش، دي أحلى حاجة في الدنيا.
- مش عايزة تروحي يوم؟

فاجأها سؤاله وابتسمت لقدرته على إسعادها في كل مرة يحدثها بها، ولكنها عادت لتلك المقارنة بينه وبين زوجها حين تذكرت كيف حاولت أكثر من مرة أن تقنعه أن يذهبا للإسكندرية في أجازة ولو قصيرة، ولكنه في كل مرة يرفض لعدم حبه غير المبرر لهذا المكان، لتبتسم بخيبة أمل لأنانيته وكيف لا يستطيع التضحية ولو ليوم واحد حتى يسعدها. للمرة الثانية تنتبه من شرودها على صوت مراد مناديًا:

- ياسمين، أنا معطلك عن حاجة؟
- لا خالص، بس فكرتني بإسكندرية فسرحت شوية. تخيل مجرد تفكيري فيها بيسعدني ويخليني مبسوطة.
- طيب إيه؟ تحبي نروح نتغدى هناك يوم ونرجع على طول؟
- مش عارفة يا مراد والله، بس صعب دلوقتي.
- خلاص ما فيش مشكلة، وقت ما تحبي خليكِ عارفة بس إني مستعد أي وقت وجاهز.
- خلاص تمام.

- طيب يلا أنا الحمد لله اطمنت عليكِ أروح بقى وأنتِ قومي علشان تنامي وبكرة نتكلم.

- حاضر، تصبح على خير.

- وأنتِ من أهله يا ياسو، باي.

- باي يا مراد.

أغلقت ياسمين الخط وهي تبتسم في سعادة تعلم أنها زائفة، كم اشتاقت لمحادثات الهاتف المليئة بالمشاعر تلك. كم اشتاقت لشعورها باهتمام أحدهم الذي لا يخلو من بعض اندفاع المراهقة بها هكذا. جلست وهي ما زالت تمسك بهاتفها تفكر في مراد وكيف يعرف جيدًا مفاتيح سعادتها، يجيد العزف على أوتار قلبها باحتراف. زفرت في يأس من حالها ونهضت لتضع هاتفها جانبًا قبل أن تذهب لتبدل ملابسها استعدادًا للنوم ولكن ما إن فعلت حتى سمعت رنين هاتفها يعلو لتجده شقيقها وترد في حماس:

- أيوة يا ياسر، إزيك؟

- إزيك أنتِ يا ياسمين؟ وحشتيني جدًا. فينك يا بنتي؟

- أنتَ كمان وحشتني أوي والله، معلش الموبايل كان فاصل شحن وكنت عند طنط راوية من امبارح.

- عند طنط راوية ليه؟ في حاجة ولا إيه؟ أنتِ كويسة؟

- آه يا حبيبي كويسة، عادي كنت زهقانة فقلت أبات عندهم يوم تغيير.

- طيب الحمد لله، كل سنة وأنتِ طيبة يا ياسو.

- وأنت طيب يا ياسر، أنا قلت أنتَ نسيت..

- لا يا ستي فاكر وكنت عامل لك مفاجأة بس باظت بسبب موبايلك المقفول.

- مفاجأة؟ مش فاهمة.

– فاكرة عمر؟
– عمر مين؟
– عمر اللي كان ابن جيران ماما زمان يا ياسمين، اللي كان موجود هنا أجازتكم اللي فاتت مع مراته ورحنا أنطاليا سوا.
– ااااااه افتكرته، ماله؟
– كان هنا من أسبوع وبعت لك هدية معاه وقلت أستنى ليوم عيد ميلادك يجيبها لك بس ما كانش فاضي الأربع وصل لك الخميس، وأنا بقى عامل مسيطر وبعد ما وصل بكلمك علشان تنزلي له لقيت موبايلك مقفول وشكلي مش عايز أقول لك قدامه عامل إزاي.
ضحكت ياسمين كثيرًا لما تسببت به لأخيها قبل أن تسأله:
– وبعدين يا مسيطر؟
– ولا حاجة هو الراجل ذوق جدًا بصراحة وقال لي ما فيش مشكلة آجي لها تاني، هبعت لك رقمه كلميه وقت ما يناسبك وقابليه خدي هديتك منه. أوكي؟
– حاضر يا ياسر من عيني، وآسفة والله إني حطيتك في الموقف دا. وتسلم يا حبيبي على تعبك ربنا ما يحرمني منك.
– آمين يا حبيبتي، هبعت لك رقمه أول ما تقفلي بس اوعي تنسي تكلميه يا ياسمين.
– لا والله حاضر ما تقلقش.
– تمام يا ياسو، محتاجة أي حاجة؟
– سلامتك يا حبيبي بس سلم على الولاد.
– حاضر يوصل، بوسي لي مراد.
– حاضر. يلا تصبح على خير.
– وأنتِ من أهله حبيبتي.
أغلقت ياسمين هاتفها لتضعه بجانبها وتستغرق في النوم سريعًا

حتى أنها لم تسمع صوت رسالة أخيها التي تحمل رقم ذلك المجهول الذي جاء حاملًا لها هدية ياسر.

***

-13-

استيقظت ياسمين في اليوم التالي وابتسامتها لا تزال تنير وجهها منذ مكالمة أمس التي أحيت داخلها مشاعر كانت قد ظنت أنها غادرت بلا عودة. عادت إليها لمعة عينيها التي أطفأها إهمال زوجها لها، عادت دقات قلبها تعلو لرنة هاتفها، شعرت وكأنها فتاة مراهقة تقع في الحب لأول مرة وتعيش كل تفاصيله بانبهار العشاق الصغار.

قضت يومها مع صغيرها ما بين مراجعة دروسه والذهاب إلى تمارينه الرياضية بالنادي حتى عادا مساءً ليتناولا طعامهما سويًا قبل أن يستسلم مراد للنوم سريعًا ويتركها وحدها فريسة لأفكارها التي ظلت تقاومها منذ الصباح، حتى ظنت أنها قد نجحت في مقاومتها تلك ولكن سرعان ما اكتشفت خطأها بمجرد جلوسها وحدها بعد نوم صغيرها.

جلست ياسمين بشرفتها وحدها تفكر بمراد، يطاردها سؤال ظلت طوال يومها تحاول الهرب منه، أين هو منذ أمس؟ لماذا اختفى طوال اليوم؟ كيف لعاشق مثله أن يمضي يومه كله دون محاولة اتصال واحدة بحبيبته؟ أليس هو من انتظرها أسفل منزلها حتى منتصف الليل عند اختفائها منذ يومين؟! أليس هو ذات الرجل الذي لم يستطيع النوم دون أن يجدها ويطمئن عليها أمس؟! لا يمكن أن يكون يدعي كل تلك المشاعر، لا يستطيع رجل أن يجيد رسم علامات الغضب التي رأتها على وجهه بنفسها عندما رآها أمس بسبب هاتفها المغلق.

منذ استيقظت صباح اليوم وهي تقاوم افتقادها له بشدة، تقاوم رغبتها في الاتصال به، في سماع صوته الذي طالما عشقته. ظنت طوال

سنوات عمرها أنها امرأة قوية لا تسيرها مشاعرها، ولكن هاهي قوتها تضعف بل وتختفي تماما أمام حبها لمن عاد وأعاد إليها الحياة معه. أيمكن أن يكون قد قرر عقابها على فعلتها اليومين السابقين ويحاول أن يعكس الأدوار الآن ليختفي هو وتبحث هي عنه.

انقبض قلبها لفكرة اختفائه، وشعرت وكأنها تختنق عند استعادتها لشعورها قديمًا عند اختفائه المتكرر وقتها، شعرت أنها على وشك البكاء من خوفها أن تفقده ثانية لتمسك بهاتفها في عصبية قبل أن تتصل برقمه في محاولة لإنهاء معاناتها في غيابه، ولكن حدث ما كانت تخشاه وقضت تلك الرسالة المسجلة التي أخبرتها أن هاتفه مغلق على كل أمل بداخلها لسماع صوته اليوم. حاولت الاتصال مرة أخرى علها تستطيع الوصول إليه ولكن دون جدوى، فتلك الرسالة السخيفة تصر على تأكيد إغلاقه هاتفه دون أي مبررات.

ظلت جالسة تعبث بهاتفها وهي تحاول إقناع نفسها أنه لا يمكن أن يكون قد قرر الاختفاء اليوم بعد كل ما دار بينهما أمس وبعد كل تلك المشاعر الحلوة التي صارحها بها لأول مرة منذ عرفها. طال انتظارها لظهوره وبداخلها غضب وحيرة لا تعرف كيف تقضي عليهما حتى قررت أن تترك الشرفة وتذهب لتنام في محاولة للهروب من ذلك الشعور الذي يكاد أن يفتك بها إن هي ظلت مستيقظة تنتظره هكذا.

ما إن استلقت بفراشها بعد أن وضعت هاتفها بجانبها حتى قفزت من مكانها عند سماعها صوت هاتفها معلنًا استقباله رسالة من أحدهم لتمسك هاتفها في لهفة ولكن سرعان ما خاب أملها عند قراءتها اسم المرسل ياسر.

«ياسو عاملة إيه يا حبيبتي؟ أنا بفكرك بس تكلمي عمر لو لسه ما كلمتيهوش. خلي بالك من نفسك يا ياسو، ابقي طمنيني الهدية عجبتك ولا لأ»؟

زفرت ياسمين في ضيق ويأس وقد شعرت بإحراج من شقيقها الذي أكد عليها مرارًا أن تتذكر الاتصال بصديقه، لكنها نسيت وانشغلت بغياب مراد. نظرت في ساعة هاتفها لتجدها لم تتجاوز العاشرة مساءً فبحثت في رسائل شقيقها عن رقم عمر لتجد الرسالة التي تحمل رقمه سريعًا: «عمر سيف الدين»، ابتسمت عند قراءتها اسمه كاملًا وهي تردد لنفسها:

«دا مخرج دا ولا إيه؟ اسم فني أوي»!.

اتصلت ياسمين بالرقم وانتظرت أن يجيبها صاحبه في نفاد صبر حتى انقطع الاتصال دون أن يجيبها أحد. رفعت كتفيها في عدم فهم وقررت أن تعاود الاتصال به في الصباح ولكن ما إن مدت يدها بهاتفها لتضعه بجانبها حتى علت رناته لتجده عمر سيف الدين يتصل:

– ألو.

– ألو أيوة يا فندم، معلش أنا آسف بس ما لحقتش أرد قبل ما يفصل. مين معايا يا فندم؟

جاء صوته مألوفًا حازمًا لتجيبه في سرعة:

– أيوة أنا ياسمين أورهان أخت.

– ياسر، حضرتك أخت ياسر طبعًا عرفت. أهلًا وسهلًا يا فندم.

– أهلًا بحضرتك، الحقيقة أنا آسفة أوي على اللي حصل يوم الخميس.

– لا أبدًا يا فندم، ما فيش داعي خالص للأسف أنا والله قلت لياسر حتى ما يجبش سيرة لحضرتك عادي.

– لا طبعًا إزاي، كتر خيرك إنك جيت لحد هنا أصلًا.

– لا خالص، أنا معظم خروجاتي في الزمالك أصلًا وبعز المنطقة دي جدًا، فحتى رغم إني جيت وما لاقيتكيش بس اتبسطت بالمشوار ودا المهم.

– طيب كويس الحمد لله.

– طيب حضرتك هتبقي موجودة إمتى وأنا أجيبها لحضرتك تحت البيت؟

– والله أنا مش عايزة أتعب حضرتك، بس عمومًا أنا كل يوم ببقى في المعادي لغاية الساعة 5، وبعد كدا في البيت في الزمالك. وممكن نخليها في الويك إند آجي أنا أخدها لو يناسب حضرتك.

– لا أنا في أكتوبر، فأكيد مش هيناسبني أجيبك من الزمالك لأكتوبر خالص، بس عمومًا لو شغلك قريب من كورنيش المعادي أنا ممكن أجيبها لك بكرة علشان عندي مشوار هناك.

– آه أنا بشتغل على الكورنيش فعلًا.

– خلاص تمام، أنا هخلص معادي الصبح وبعد إذنك هكلمك على الرقم دا تقولي لي مكان الشركة بالظبط وأنا أجيبها لحد عندك.

– خلاص ما فيش مشكلة، هستنى تليفون حضرتك وآسفة جدًا على تعبك.

– ولا أي حاجة والله، أولًا ياسر دا حبيبي ولما بروح له بيعمل أكتر من كدا بكتير ثم أنتِ ولا تعباني ولا حاجة، دا أنتِ كل الأماكن اللي موجودة فيها في طريقي ما فيش تعب خالص. كل سنة وأنتِ طيبة وربنا ما يحرمك من ياسر أبدًا ويا رب كل سنة أوصل لك هديته.

ضحكت ياسمين على بساطة حديثه وتلقائيته معها قبل أن تقول بامتنان كبير:

– ميرسي أوي يا أستاذ عمر..

– بصي هو أنا مش كبير أوي لأستاذ دي فممكن تقولي لي عمر عادي علشان ماحسش إني مندوب أراميكس.

لم تتمالك ياسمين نفسها فعلت ضحكتها على ملاحظته لتجيب في خجل:

– لا والله ما قصدي، طيب تمام هستنى تليفونك بكرة إن شاء الله.
– إن شاء الله، مع السلامة يا فندم.
– مع السلامة.

أغلقت ياسمين الخط، وعادت لتستلقي بفراشها في محاولة أخرى للنوم ولكن سريعًا ما لحق بها الفشل، فقد ظلت طوال ليلها تمسك هاتفها بين الحين والآخر، تبحث به عن رسالة أو اتصال من مراد الذي لا تعرف لما عاد إن كان ينوي الاختفاء ثانية. ظلت حيرتها وشكوكها تمزقها لساعات طوال حتى بدأت خطوط النهار الأولى تلقي بظلالها على وجهها، وهي لا تزال مستيقظة في فراشها لتنهض مسرعة توقظ صغيرها وتساعده على ارتداء ملابسه قبل أن تهبط معه كعادتها كل يوم لينتظرا حافلة مدرسته التي تأخذه وتذهب به مبتعدًا عنها.. وكأنها تفعل ذلك كل صباح لتذكر نفسها أن يومًا ما سيذهب من تتحمل من أجله هذه الحياة ويتركها وحدها. يومًا ما سيكون على ذلك الصغير أن يبتعد باحثًا عن حياته هو تاركًا إياها خلفه وحيدة.

عادت مسرعة لشقتها ترتدي ملابسها وقد تعمدت تجاهل هاتفها وألا تبحث به عن أي جديد من مراد، حاولت إخفاء آثار قلقها وليلتها السابقة بوضعها بعض مساحيق التجميل على وجهها قبل أن تأخذ حقيبتها وتذهب وقد أرهقها التفكير، وعصفت بها الظنون وقررت ألا تبحث عنه ثانية حتى يعود هو ليفسر اختفاءه المفاجئ وكأنها تعرفه أكثر مما يجب، ما إن استقلت سيارتها حتى رن هاتفها حاملًا اسمه ليدق قلبها بعنف وتشعر بموجة غضب تجتاحها وتدفعها لتصرخ في أذنيه لما فعل بها الليلة السابقة ولكنها قررت ألا تشعره بما يشتعل بداخلها وإن تجيبه في هدوء وكأنها امرأة مختلفة عن تلك التي قضت ليلها في انتظار رسالة واحدة منه:

– أيوة يا مراد؟

– صباح الفل يا ياسو.

أشعل رده غضبها ثانية وشعرت أنها تريد إغلاق الخط ولا تريد سماعه ولكنه عاد ليكمل:

– معلش أنا آسف جدًا، كنت برا امبارح في شغل موبايلي فصل.

– شغل إمبارح إزاي يا مراد؟ أنتَ مش أجازة السبت؟!

– إدارة المصنع اللي أجازة يا ياسو، لكن مواعيد العملاء والإنتاج شغالين عادي. قلقتِ عليَّ ولا إيه؟

– استغربت بس لما لاقيته مقفول بس قلت أكيد في سبب يعني.

– المهم، أخبارك إيه؟

– تمام الحمد لله، أنتَ عامل إيه؟

– كله زي الفل، وحشتيني.

يعلم جيدًا أنها لن تجيبه وأبدًا لن تبوح بمشاعرها تجاهه فأكمل قائلًا:

– نزلتِ؟

– آه أنا في الطريق، وأنتَ؟

– في الطريق برده.

– تمام.

– تمام، يلا هقفل دلوقتي علشان تركزي في الطريق ونتكلم تاني.

– أوكي، باي.

– باي يا ياسو.

لا تعرف لمَ شعرت بشيء مختلف في صوته هذا الصباح، لا تعرف لمَ أحست أنه ورغم حديثه الذي يبدو معتادًا لكنه جاء باردًا ينقصه المشاعر الحقيقية. أبدًا لم يكن صوته يحمل نفس ذلك الحماس الذي كان يحمله في مكالمتها مساء الجمعة، هناك شيء ما لم يعد موجودًا ولكن لا تعرف ما هو. هزت ياسمين رأسها في عنف وكأنها تحاول طرد

تلك الأفكار منها قبل أن تأخذ حاسوبها وتهبط من سيارتها أسفل مكتبها.

صعدت ياسمين لتجد دينا تنتظرها وقد ظنت أن صديقتها قد نفذت الخطة التي رسمتها لها منذ عدة أيام ولكن صدمتها رفيقتها عند إخبارها أنها قد أجلت تنفيذها قليلًا:

– أيوة يعني مش فاهمة هو التأجيل هيفرق في إيه؟

– مش عارفة يا دينا، بس حسيت إن اللي يجي ويقف تحت البيت يومين ورا بعض بالساعات دا مش ممكن يكون بيكذب. أصل هيستفيد إيه قولي لي.

– وهيخسر إيه يا ياسمين؟

– طيب افرضي قلت له كدا وقال لي ماشي، ها وبعدين؟

– مش هيقول لك ماشي يا ياسمين.

– افرضي.

– أنا عارفة أنا بقول لك إيه، بس عمومًا ساعتها نبقى نفكر وابقي شوفي أنتِ عايزة تعملي إيه أصلًا.

زفرت ياسمين في قوة فقد شعرت أن صديقتها تضيق حولها الحصار، ولا تعرف لمَ تشعر داخلها أنها على حق وأنه سيخذلها ثانية. كل ما يفعله ويقوله يؤكد حبه ولكن إحساسها يقلقها ويخبرها بعكس ذلك.

– حاضر يا دينا، هقول له حاضر..

– أنا مش بضغط عليكِ والله بس صعبان عليَّ حيرتك وعذابك دا وتطلع في الآخر حاجة ما تستاهلش.

– فاهماكِ يا حبيبتي والله وعندك حق، لازم أرسى على بر وأفهم فعلًا.

مرت الساعات سريعًا وقد انهمكت ياسمين في عملها حتى جاوزت الساعة الحادية عشر صباحًا ليرن هاتفها حاملًا اسم عمر سيف الدين

قبل أن تجيب قائلة:

– ألو.

– أيوة صباح الخير.

– صباح النور يا عمر.

انتبهت دينا عند سماعها صديقتها لترفع حاجبيها وهي تبتسم في فضول لمعرفة من ذلك المتصل الذي ترحب به رفيقتها لتتابع ياسمين وهي تجيب:

– آه في الشغل موجودة.

ليسألها عمر عن عنوان شركتها قبل أن تصفه له بالتفصيل وتغلق الخط لتندفع دينا تسأل في فضول:

– دا مين دا كمان يا شركسي أنتَ يا اللي عيارك فلت؟

ضحكت ياسمين لدعابة صديقتها قبل أن تجيبها:

– سيئة الظن وظالماني، دا يا ستي واحد كان ابن جيران ماما زمان، وشفناه كم مرة في تركيا وإحنا صغيرين، والأجازة اللي فاتت كان هناك هو ومراته وسافرنا أنطاليا مع بعض.

– أيوة وبعدين؟ جاي زيارة يعني؟

– لا هو صاحب ياسر وكان هناك من فترة كدا؛ فياسر بعت لي هدية عيد ميلادي معاه وهيجي دلوقتي يديها لي. بس كدا.

– مممممم، طيب ماشي، أنا افتكرت حد تاني طلع من دولاب ذكرياتك.

– لا اطمني، ما فيش حاجة تانية في الدولاب.

ضحكت دينا لدعابة ياسمين التي أمسكت هاتف مكتبها الداخلي تطلب رضوى لتخبرها باقتضاب:

– رضوى في واحد اسمه عمر سيف الدين هيجي دلوقتي يسأل عليَّ، دخليه على طول دا صديق مش عميل.

ما إن سمعت دينا اسم الزائر المنتظر كاملًا حتى عقدت حاجبيها تفكر قبل أن تسأل ياسمين فور انتهائها من حديثها مع رضوى:

– ياسمين، عمر سيف الدين دا كان في AUC؟

في دهشة من سؤالها أجابت ياسمين:

– لا ما عرفش يا دينا، هو صاحب ياسر أنا ما عرفهوش أوي.

– طيب شفتيه؟

– آه شفته كذا مرة.

– شبه آسر ياسين كدا ومراته اسمها نوران؟

– أيوة هو فعلًا شبه آسر ياسين جدًا ومراته كانت محجبة وقصيرة بس مش فاكرة اسمها بصراحة، تعرفيه؟

– يا بنتي دا كان دفعتي وحضر فرحي، بس طبعًا مصطفى باشا قفل الدنيا عليَّ بعدها فما ابقتش أعرف حاجة عن حد.

ابتسمت ياسمين ابتسامة ذات مغزى وهي تغمز لصديقتها وتسألها:

– طيب كان دفعتك بس ولا كان في الدولاب؟

– لا خالص، عمر دا من أجدع وأرجل الناس اللي قابلتهم في الجامعة وكنا فعلًا أصحاب جدًا.

– عظيم، هو زمانه على وصول وكويس تشوفيه.

ابتسمت دينا لصديقتها قبل أن تعود لعملها فيما شردت ياسمين في مراد الذي لم يحاول معاودة الاتصال بها منذ الصباح وفيما يمكن أن يكون سبب تغييره الغامض منذ اليوم السابق.

***

–14–

ما إن فتح عمر سيف الدين الباب المؤدي لمكتب ياسمين بعد أن أذنت له رضوى بالدخول، حتى نهضت تلك الحسناء من مقعدها،

لترحب بذلك الوسيم ذي البشرة السمراء والابتسامة الرقيقة، وهي تعتذر بشدة عما سببته له من متاعب لتتسع ابتسامته قبل أن يرد قائلًا:

– ولا تعب ولا تعتذري وبجد ياسر دا عزيز عليَّ جدًا ودي أقل حاجة أعملها له أصلًا..

قال جملته الأخيرة وهو يمد لها يده بعلبة مغلفة بورق ملون باللونين الأصفر والأزرق قائلًا:

– اتفضلي الهدية بس يا رب تعجبك بعد كل دا أحسن أرجع له بيها تاني.

ضحكت ياسمين، ولكن بترت ضحكتها عندما لمحت دينا تجلس مبتسمة وهي تتابع ما يحدث بصمت وكأنها تنتظر لتفاجئ عمر بوجودها. ابتسمت ياسمين قبل أن تأخذ الهدية من ذلك الذي لا يزال واقفًا أمامها وتشير له بعينيها قائلة:

– عمر دي دينا صاحبتي وزميلتي، أعتقد تعرفوا بعض.

التفت عمر ينظر حيث أشارت ياسمين ليشهق في دهشة ويندفع ليسلم على دينا التي قفزت من مكانها وقد اتسعت ابتسامتها كثيرًا لتسلم على عمر الذي حمل صوته الكثير من الحماس والفرحة وهو يقول مرحبًا:

– يااااه دينا شكري، يا نهار أبيض. أنتِ اختفيتِ فين يا بنتي وأخبارك اتقطعت خالص؟! عاملة إيه جوزك عامل إيه؟ معلش نسيت اسمه.

لتقاطعه ضاحكة:

– مصطفى.

– أيوة مصطفى، أخباركم إيه؟ خلفتِ ولا لسه؟

– إحنا تمام الحمد لله، افصل أنتَ بس وأنا أقول لك أخبارنا.

ضاحكًا أجابها:

– حاضر يا ستي، أديني سكت أهو.

– إحنا تمام والله يا عمر وآه خلفت، عندي ولدين دلوقتي.

– ربنا يخلي، طيب اختفيتِ ليه بقى؟

– والله ما فيش سبب معين، بس دوامة الحياة الجواز والولاد والشغل مش لاحقة أسأل على حد ولا أشوف حد صدقني.

تذكر فجأة وجود ياسمين ليلتفت إليها قائلًا بحماس:

– أنتِ حظك حلو بوجود دينا معاكِ، دينا دي كانت من أنضف وأجدع بنات الدفعة، صاحبة بجد بصرف النظر إنها بتختفي فجأة بس هي برده صاحبة بجد جدعة ما تعرفيش إزاي.

ضحكت ياسمين لسخريته من أفعال دينا التي شاركتها الضحك على سخريته منها قبل أن تسأله ياسمين:

– طيب بما إنك طلعت مش غريب بقى اتفضل اقعد يا عمر.

– مش عايز أعطلكم بس.

– لا خالص، اتفضل استريح.

جلس عمر على المقعد المقابل لمكتب ياسمين قبل أن تضيف هي:

– تشرب إيه؟

– أي حاجة سخنة.

– نسكافيه تمام؟

– آه تمام جدًا ميرسي.

ساد الصمت للحظات بينهم ليقطعه عمر موجهًا سؤاله لياسمين:

– أخبار ابنك وباباه إيه؟

– كويسين الحمد لله.

لتشاركهم دينا الحديث سائلة:

– وأخبار نوران إيه يا عمر؟

بتلقائية شديدة أجابها:

– والله مش عارف يا دينا.

هزت دينا رأسها في استفهام قائلة:

– مش عارف إزاي معلش؟ مش فاهمة.

– مش عارف علشان اتطلقنا.

هتفت دينا مكررة كلمته في دهشة:

– اتطلقتوا؟! ليه يا عمر؟ دي كانت قصة حب حتى.

انتبهت ياسمين لحديثهما لترفع رأسها عن بعض الأوراق أمامها لتتابع ما يحدث قبل أن يجيب عمر دينا في هدوء قائلًا:

– آه كانت قصة حب، بس هو مين قال إن الجواز عن قصص الحب مش ممكن يفشل يعني؟

ضاقت عينا دينا وهي تنظر إليه محاولة فهم ما يقصده قبل أن يتابع هو قائلًا:

– نوران حبتني بطريقتها وأنا حبيتها بطريقتي. فاهماني؟

– شوية..

– يعني كانت بتديني اللي هي شايفة إني محتاجه مش اللي أنا محتاجه بجد وللأسف أنا كنت زيها بالظبط. بحبها بطريقتي مش باحتياجاتها هي.

– آه فهمت يا عمر وللأسف دي مشكلة معظم المتجوزين.

– دي كارثة يا دينا مش بس مشكلة، يعني أنا يطلع عيني علشان أتجوز وأعف نفسي علشان تيجي واحدة تديني اللي هي عايزة تديهولي مش اللي أنا عايزه ونفس الوضع أنا أقرر أديها إيه بدل ما أحاول أفهم هي محتاجة إيه؟!

صمت للحظات قبل أن يضحك في سخرية مضيفًا:

– بالظبط زي ما تبقي عايزة آيس كريم ومامتك تصمم تديكِ كيك علشان هي مقتنعة إنه أفيد. نوران مش وحشة ولا أنا بس الفكرة كلها إننا ما كناش سعدا مع بعض ومش فاهمين ليه، وكل واحد فينا جواه كبر مخليه رافض يتعلم أو يحاول حتى، فقررنا الانفصال ودا طبعًا ما كانش سهل علينا بس أنا ما كانش ينفع أستنى وأخلف وبعد كم سنة ألاقي نفسي مشاعري رايحة لواحدة غيرها علشان محتاج حاجات هي مش قادرة تديها لي.

ظلت ياسمين تسمعه في صمت وهي تشعر وكأنه يفسر ما وصلت له في زواجها من أكرم. قطع حديثهم طرقات على باب المكتب تبعها دخول أحد العاملين بالشركة حاملًا النسكافيه لعمر قبل أن يضعه وينصرف ليلتفت عمر لدينا يسألها:

– بقول لك يا دينا بما إنك طلعتِ بتشتغلي في شركة تأمين كبيرة، ما تشوفي لي اتفاق كويس كدا للمطاعم عندي.

– أنتَ عندك مطاعم يا عمر؟

– آه عملت سلسلة مطاعم في أكتوبر وهفتح في الزمالك الشهر الجاي إن شاء الله وبعمل دبلومة في علم النفس حاليًا.

– حلو جدًا طول عمرك غاوي علم نفس هنحتاجك أكيد.

–تحت أمرك طبعًا بس أنا بحاول أسمع بس وأدي حلول منطقية، تقدري تقولي بعمل قعدة أناقش فيها اللي قدامي زي قعدة الصحاب كدا.

– تمام دا أحسن جدًا، عمومًا هو العقود دا شغل ياسمين..

التفت إلى ياسمين بابتسامته التي ما فارقت وجهه منذ حضوره لتكمل هي:

– تمام ما فيش مشكلة، يناسبك تشرفنا إمتى تكون بعت لي تفاصيل أكتر عن شغلك؟ يعني عدد العمالة، حجم رأس المال، أماكن

المطاعم وعدد الفروع علشان أجهز لك عقد كويس ولو اتفقنا نمضيه.

–أنا جاهز أي وقت، أول ما أوصل أكتوبر هبعت لك صور اللي طلبتيه ووقت ما تجهزي بلغيني آجي تاني يوم.

–اتفقنا خلاص، أجهز العقد وأبلغك على طول.

اعتدل عمر ناظرًا لدينا التي ما زالت لا تصدق أنها ترى أحد زملائها القدامى بعد كل تلك السنوات التي غابت بها عنهم، دق عمر على مكتب ياسمين معلنًا عن نيته في الذهاب قائلًا:

– تمام، متشكر جدًا بجد على استضافتكم الرائعة دي. دينا مش قادر أوصف لك مبسوط قد إيه إني قابلتك النهاردا، ياسمين هستنى تليفونك تبلغيني إن العقد جاهز علشان آجي لك نناقشه، تمام؟

– خلاص تمام.

وقفت دينا تودعه بابتسامة محبة صافية وسعادة أصدقاء قدامى وهي تقول:

– أنا كمان مبسوطة أوي إني شوفتك يا عمر.

– إن شاء الله أشوفك تاني لما آجي لياسمين.

– أكيد إن شاء الله.

– يلا مع السلامة.

– مع السلامة.

مضى يوم ياسمين هادئًا روتينيًا كسائر أيامها، انتهت من عملها لتذهب بعدها تصطحب مراد من حضانته، ليعودوا سويًا إلى منزلهما يتناولان طعامهما قبل أن يخلد للنوم في هدوء، وتجلس هي وحدها في فراشها تشاهد فيلمًا من المفترض أن يكون كوميديًا، ولكنه في واقع الأمر لم ينجح في رسم بسمة واحدة على وجهها. اشتياقها لمراد سيطر على تفكيرها، حاولت أن تقنع نفسها مرات ومرات أن تتعامل معه كأنه لم يعد وما زال غائبًا ولكن هيهات أن يستجيب قلبها.

ظلت طوال اليوم تتجاهل شعورها بالحنين إليه وتجاهد شوق قلبها إليه، ونجحت ألا تتصل به حتى الآن، ولكن ما إن يأتي الليل وتخلو إلى نفسها حتى يئن قلبها شوقًا إليه، وتحن أذنها إلى صوته وكلماته العذبة. تقلبت ياسمين في فراشها وهي تحاول النوم بإصرار، خاصة وأنها لم تنم الليلة السابقة تمامًا ولن تستطيع المواصلة هكذا بلا راحة.

بعد محاولات عديدة نجحت ياسمين أخيرًا في الاستغراق في النوم، ولكن ما إن أغمضت عينيها حتى سمعت هاتفها يرن لتحضره من جانبها في بطء وضيق سرعان ما تلاشى عند رؤيتها اسم المتصل لتجيب على الفور بلهفة عاشقة طال انتظارها لحبيبها حتى كادت تفقد الأمل:

– أيوة يا مراد.

– وحشتيني.

كعادته بارع هو في تغيير مشاعرها وتحويل غضبها منه إلى حالة من العشق يكاد يشعر بها عن بعد:

– أنتِ نمتِ من غير ما أسمع صوتك؟

– خفت أكلمك ألاقي موبايلك مقفول زي إمبارح فأضايق نفسي بس وما عرفش أنام.

– ليه؟ أنتِ ما نمتيش إمبارح علشاني يا ياسمين؟

توردت وجنتاها وأحست بتسرعها في البوح بما تشعر في غيابه ليكمل هو في صوت غلبه الشوق:

– أنتِ كمان ما تعرفيش أنتِ وحشاني إزاي بجد، واليومين دول علشان مشغول شوية وغبت عنك بعد ما صدقت لاقيتك حاسس يومي ناقصه كتير من غيرك.

في محاولة منها لتغيير الحديث، قالت ببراءة طفلة لا تجيد الخبث:

– كان عندك شغل كتير؟

– آه جدًا بس الحمد لله أنجزت جامد، يومك كان عامل إزاي

– عادي زي أي يوم ما فيش غير إن ياسر أخويا بعت لي هدية بمناسبة عيد ميلادي. خمن كدة بعت لي إيه؟

ضحك لبرائتها وعفويتها ليجيبها:

– إيه؟ سلسلة؟

– صح، عرفت إزاي؟

ضحك بشدة لحماسها وهو يجيبها قائلًا:

– استنتجت من حماسك إنها تشبه هديتي مثلًا.

– هي سلسلة وفيها صورة لينا أنا وهو وبابا وماما وإحنا صغيرين بس بجد تحفة.

– مبروك عليكِ يا حبيبتي.

صمتت للحظات قبل أن تناديه بأنوثة:

– مراد.

– أيوة يا ياسمين.

– أنتَ بجد بتحبني؟ يعني أنا فعلًا حبيبتك؟

– أيوة يا ياسمين بحبك أوي من زمان، وأنتِ حبيبتي ومافيش غيرك حبيبتي رغم كل حاجة.

ابتسمت في صمت ليضيف هو بحنان:

– صدقيني يا ياسمين أنا بحبك بس وعمري ما هعمل حاجة تضايقك، ثقي فيَّ وريحي نفسك من اللي بيدور في دماغك وتاعبة بيه نفسك كدا. اديني فرصة وحاولي تصدقيني مرة.

– حاضر يا مراد، بس توعدني إن عمرك ما تخليني أندم على ثقتي فيك.

– عمري، أوعدك.

– خلاص تمام، أنتَ مروح دلوقتي؟

– آه كان عندي معاد مع عميل ولسه مخلص مقتول عايز أرجع

آخد السرير بالحضن مش قادر من الصبح في الشارع.

– معلش ربنا يقويك.

– ربنا يخليكِ ليَّ، والله يا ياسمين مكالمتك دي بس كفاية عليَّ جدًا علشان تغير مودي وتخلي اليوم يقفل قفلة حلوة. يلا أسيبك تكملي نومك وأنا كمان قربت على البيت خلاص ما تقلقيش.

– حمد الله على السلامة.

– الله يسلمك، يلا تصبحي على خير.

– وأنتَ من أهله يا مراد، باي.

– باي يا ياسو.

أغلقت ياسمين الخط وهي تحلق في سماء العشق، تعلو وجهها ابتسامة هجرتها طوال يومها وقد نجح مراد كعادته دومًا في إحياء تلك اللمعة بعينيها من جديد. أغمضت ياسمين عينيها ولا يزال صوت مراد يداعب أذنيها وصورته تطارد أحلامها، لا تعرف لمَ أجلت تنفيذ خطة دينا وخلفت وعدها معها للمرة الثانية، ولكن جزءًا ما بقلبها ما زال يخشى أن يخذلها مراد فتفقد السعادة التي تشعر بها في وجوده، حتى وإن كانت سعادة زائفة.

يبدو أن النوم قرر أن يهجرها لليلة الثانية فها هو هاتفها يرن مرة أخرى، ولكنه أكرم هذه المرة، انقبض قلبها عند رؤيتها اسمه تشعر وكأنها تجاهد لتتنفس فقد أصبح مجرد ظهور اسمه يسرق منها روحها. ظلت مترددة أتجيبه أم تتركه حتى يظن أنها قد غفت مبكرًا ولكنها فتحت الخط بعد تفكير تجيب:

– أيوة يا أكرم.

– إزيك يا ياسمين؟

– الحمد لله كله كويس، أنتَ أخبارك إيه؟

– تمام، معلش صحيتك شكلي.

– لا ولا يهمك، خير؟
– بقول لك أنا نازل السبت الجاي إن شاء الله كم يوم.
علي عكس ما توقع، استقبلت ياسمين الخبر ببرود شديد ظهر بوضوح في صوتها وهي تسأله بغير اهتمام:
– تمام، تيجي بالسلامة، نازل أجازة كم يوم؟
– لا هي مش أجازة بالظبط، أنا نازل شغل للفرع في مصر يومين وراجع على التلات إن شاء الله.
شعرت وكأنه أزاح عن صدرها حجرًا كاد يفتك بها عند إخبارها أنه لن يبقى طويلًا، تنهدت ياسمين في راحة وهي تقول:
– على خير إن شاء الله، طيب هتوصل الساعة كم علشان آجي لك؟
– لا في عربية هتبقى مستنياني ما تتعبيش نفسك.
– تمام، هنستناك في البيت أنا ومراد وهقول لطنط وأونكل كمان يجوا يستقبلوك معانا.
– كويس أوي، علشان هبقى مشغول اليومين ممكن مالحقش أزورهم.
– أوكي، توصل بالسلامة.
– الله يسلمك، يلا كملي نومك.
– تمام، تصبح على خير.
– وأنتِ من أهله يا ياسمين.
ألقت هاتفها بعيدًا وهي تشعر أنها على وشك الاختناق بمجرد علمها بقرب عودة أكرم، ألم يكن ذلك ما كانت تلح عليه ليفعله؟ ألم تكن من أيام قليلة تبكي غيابه وتترجاه ليعود ولو ليومين اثنين فقط؟! ماذا حدث بداخلها لتكره عودته هكذا؟ ماذا تغير بك يا ياسمين حتى أصبحتِ كارهة لوجود زوجك جانبك ولا تستطيعين تحمل رؤيته حولك؟! رغبة ملحة في

البكاء ظلت تطاردها، ولكنها نجحت في مقاومتها باستعادة صورة مراد وكلماته التي ينجح دائمًا أن يعيد لها بها الحياة، على صدى كلماته التي سمعتها قبل قليل أغمضت عينيها ونامت متجاهلة ما هو قادم لا محالة.

***

-15-

مرت أيام ياسمين التالية في هدوء وسعادة رغم علمها أنها زائفة، لكنها تتمنى ألا تفقدها وأن تدوم حتى وإن كانت مجرد دقائق قليلة تسمع صوته بها كل يوم قبل نومها. أصبحت على يقين أنها تحب مراد وأن ما مر عليها في غيابه ما كان إلا مجرد محاولة لنسيانه أدركت فشلها بمجرد عودته.

غارقة هي في العشق، سيطر قلبها على عقلها سيطرة كاملة حتى أنها لم تعد ترغب في تنفيذ خطة دينا بعد. لم تعد تسعى لتثبت حبه لها عن طريق الاختبارات خشية أن يرسب في أحدهم ويصبح عليها الابتعاد عنه واكتفت بسؤال نفسها السؤال التقليدي:

«وهو لو مش بيحبني هيعمل كدا ليه ولا يكذب ليه؟ هو مستفيد مني إيه أصلًا».

مضت الأيام القليلة التالية في هدوء وسعادة، أصبح يومها لا يبدأ إلا بسماع صوته عند استقبالها مكالمته المعتادة في طريقها إلى العمل ولا ينتهي إلا بحديثهما الطويل ليلًا ليسمعها كلمات عاشت سنوات تتمنى سماعها. كان يعرف جيدًا ما يسعدها ليفعله ويقوله، حلقت معه في سماء عشق لم تحلق بها من قبل مع سواه لأيام ظنت أنها الأسعد في عمرها.

استيقظت ياسمين يوم الخميس وهي تشعر أن أمامها يومًا طويلًا تتمنى أن ينتهي على خير، اليوم يجب عليها أن تخبر مراد بقدوم زوجها

يوم السبت ليومين. اليوم عليها أن تخبر حبيبها الوحيد وإن كانت لم تبُح له بعد أنه لن يستطيع الاتصال بها ليومين لوجود رجل آخر بحياتها. تشعر وأنها تخون مراد بوجودها مع أكرم وليس العكس، تشعر وأن ما توشك أن تخبر به مراد هو ذنب لم يغفره لها حتى وإن بدا طبيعيًا ومتقبلًا له. جلست أمام مرآتها تستعد للذهاب لعملها ولأول مرة منذ عودته تتمنى بداخلها ألا يتصل بها هذا الصباح وأن ينشغل عنها اليوم. أخبرها هو في إحدي المرات أنه يمضي يوم الجمعة من كل أسبوع عند والدته مع إخوته؛ لذا يصعب عليه الاتصال بها يوم عطلته لذلك تتمنى أن ينشغل عنها حتى يمر الخميس والجمعة وتفاجئه السبت بقدوم أكرم دون أن تنتظر لترى ردة فعله.

تعرف جيدًا أنها كانت ستتفهم موقفه إن كان الأمر معكوسًا أمامه، ولكنها أبدًا لن تستطيع أن تمنع نفسها من أن تغار عليه حتى وإن كانت تعرف أن تلك المرأة التي سيكون معها هي زوجته، تنهدت بعمق وراحة وهي تحمد الله أنه منفصل عن زوجته، وأنها أبدًا لن توضع في موقفه يومًا ما. تشعر بخجل شديد أن تخبره أن رجلًا آخر سيأخذ من وقتها حتى وإن كان زوجها فمجرد تخيلها أنها امرأة لرجلين يشعرها بالإحراج والخجل الشديد.

انتهت أخيرًا من ارتدائها ملابسها لتقف بعدها متثاقلة تتطلع لنفسها أمام مرآتها قبل أن تأخذ حقيبتها وتذهب وهي تتمنى ألا تفقد مراد بعد عودته لها الآن بعد كل سنوات الغياب تلك، ولكن تخجل أن تدعو الله بها، تعرف أنها تذنب بعلاقتها به، ولكن تعلم أن الله يريد عذاب قلبها وتطمع في رحمته وإن كانت تعلم جيدًا أنها أضعف من أن تقاوم حتى تفوز بتلك الرحمة.

استقلت سيارتها وهي ممزقة ما بين اشتياقها لصوته وخوفها من إن تشعل غيرته بحديثها حتى وإن حاول إخفائها. تخشى عليه من أن

يشعر بقلة حيلته، وهو يراها مع رجل آخر وتخشى أن تفقده، سقطت فريسة صراع داخلها ما بين كيف تخبره وبين شعوره عند إخباره. ظلت في حيرتها حتى علا صوت هاتفها معلنًا عن استقبالها تلك المكالمة اليومية التي أصبحت لها كقهوتها الصباحية، رغم ترددها فيما يجب عليها فعله وتمنيها منذ قليل ألا يتصل بها اليوم إلا أنها وجدت نفسها تبتسم عند ظهور اسمه لترد برقتها المعهودة:

– صباح الخير يا مراد.

– يا صباح الفل، عاملة إيه؟

– الحمد لله تمام، مواعيدك مظبوطة دايمًا.

– دا حتى لو مش مظبوطة ماقدرش أتأخر عليكِ، أنا بقيت أصحى وألبس جري علشان ألحق أكلمك قبل ما توصلي شغلك.

ابتسمت في ألم وقد حسمت أمرها منذ سمعت صوته أن تؤجل ما تريد قوله للمساء:

– ياسو.

– أيوة يا مراد، معاك.

– وراكِ إيه النهاردا؟

صمتت عند سماعها سؤاله لفهمها ما يريد لتجيب بتردد:

– ما عنديش حاجة غير مراد بس.

ثم صمتت للحظات أخرى قبل أن تضيف وهي تتصنع عدم فهمها لمقصده وكأنها تريد إعطاء نفسها فرصة أخيرة في أن تقبل دعوته:

– ليه؟

– مش عارف وحشاني ونفسي أشوفك لو ينفع بس طبعًا حسب ظروفك براحتك.

في محاولة هشة لمقاومة دقات قلبها التي علت عند إعلانه عن رغبته في رؤيتها قالت بصوت أقرب إلى الهمس:

– مش عارفة والله يا مراد.

– ما فيش مشكلة، أنا فاهم ومقدر ظروفك ومش عايز أضغط عليكِ بس عمومًا لو نفع عندك أنا هبقى في كوستا الزمالك كدا كدا.

في دهشة هتفت بابتسامة وكأن إرادة قلبها على وشك الانتصار كعادتها في الأيام السابقة:

– هتبقى هنا؟! عندك معاد في الزمالك ولا إيه؟

– لا عندي شغل هقعد أخلصه، وأنا عمومًا بحب كوستا، فقلت أبقى جانبك علشان لو نفع أشوفك يبقى سهل عليكِ بس كدا.

ضحكت بسعادة في طفولية قبل أن تقول بانبهار:

– يا نهارك أبيض يا مراد، معقول هتيجي من أكتوبر للزمالك بس علشان احتمال تشوفني.

– وأروح أي حتة أنتِ فيها علشان أشوفك ولو من بعيد حتى، أنا تعبت أوي في غيابك يا ياسمين السنين اللي فاتت دي. حسيت بجد يعني إيه أبقى لوحدي ومش عايز غير إنك تبقى في حياتي.

اتسعت ابتسامتها ولمعت دمعة بعينيها في حزن قبل أن تسأله في محاولة للهروب من كلماته:

– قربت توصل؟

– يعني، لسه عشر دقايق مثلًا. أنتِ وصلتِ، مش كدا؟

– آه خلاص وصلت.

– طيب يلا هقفل أنا ونتكلم بعدين.

– تمام، باي يا مراد.

– باي يا روح مراد.

صعدت ياسمين للمكتب وقد اشتعل بداخلها مزيج من المشاعر كاد يفتك بها، فقد حلقت في سماء العشق بكلماته، ولكنها سرعان ما هبطت لنيران الواقع عند استعادتها حقيقة وضعها الآن. هي امرأة

متزوجة من رجل أفقدها كل مشاعر الأنوثة، واقعة في غرام رجل عائد من الماضي، حب حياتها الذي عاد ليسقي بذور حبه بقلبها بعد أن كانت قد ظنت أنها ذبلت منذ حين.

– مالك يا ياسمين؟

سألتها دينا بفضول فور دخولها مكتبهما لتبتسم في حيرة قبل أن تلقي بنفسها على مقعدها قائلة:

– إيه دا، هو شكلي باين عليه أوي كدا؟

– ويمكن علشان أنا عارفاكِ كويس مثلًا.

– يمكن.

زفرت دينا في نفاذ صبر وهي تكرر سؤالها:

– أيوة مالك برده؟

– ماعرفش يا دينا، أنا ضعيفة أوي قدام مراد وعارفة إني ضعيفة بس للأسف مش عارفة أعمل حاجة.

– مش فاهماكِ يا ياسمين.

– أنا بحبه يا دينا، بحبه وفرحانة بحبه ليَّ بس في نفس الوقت عارفة إني بغلط وبعمل حاجة مش من حقي بس مش قادرة أوقفها. فهمتِ؟!

– ياسمين.

– أيوة يا دينا.

– هو أنتِ ليه ما قلتيش لمراد إنك عايزة تطلقي وتتجوزوا؟

رفعت ياسمين كتفيها في حيرة وهي تجيب صديقتها:

– مش عارفة..

– لا عارفة، علشان أنتِ من جواكِ حاسة إن مراد ممكن يبيعك وخايفة يأكد لك دا برد فعله. خايفة يخاف ويختفي وتبقي خسرتيه، قابلة على نفسك علاقة في السر، من غير زعل بتقلل منك علشان بس خايفة تخسريه.

في دهشة ممزوجة بالخجل رفعت ياسمين رأسها تنظر إلى دينا التي تجاهلت نظراتها لتكمل:

– لا هو أنتِ مش بس خايفة يسيبك ويختفي، أنتِ متأكدة يا ياسمين. جواكِ حاجة عارفة ومتأكدة إنه لو بيحبك أوي كدا ما كانش سابك زمان، ما فيش راجل بيحب بجد يتجوز واحدة غير اللي بيحبها يا ياسمين من غير محاولة واحدة حتى.

اندفعت الدموع إلى عيني ياسمين، وكأن دينا قد أفصحت عما يدور داخلها وتتعمد هي تجاهله، فتحت دينا دون قصد جميع الغرف المغلقة والمظلمة داخل قلبها لتضعها أمام عقلها وجهًا لوجه. ولكن مرة أخرى تحاول إقناع نفسها بحبه لها فتجيب في ضعف كضعف حجتها:

– ما هو قال والدته وأخواته السبب.

– يبقوا السبب إنه ما يتجوزكيش جايز، إنما يجوزوه واحدة قريبتهم من غير رغبته مستحيل.

– بس في احتمال يكون مش بيكذب يا دينا، أو يكون حس بقيمتي لما اختفيت.

– هفترض معاكِ إنه حس بقيمتك فعلًا، دا مش حب يا ياسمين. دا مجرد بيملي وقت فراغه بواحدة عارف كويس إنها بتحبه بس لو ظهرت واحدة تانية وحبها بجد هيسيبك تاني صدقيني. لو بيحبك كان حتى قال لك اتطلقي ونتجوز خصوصًا إنه عارف إنك مش سعيدة، لو بيحبك ما كانش ساب جواكِ شكوك إنه يكون بيلعب بيكِ تستدعي إنك تفضلي تدافعي عنه وتدوري له على أعذار كل شوية.

صمتت ياسمين في حزن وخوف من أن تكون شكوك صديقتها صحيحة لتكمل دينا في حنان:

– اعملي اللي اتفقنا عليه يا ياسمين، اسمعي كلامي وقولي له زي ما قلت لك وأنتِ هتشوفي رد فعله بنفسك وتعرفي، بس لازم تريحي نفسك

من العذاب دا يا حبيبتي. حرام عليكِ نفسك يا ياسمين.

مضى يومُ ياسمين بطيئًا بلا أحداث جديدة سوى مكالمة تلقتها من عمر سيف الدين قبل موعد انصرافها يسأل بها عن العقد الخاص بمطعمه لتجيبه في خجل:

– والله يا عمر أنا كنت محتاجة ورقة منك لسه ناقصة بس أنا آسفة فعلًا نسيت خالص أكلمك.

– ما فيش مشكلة خالص، قولي لي هي إيه وأنا ممكن أعديها عليكِ أي مكان يناسبك.

– خلاص تمام هبعت لك اللي ناقص بالظبط ولما تجهزه كلمني نتفق هتجيبها لي فين.

– اتفقنا.

– أوكي، يلا باي دلوقتي.

– باي يا ياسمين.

قضت ياسمين باقي يومها مع صغيرها بمنزلها وهي تحاول تجاهل رغبتها في رؤية مراد، تحاول أن تنسى وجوده بجانب منزلها حتى لا تذهب لمقابلته. ما زالت كلمات دينا تتردد في أذنيها دون إجابة مقنعة حقيقية، ما زالت تعرف أن شيئًا ما ينقص إحساسه بها ولكنها لا تعرفه. ما زالت قلقة منه ولكن مع الأسف أصبحت لا تملك زمام قلبها في وجوده.

نام مراد وتركها لوحدتها، تركها لما كانت تخشى منه طوال يومها منذ أخبرها من أطلقت عليه اسمه أنه سيكون بجوارها هذا المساء ويتمنى رؤيتها.

دقت الساعة العاشرة وما زالت تقاوم مشاعرها وتتجاهل اشتياقها له حتى دق هاتفها برسالة منه: «وحشتيني، أنا لسه هنا».

وكأنها كانت تنتظر رسالته لتأخذ قرارًا ظلت تقاومه لساعات مضت، نهضت ياسمين ترتدي بنطالًا من الجينز الأزرق وتي شيرت بولو

أحمر وحذائها الرياضي الأبيض؛ لتنزل بعدها مسرعة باتجاه (كوستا) حيث يجلس مراد، وقد حرصت على ألا ترسل له رسالة تخبره بحضورها لتفاجئه وترى لمعة رؤيتها بعينيه.

رفع مراد رأسه عن حاسوبه عند شعوره بوقوف أحدهم أمامه منذ دقائق ليجدها تقف أمامه، بابتسامة بريئة ووجه ملائكي دون أية مساحيق تجميل وشعر منساب بتلقائية على كتفيها وملابس بسيطة يبدو منها أنها أخذت قرارها بعد عناء فأسرعت ترتديهم قبل أن يشتعل داخلها الصراع مرة أخرى. اتسعت ابتسامته وقفز واقفًا يرحب بها وقد بدأ عليها أنها قد أتت تهرول بعد رسالته، وقف ينظر إليها وعيناه تلمعان:

– ياسمين، أنتِ مجنونة يا بنتي؟

– قلت أعمل لك مفاجأة.

– أحلى مفاجأة، اقعدي طيب. أنتِ إيه، جاية تجري ولا إيه؟

– آه جاية بسرعة فعلًا، مراد أصله نايم في البيت بس قلت آجي أسلم عليك وأرجع على طول.

– أنتِ مش متخيلة أنا مبسوط إني شفتك إزاي.

– ما كانش ينفع يعني تيجي الزمالك مخصوص علشاني وتمشي من غير ما تشوفني.

– طيب تشربي إيه؟

– لا ولا حاجة أنا مش هقعد أصلًا.

– معلش طيب خدي حاجة تيك أواي وممكن أقوم أتمشى معاكِ لحد قبل البيت كدا.

تورد وجهها في خجل قبل أن تجيبه في طاعة:

– خلاص أوكي.

تهلل وجهه في سعادة قبل أن يكرر سؤاله:

– طيب، تشربي إيه بقى؟

ضحكت في سعادة وهي تقول:

– كابتشينو كلاسيك.

سارت بجانبه لا تصدق أنه يمكن أن تكون هناك امرأة أخرى أسعد منها بهذا العالم، سارا يتحدثان حتى اقتربا من منزلها فوقفت أمامه رافعة وجهها تنظر إليه وهي تبحث عن كلمات لتقول ما تريد قوله حتى سمعها تهمس:

– مراد.

– أيوة يا ياسو.

– في حاجة عايزة أقول لك عليها.

– إيه هي؟ قولي.

– أكرم نازل يوم السبت يومين شغل.

تلاشت ابتسامته التي تعشقها فجأة، ولكنه ظل محتفظًا بهدوئه وهو يقول لها:

– ما تقلقيش يا ياسمين، مش هحاول أتصل خالص ما تخافيش فهمت.

– والله يا مراد مش قصدي.

– ياسمين.

بضعف وعينين مليئتين بالدموع نظرت إليه في صمت:

– أنا مش زعلان، أنا فاهمك يا ياسمين والله وعارف إنه غصب عنك.

– أنا آسفة يا مراد.

– آسفة على إيه؟! أنا اللي آسف إني حطيتك في الوضع دا.

خيم الصمت عليهما حتى عادت إلى منزلها، صمت هو لعدم وجود ما يقوله وصمتت هي وقد تملكها شعور بالغضب لرد فعله الهادئ. حاولت إقناع نفسها مرات ومرات أنه لا يحق له أن يغضب وهو يعرف

ذلك، ولكنها تعلم أيضًا أن الغضب وخاصة إن كان بدافع الغيرة شعور لا إراديًّا لا يمكن التحكم به. ظلت تجلس على مقعدها بالشرفة تبكي صدق شكوك دينا، ولكن دفعتها رغبتها في تبرير أفعاله وإنكارها لما أحسته منه في الاتصال به.

– أيوة يا ياسو.

– أيوة يا مراد.

– مالك؟

– مراد أنتَ بتحبني؟

شعر بأن سؤالها ما هو إلا بداية عاصفة لا يدري سبب هبوبها ولكن بحذر أجابها:

– أيوة يا ياسمين، فيه إيه؟

– طيب، أنا هطلب الطلاق من أكرم ونتجوز.

– نتجوز؟!

– أيوة يا مراد، أنا مستعدة أتجوزك حتى لو من غير أهلك ما يعرفوا بس نبقى مع بعض ومابقاش حاسة إني بعمل حاجة غلط.

خيم صمته على حديثهما مما أثار غضبها، وشعرت وكأن قلبها يغوص بداخلها خوفًا من أن يصدق خوفها وتفقده لتوجه آخر ضرباتها له في وضوح:

– ولا أنتَ مش عايز تتجوزني يا مراد؟!

***

–16–

لحظات من الصمت سادت بينهما، شعرت هي وكأنها تمضي ببطء أكثر من سنوات غيابه، علت دقات قلبها وتمنت لو أنها لم تسأله بل لو أنها لم تقابله وظل حاضرًا في قلبها فقط. كادت أن تنفجر غاضبة

فيه بسبب صمته دائمًا حينما تحتضرهي لكلمة منه ولكنه تكلم أخيرًا ليجيب في هدوء:

– أنا أتمنى يا ياسمين بس مش علشان حاجة أنا عايزها بتمناها من زمان أخرب لك حياتك!

صاحت تستنكر كلماته في غضب:

– خراب إيه اللي بتتكلم عنه يا مراد؟ وهو أنا حياتي مع أكرم مستقرة يعني؟ شايفني سعيدة ولا شايفني عايشة حياة طبيعية مثلًا؟ شايف الابتسامة منورة وشِّي؟ أنا تعيسة يا مراد فاهم يعني إيه تعيسة؟

– ياسمين اسمعيني...

– مراد، أنا مش الست اللي هتقدر تكمل كدا، أنا بموت من إحساسي بالذنب وفي نفس الوقت مش قادرة أبطل أكلمك، بحبك بس ضميري بيموتني في كل مرة بشوفك ولا أكلمك فيها. كل يوم بعيط قبل ما أنام خايفة أصحى ألاقيك مش موجود أو حتى السعادة المزيفة دي تروح مني.

– أنا حاسس بيكِ يا ياسمين بس مش عايزك تكرهيني بعد كدا.

– أكرهك؟!

– أنتِ متعصبة عليَّ علشان كنتِ متوقعة رد فعل غير دا طبعًا، عايزاني أتنطط وأقول لك يلا اتطلقي علشان تتبسطي، صح؟

– أنتَ بتقلل مني؟

– والله أبدًا، بس أنتِ عندك ابن عارفة يعني إيه؟

صدمها سؤاله وأفاقها على حقيقة مؤلمة لم تكن تراها، فصمتت تسمعه يكمل في حدة:

– يعني اتطلقي ولما تيجي تتجوزي تلاقي أكرم بيقول لك عندك، ابني معايا وحتى لو اتجوز هيبقى مع مامته بما إن مامتك متوفية.

شعرت وكأنه يحكم حولها رباط فشل علاقتهما، وشعرت بدموعها

تنساب على وجهها في صمت ليضيف وقد بدأ صوته يلين:

– عارفة ساعتها إيه اللي هيحصل؟ هتكرهيني وسواء قلتيها ولا لا هتحسي إني سبب بعدك عن ابنك. دا لو كملنا واتجوزنا وما تراجعتيش علشان يفضل مراد في حضنك وساعتها أنا عمري ما هقدر ألومك وهنفضل مش قادرين نبقى مع بعض برده.

– يعني إيه؟ ما لهاش حل غير إننا نفضل كدا وفجأة بقيت ست خاينة؟!

– عمرك يا ياسمين، أنتِ حبيبتي وعمري ما أبص لك كدا، بس المواضيع مش بتتاخد كدا لازم نصبر ونفكر علشان ما نخسرش كل حاجة وبرده نفضل في نفس النقطة.

– وأنت رأيك يعني أعمل إيه؟ أنتَ متخيل يعني إيه أكرم راجع بعد بكرة وأنا مش قادرة أستحمل أسمع صوته في التليفون وهو هناك. أنتَ متخيل إحساسي؟

– متخيل وأنا كمان مش مبسوط أكيد بس ما ينفعش تتكلمي معاه في أي حاجة دلوقتي، استحملي اليومين دول وبعدين نفكر كويس ونظبط ظروفك كلها وكلميه.

لا تعرف لمَ لم تقنعها أسبابه رغم منطقيتها وحقيقتها، بداخلها صوت تتعمد تجاهله يعلو يومًا بعد يوم بأن حبه لها ليس حقيقيًا وأنه يخفي شيئًا. بداخلها صوت يصرخ الآن أن دينا على حق ورغم صحة ما يقول إلا أنها لم تشعر برغبة حقيقية بصوته في الارتباط بها بل ما شعرت به كان النقيض مما انتظرت. شعرت في صوته أنه أبدًا لم يتوقع أن تفكر فيما اقترحته وبدا صوته يحمل صدمة يجاهد لإخفائها.

أغلقت ياسمين الخط ودموعها ما زالت تنساب على وجهها في صمت لا تدري ماذا يجب أن تفعل الآن، أكرم عائد بعد ساعات قليلة وها هو مراد يخذلها ولكن ينكر ويبرر ذلك بأسباب لا تستطيع إنكار

حقيقتها. جلست تبكي إحساسًا مريرًا داخلها لا تجد له تعريفًا، تشعر بوحدة تكاد تقتلها فلا أحد هناك ليسمعها سوى دينا التي تعرف رأيها منذ البداية. رفعت رأسها تنظر إلى السماء وهي لا تجد ما تدعو به، فلا يعقل أن تدعو الله أن يديم بحياتها رجلًا غير زوجها فما كان منها سوى أن خرجت من بين دموعها كلمة واحدة حملت كل معاناتها والألم الذي يعتصر قلبها الآن. كلمة واحدة أطلقتها في خجل وحيرة وحسرة وهي تنظر إلى السماء: «يا رب».

لا تدري أنامت ليلتها أم أنها ظلت مستيقظة، ولكن عينها أصبحت لا تبصر، نهضت تاركة فراشها مبكرًا في اليوم التالي وكعادتها منذ عاد مراد قررت أن تصدق ما قال وأن تقنع نفسها بما برر به عدم تحمسه لفكرة زواجهما. اختارت أن تغمض عينيها عما تشعر به داخلها وأن تجرب افتراض أن يكون ما قال هو الحقيقة فقط وأنه يحبها بصدق ولكن يخشى عليها أن تفقد صغيرها بسبب حبها له. أقنعت نفسها أن أسبابه تلك إن صدقت فهو رجل حقيقي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، رجل فضل راحتها على حبه لها وعليها أن تطمئن لوجوده لا أن تخاف على نفسها منه.

مضى يومها ثقيلًا فلا شيء يميزه سوى عودة أكرم المرتقبة في اليوم التالي، يوم بلا أحداث جديدة ولكنه يقربها للقاء أكرم بكل دقيقة تمر بها. حدثتها دينا لتطمئن عليها وشعرت من صوتها أنها ليست بخير كما تدعي فسألتها في قلق:

– مال صوتك يا ياسو؟

في محاولة منها للاحتفاظ بما دار بين مراد وبينها لنفسها أجابت باستغراب:

– ماله؟! لأ ما فيش حاجة.

– متأكدة؟

كعادتها لا تجيد الكذب وجدت نفسها تندفع تروي لدينا ما حدث في الليلة السابقة من مراد وهي لا تعلم لمَ تخبرها وهي تعلم جيدًا ردها. بهدوء بعد أن انتهت من القصة كاملة سألتها دينا:

– وأنتِ صدقتيه؟

– أنتِ إيه رأيك؟

– رأيي أنتِ عارفاه كويس يا ياسمين ومن زمان بس أنتِ رافضة تصدقي وعمالة تخلقي أعذار ومبررات أنتِ أول واحدة عارفة إنها حوارات بس هعمل لك إيه؟ براحتك.

– يعني إيه يا دينا؟

– يعني مراد دا وراه حاجة، ولا عايز يتجوزك ولا أي حاجة، ومش موضوع ابنك، لو هو فعلًا خايف عليكِ كان أولى يخاف عليكِ دلوقتي وما يرضاش أبدًا يحطك في الوضع دا لكن دا لا يا ياسمين. عايز راحته هو بس، وطبعًا أنا عارفة إنك مش هيعجبك الكلام دا بس مش هقدر أعمل مصدقاه زيك.

لم تجد ياسمين ما تقوله لصديقتها، فبمكانٍ ما بعيد داخلها تشعر بصدق ما تقول ولكنها تعرف أيضًا أنها أضعف من أن تأخذ قرارًا بهذا الشأن. اختارت أن تحتفظ بمراد حتى النهاية هذه المرة.

مضى يوم الجمعة دون أن تحاول الاتصال بمراد، ما زالت تشعر بصدمة من رده حتى وإن كانت قد قررت أن تبقى معه هذه المرة حتى النهاية. تعلم أن وجوده اليوم عند والدته ليس هو ما منعها من الاتصال به ولكنها لا تشتاقه كما كانت منذ أيام قليلة.

جلست في اليوم التالي في منزلها بصحبة مراد وجده وجدته في انتظار عودة الغائب الذي دق جرس الباب لتفتح وتجده أمامها مبتسمًا فاتحًا ذراعيه ليضمها قائلًا:

– ياسمين وحشتيني جدًا.

لم تستطع الابتسام وهي تشعر وكأن ذراعيه حبلان من نار يضماها، حاولت جاهدة أن تبتسم وهي تدفعه برفق لتبتعد عن الباب قائلة:

– حمدلله على سلامتك يا أكرم.

ثم التفتت لهؤلاء المنتظرين بالداخل تعلن عن قدومه قائلة:

– أكرم وصل يا طنط راوية، تعالى يا مراد بابي جه.

اندفع مراد يرتمي بين ذراعي والده قبل أن تأتي راوية لتضم أكرم بقوة وهي تبكي قائلة:

– وحشتني يا أكرم، وحشتني يا حبيبي.

ضمها أكرم إلى صدره بقوة قبل أن يضم والده الذي وقف بعينين دامعتين ينتظر أن يضم وحيده العائد ليوم واحد فقط.

جلس أكرم مع والديه يروي لهم قصصًا عن عمله هناك وبعض المواقف التي يواجهها مع زملائه في حين انصرفت ياسمين لإعداد الغداء ليتناولوا طعامهم سويًا.

علت ضحكاتهم جميعًا وهم جالسون أمام شاشة التلفاز بعد أن انتهوا من تناول الطعام، ظل مراد جالسًا طوال الوقت بحضن أبيه حتى نام مبكرًا كعادته، فحمله أكرم ليضعه في فراشه قبل أن يعود ليجد والداه ينتظران ليودعاه وينصرفا.

كامرأة متزوجة تعلم ياسمين جيدًا ماذا يعني أن يعود زوج مسافر بعد طول غياب لمنزله وزوجته، تعرف جيدًا أنها ورغم كل ما يدور داخلها ما زال لزوجها عليها حقوقٌ لن تستطيع سلبها منه بدون عذر منطقي. تعمدت أن تبقى جالسة تشاهد فيلمًا بالتلفاز بعد أن استأذن هو ليأخذ حمامًا دافئًا قبل النوم، ظلت تتابع الفيلم وهي تتمنى أن تكون رحلة العودة قد أرهقته وأن يخلد للنوم بعد ذلك الحمام الدافئ.

عاد أكرم بعد حمامه الدافئ ليجلس بجانبها يشاهد الفيلم محاولًا خلق حوار معها، ولكن قلقها كان يدفعها لتجنب الحديث معه حتى

نهض يسألها:

– ياسمين أنا مش قادر، مش هننام؟

ترددت كثيرًا ولكنها وجدت أنه من غير المعقول أن تتركه يذهب للنوم وحده ولم يمر على عودته سوى ساعات قليلة، نهضت لتبدل ملابسها قبل أن تستلقي بجواره وقد بدأ وجه مراد وصوته في مطاردتها. همس أكرم في أذنها وهو يمر بيده على عنقها الناصع البياض كتمثال من المرمر الخالص قائلًا:

– وحشتيني.

تململت في مكانها وكأنه يمرر طوق من شوك على عنقها، لا تستطيع تجاهل صورة مراد يوم رآها لأول مرة ولمعة عينيه، لا تستطيع إسكات صوته الذي عاد ليكرر في أذنها: «أنا بحبك يا ياسمين». أفاقت من شرودها على صوت زوجها يهمس لها وهو يضمها إلى صدره بقوة:

– وحشتيني أوي بجد.

ظلت تقاوم دموعًا حبيسة تحاول الهروب من عينيها وهي نائمة على صدره، لا تعرف كيف أصبحت لا تريد لمسته بل ولا تشعر بها على الإطلاق. كيف انقسمت لنصفين فعقلها يراها خائنة تشتاق لرجل وهي بين ذراعي رجل آخر؟! وقلبها يراها خائنة تستسلم لرجل وهي تعشق رجلًا سواه؟!

بداخلها رغبة ملحة أن تدفع زوجها بعيدًا وتصرخ لتخرج ما بداخلها من حسرة وغضب وشوق لرجل أخبرها لتوه أنها من الصعب أن تكون له.

نام أكرم بجوارها بعد أن أخذ حمامه الدافئ الثاني وظلت هي مستيقظة تشعر وكأنها قد أذنبت في قيامها بدورها كزوجة لهذا الذي يغفو بجانبها الآن. لا تعرف كيف أصبحت علاقتها بأكرم تشعرها وكأنها آثمة وخائنة أكثر من علاقتها بمراد؟ لا تعرف لمَ تشعر بالخجل من مراد

الآن ولا تعرف كيف ستواجهه بعد رحيل زوجها؟! نام أكرم وبقيت هي مستيقظة تبكي حالها، أصبحت زوجة تتمنى رجلًا غير زوجها.

استيقظ أكرم في الصباح التالي ليذهب مسرعًا لفرع شركته في مصر لإتمام المهمة التي عاد من أجلها فيما بقيت ياسمين بالمنزل بعد أن أرسلت لدينا تخبرها عدم قدرتها على الذهاب اليوم لوجود أكرم بمصر. كان يومًا روتينيًا وكأن وجود أكرم بالمنزل هو المعتاد، فقد عاد من مهمته ليتناول طعامه مع زوجته وصغيرهما ثم خرج لمقابلة بعض أصدقائه القدامى قبل سفره ثانية في اليوم التالي، فيما وجدته ياسمين فرصة جيدة لتنام مبكرًا قبل عودته فلم يعد بمقدورها القيام بواجباتها الزوجية مرة ثانية حتى وإن كان بلا سبب منطقي لزوجها.

ما إن استلقت بفراشها حتى دق هاتفها لتجده عمر سيف الدين لترد بحماس:

– شكل الورق جهز.

– طيب ما فيش مساء الخير، ألو أي حاجة من الكلام اللي بيطول المدة دا؟

ضحكت لطريقته الطفولية قبل أن تقول:

– مساء الخير.

– مساء النور يا فندم، مدام ياسمين؟

علت ضحكتها هذه المرة قائلة:

– مين معايا يا فندم؟

– محسوبك عمر سيف الدين.

– إزيك يا عمر؟

– والله تمام الحمد لله، وأنتِ أخبارك إيه؟

– كله كويس الحمد لله.

– طيب تمام، أيوة يا فندم الورق جهز.

– حلو جدًا.

– أعديه عليكِ بكرة في المكتب؟ أنا رايح المعادي.

– آه تمام على 11 كدا، يناسبك؟

– آه ما فيش مشكلة، بس ليه 11 معلش؟

– علشان احتمال أتأخر شوية علشان أكرم جوزي هنا ومسافر الصبح.

– آه تمام، خلاص 11 كويس جدًا.

– هستناك إن شاء الله.

– إن شاء الله، تصبحي على خير.

– وأنتَ من أهله يا عمر.

أغلقت الخط واستلقت بفراشها وهي ما زالت تحتفظ بتلك الابتسامة التي رسمها عمر على وجهها دون قصد منه رغم كل ما تعانيه وتشعر به.

***

–17–

وأخيرًا أتى صباح الاثنين، ذلك الصباح الذي ودعت به أكرم قبل أن تستقل سيارتها وتذهب لعملها لا تصدق أن أيامها ستعود كما كانت قبل إجازته القصيرة. مرت أيام وجوده سريعًا في هدوء برغم عذابها بجواره إلا أنها حمدت الله أنها نجحت في إخفاء حقيقة مشاعرها وقررت أن تبدأ في التفكير جيدًا في علاقتها بمراد.

لم تكن تنوي الطلاق فعليًا عندما أخبرته بعزمها على ذلك، ولكنها لا تستطيع إنكار أن رده أصابها بخيبة أمل حتى وإن كانت تحاول تجاهلها. لم يستطع قلبها الانتصار كليًا على عقلها، ولكنها فقط قررت أن تنتظر لعلها أساءت الظن به حيث لا يزال سببه صحيحًا خاصة وأنها تعرف

جيدًا أن ذلك ما سيفعله أكرم إن هي أقدمت علي الزواج من آخر بعد طلاقها منه.

ظلت طوال الطريق لعملها تفكر فيما حدث اليومين الماضيين حتى انتبهت أنها وصلت أسفل مكتبها ولكن لم يتصل مراد كعادته كل صباح خاصة وأنه يعلم جيدًا أنها ستعود اليوم لعملها بعد رحيل أكرم عائدًا من حيث أتى. شعرت بموجة غضب، يغلفها إحساس بالحيرة لعدم اتصاله اليوم، ترى فيما كان يفكر طوال غيابها ليأتي اليوم ويضيع فرصة سماع صوتها؟! ألا يفتقدها كما تفتقده أم أنه لم يشعر بغيابها ولا يشغله كونها مع زوجها كما كانت تظن؟

أوقفت ياسمين سيارتها في المكان المخصص لها أسفل عملها ولكنها ما زالت تجلس داخلها تفكر أين يمكن أن يكون مراد الآن ليتجاهلها هكذا؟ كيف كانت هي تتمزق شوقًا إليه لا تستطيع انتظار صباح اليوم لسماع صوته ليقرر هو بكل بساطة عدم الاتصال بها في طريقها لعملها لأول مرة منذ عاد بحياتها من جديد. عبرت فكرة بعقلها سريعًا أن يكون قد أصابه مكروه، ولمَ لا تحاول هي الاطمئنان عليه خاصة وأنها أول مرة يفعلها ولكنها هزت رأسها سريعًا وكأنها تبعد الفكرة عن رأسها في رفض تام. ثارت أنوثتها وشعرت بجرح لكرامتها لعدم اتصاله الذي لا يعني سوى أنه لا يفتقدها كما تفتقده هي لذا أبدا لن تتصل به وليكن ما يكون.

صعدت إلى مكتبها أخيرًا لتجد دينا تنتظرها كالمعتاد، فهي كما تداعبها دينا دائمًا إن أتت مبكرة تحترق، ما إن رأتها صديقتها حتى أيقنت أن عودة أكرم لم تغير شيئًا بالأمر بل ربما زادته سوءاً، فوجه ياسمين لا يبدو مشرقًا كوجه امرأة عاد زوجها بعد غياب ولا يحمل حزنًا كوجه امرأة سافر عنها زوجها هذا الصباح. لم تر دينا بوجه رفيقتها سوى ألم وخيبة أمل تحاول إخفاءها مكابرة منها، رحبت دينا بها بعد أن نهضت تدفع مقعدها باتجاه مكتب صديقتها لتجلس بجانبها وعلامات الفضول

على وجهها تسبقها:

– حمد الله على السلامة يا شركسي.

ابتسمت ياسمين في ألم قائلة:

– الله يسلمك يا دينا، والله وحشتيني اليومين دول.

– وأنتِ كمان وحشتيني جدًا، المكتب بيبقى وحش أوي من غيرك.

ربتت ياسمين على يدها وهي تبتسم بصمت قبل أن تسألها دينا وصوتها يحمل أملًا أن تكون عودة أكرم قد أضافت جديدًا:

– إيه الأخبار؟

– الأخبار مش كويسة خالص يا دينا.

– ليه كدا، أكرم حس بحاجة ولا إيه؟

– مش أكرم اللي حس بحاجة، أنا اللي حاسة بحاجات يا دينا مش حاجة واحدة.

– لا فهميني تقصدي إيه؟ حاجات إيه؟

– مخنوقة يا دينا، مش مستحملة الوضع اللي أنا فيه. يعني طيب لو مراد بيضحك عليَّ، كان رجع ليه من الأول؟ ما هو اللي دور عليَّ وجالي، مش أنا مثلًا اللي سعيت له، هقول إن هو بيحبني فعلًا طيب ليه رد فعله لما قلت له إني عايزة أتطلق ونتجوز كان بارد كدا؟ أيوة هو فعلا كلامه بالعقل منطقي بس في حاجة ناقصة يا دينا، حاجة ما حسيتهاش. فاهماني؟

– فاهماكِ يا ياسمين والله، بس قولي لي لما أكرم رجع ما حستيش بأي حاجة ناحيته؟

– لا حسيت، حسيت إني مش قادرة أتعامل معاه مش قادرة أبص في عينيه وأنا بكلمه. حسيت إن لمسته ليَّ عذاب كأنها شوك على جسمي، أقول لك حسيت بإيه تاني يا دينا؟ حسيت إنه بيغتصبني، أيوة أنا كنت حاسة إنه بياخد حاجة مش من حقه طالما قلبي ما بقاش معاه. تخيلي

أنا بقيت حاسة إن وجودي جنب أكرم هو الذنب مش علاقتي بمراد. أنا مش بس ما بقيتش بحب أكرم أنا للأسف بقيت رافضاه، وفي نفس الوقت هو صعبان عليَّ تخيلي. تخيلي كل الأحاسيس دي تبقي جواكِ؟

– أنا حاسة بيكِ والله يا ياسمين.

انهمرت دموع ياسمين فجأة كالشلال وهي تقول:

– لا عمرك ما هتحسي بيَّ ويا رب ما تحسيها أبدًا، دا موت. أنا بموت يا دينا ما بين أكرم اللي ما بقيتش مستحملة أسمع نفسه جنبي وأنا نايمة وحاسة إني في كل الأحوال خاينة، وما بين مراد اللي محيرني بتصرفاته اللي مش ماشية مع كلامه وما بين ابني اللي ممكن فجأة ألاقيه بيدفع تمن كل اللخبطة اللي جوايا دي.

شعرت دينا أن هناك شيئًا آخر هو سبب توتر صديقتها، ولكنها لم تبح به بعد فسألتها في هدوء وهي تشعر أنها تعرف الإجابة مسبقًا:

– ياسمين هو مراد كلمك من ساعة حوار الطلاق دا؟

رفعت ياسمين وجهها في كبرياء وهي تزيل عنه دموعها وتجيب باقتضاب:

– لأ.

على عكس ما توقعت، صمتت دينا ولم تعلق على إجابة صديقتها، فقد قررت ألا تجرح كبرياءها أكثر مما تشعر به تلك الباكية أمامها ولكنها فوجئت بها تقول في ألم وضعف:

– مش قادرة أفهم هو إزاي ما يتصلش بي النهاردا بعد يومين غايبة عنه؟ مش لو هو فعلًا بيحبني المفروض كان يبقى بيعد الساعات الأيام اللي فاتت زيي مستني أكرم يسافر علشان يسمع صوتي؟!

– ياسمين..

– ولا تفتكري هو غيران من وجود أكرم ودا مخليه مش عارف يكلمني، ما هو راجل برده في الآخر وحتى لو عارف من الأول إني متجوزة

أكيد برده هيغير يعني أنا لو مكانه هموت مش بس هغير.

– لا يا ياسمين، حتى لو غيران بس إحساس إنك واحشاه هيغلبه وهيجيبه، خصوصًا إن سبب غيرته خلاص ما بقاش موجود. عمومًا أنا مش عايزة أضغط عليكِ بس عايزاكِ تهدي علشان تفكري صح، ومن فضلك تستني لما هو يتصل علشان مهما كان أنتِ لاقية له مبررات هيفضل برده في احتمال إنه لاقاكِ داخلة في سكة جد وهو بيلعب فقرر يهرب.

– تفتكري؟

– أنا بقول احتمال بس موجود، فأحسن تستني لحد ما هو يتصل علشان حتى لو أنتِ اتصلتِ واتكلم عادي هيفضل شكك جواكِ، وهتلومي نفسك إنك اتصلتِ، فاهماني يا حبيبتي؟

في استسلام تام وقلة حيلة أجابتها:

– فاهماكِ يا دينا، حاضر والله هستنى.

في حنان وحزن على ما آل له حال صديقتها نهضت دينا لتطبع قبلة على جبين صديقتها قبل أن تضحك قائلة:

– طيب نقدم استقالتنا بكرامتنا ولا نستنى يرفدونا؟

ضحكت ياسمين وهي تقول:

– لا نتلم ونشتغل أحسن من البهدلة والإهانة.

ثم أضافت وقد تذكرت مكالمته لها منذ يومين:

– عمر كمان المفروض هيعدي كمان شوية جايب باقي أوراق مطعمه، فأحسن ألحق أنجز قبل ما يجي.

ما إن سمعت دينا أن عمر سيف الدين سيمر عليها حتى عقدت حاجبيها في حزن مصطنع كالأطفال قائلة:

– عمر هيجي النهاردا؟ يا خسارة عندي معاد مع عميل كمان شوية، يمكن ما أبقاش موجودة لما يجي.

– ما تزعليش، هو كدا كدا هيجي لنا تاني كمان يومين كدا يمضي العقد لما أجهزه.

عادت ياسمين تنظر إلى حاسوبها لتبدأ يومها الفعلي في العمل وقد نسيت أمر مراد قليلًا وسط انشغالها بالكثير المؤجل بسبب غيابها أمس، استغرقت ياسمين في عملها حتى أنها لم تلاحظ ذهاب دينا لتلك المقابلة التي أخبرتها عنها هذا الصباح لتتفاجأ بأحدهم يطرق باب مكتبها قبل موعد انصرافها بقليل لتجده عمر قد أتى لها بالأوراق المطلوبة كما وعدها.

دخل عمر مكتبها بعد أن أذنت له، ولكنه ما إن جلس على المقعد المقابل لها ووضع أمامها الأوراق المطلوبة حتى نظر إليها مليًا ليسألها باهتمام وكأنهما أصدقاء منذ زمن:

– مالك يا ياسمين؟ فيكِ إيه متغير؟

صدمها سؤاله وصدمها أكثر ذلك الاهتمام الذي شعرت به في صوته، فقد جاءت نبرة صوته تحمل رغبة حقيقية في معرفة سبب تغييرها وليس سؤالًا بدافع الفضول فقط. نظرت له في دهشة وهي لا تدري بمَ تجيبه، فهي تعرف جيدًا طوال عمرها أنها لا تجيد الكذب، وإن هي حاولت يومًا تفضحها دومًا عيناها فوجدت نفسها تجيبه:

– لا أبدًا، بس مش نايمة كويس وأكيد سفر أكرم النهاردا مضايقني.

في تصرف عفوي رفع كتفيه في عدم اقتناع قبل أن يقول:

– مش مقتنع بس طبيعي إنك ما تقوليش السبب الحقيقي أنتِ مش مجبرة، بس أنا اتعودت طول عمري أعرف الناس من عينيها، وأنتِ عيينيكِ مش بتقول إنك زعلانة على فراق حد. عينيكِ بتقول إنك حزينة ومن زمان بس النهاردا باينة أكتر من أي وقت فات.

لاحظ بعينيها دموعًا تتراقص على كلماته فلم يرغب بالضغط عليها أكثر حتى لا تشعر أنه يجبرها على فعل ما لا تريد، ابتسم في ود حقيقي

وهو يضيف:

– عمومًا أنا طول عمري مهتم بعلم النفس وأكيد دينا قالت لك، يعني عملت كم دبلومة كدا وقريت كتير فيعني بحس نفسي فاهم شوية وبحب أسمع أوي.

نظرت إليه في امتنان وهي لا تدري لمَ شعرت أنها تريد إخباره بحقيقة حزنها، لا تدري ربما لأنه رجل مثل مراد وسيعرف حقيقة مشاعره نحوها أم لأن بعينيه طيبة ورغبة حقيقية في مساعدتها. ظل عمر ينظر إليها في صمت ثم أضاف:

– ياسمين أنا بس بحب أساعد فعلًا الناس، وخصوصًا إن إحنا ما عندناش ثقافة الصحة النفسية وإزاي أحافظ على سلامة حالتي النفسية وأهتم بيها لأنها بتمرض زي الجسم بالظبط، لو حسيتِ إنك محتاجة تتكلمي في أي وقت أنا موجود، ولو مش عايزة تتكلمي حتى معايا أنا ممكن أرشح لك ناس ممتازين يساعدوكِ، بس عمومًا لو قررتِ تتكلمي معايا أنا تحت أمرك أي وقت.

ابتسمت ياسمين في امتنان ووعدته أنها ستلجأ إليه إن هي شعرت بحاجتها للمساعدة وشكرته كثيرًا قبل انصرافه، ليتركها وحدها وقد أوشكت على الانصراف والعودة لمنزلها ووحدتها التي أصبحت تخشاها كثيرًا. شعرت باشتياقها لمراد يعاود الهجوم على قلبها؛ ففتحت حاسوبها تبحث عنه على أشهر مواقع التواصل الاجتماعي علها ترى صورته أو كلمات له تصبرها على افتقاده.

عثرت عليه سريعًا وظلت تقلب في منشوراته وتقرأ كل التعليقات عليها ولم تجد ما يثير فضولها بينها، حتى وصلت لمنشور كان قد شاركه بعيد الحب الماضي ولم يكن عليه سوى تعليق واحد لقلب ينبض من فتاة تدعى (سلمى)، أثار التعليق فضولها فضغطت على اسم الفتاة لتدخل حسابها وتحاول معرفة من تكون، خاصة وأن الصورة غير

واضحة لصغرها. ولكن ما إن ظهر حسابها أمام ياسمين حتى شعرت أن نبضات قلبها على وشك التوقف وأنها لا تستطيع التنفس، فقد ظهرت سلمى تجلس في الصورة بثوب زفاف أبيض وهي تتابع بجوارها مأذونًا يعد أوراقه ليتمم عقد قرانها، كما يتضح من الصورة على ذلك الذي يجلس في طرف الصورة ينظر إليها بابتسامة حملت الكثير من الحب الذي لم يكن من الصعب عليها رؤيته بنظراته فقد اعتادت على أن ينظر إليها تلك النظرة لسنوات. كان مراد يجلس بطرف الصورة ينظر إلى سلمى ذات النظرة التي كانت تظن هي أنها دليلها الوحيد على صدق مشاعره.

***

–18–

شعرت ياسمين بنيران الغيرة تشتعل داخلها فور رؤيتها تلك الصورة، عاصفة من الغضب اجتاحت عقلها وقلبها وهي ترى نظرة مراد التي ظنت أنها أبدًا لم تكن لامرأة سواها. كان ينظر إلى سلمى بالصورة نفس نظرة العاشق التي تعرفها ياسمين واعتادتها منه، كيف يستطيع رجل أن يحمل كل هذا الحب بعينيه إن كان حقًا لا يعشق المرأة التي أمامه؟! إن كان حقًا قد تزوجها دون إرادته تنفيذًا لرغبة والدته وأسرته فقط، فلمَ تلمع عيناه هكذا وهو يجلس منتظرًا إتمام عقد قرانه عليها؟!

عقلها لا يكف عن التفكير ومحاولة الوصول لما وراء مراد، كانت دائمًا تشعر أن هناك شيئًا غامضًا بشأنه منذ عودته، ولكنها كانت تتعمد تجاهل إحساسها هذا طوال الفترة الماضية وها هي الآن يكاد رأسها ينفجر من تلك الأسئلة التي تعصف بها ولا تجد لها إجابة واحدة. فإن كان مراد قد تزوج قبل زواجها هي بسنوات، أي إنه تزوج بما يقرب من ثمان سنوات تقريبًا وانفصل بعد ذلك بعد رحلة من التعاسة والعناء، فلماذا تعلق سلمى على منشور له منذ بضع شهور وانفصالهما

مفترض أن يكون قد تم منذ سنوات؟! ما الذي يدفع امرأة منفصلة عن زوجها لفعل ذلك؟

ظلت تفكر في تلك الصورة طوال يومها لا تدري أتغار هي من نظرته لامرأة سواها؟ أم تغار من رؤيتها له بجانب سواها أم أنها غاضبة لأنها تشعر أن هناك ما هو أكثر من كونه منفصلًا ولكنها لا تعرفه؟! لا تستطيع معرفة ما يغضبها على وجه الدقة، ولكن ما تعرفه جيّدًا أن خوفها من عبث مراد بقلبها للمرة الثانية أصبح أكبر الآن، تعرف جيدًا بعد رؤيتها هذه الصورة أنه قد أحب غيرها حتى وإن كان منفصلًا عنها الآن. تعرف جيدًا أن بعده عن تلك المرأة التي رأت حبها بعينيه اليوم لا ينفي أنه عشقها يومًا ما.

جلست ياسمين وحدها جلستها المعتادة بشرفة منزلها بعد أن خلد صغيرها للنوم وتركها فريسة لأفكارها التي لم تهدأ منذ عودتها من عملها. أرخت رأسها إلى الخلف تنظر إلى السماء قبل أن تنحدر دمعة في بطء على وجهها تبعتها دموع أخرى كثيرة لم تحاول إيقافها. بكت كثيرًا ولكنها لم تكن تبكي غموض مراد أو خوفها من فقدانه هذه المرة، كانت تبكي حالها. تبكي ياسمين اشتياقها لأبيها الذي معه فقط كانت تشعر أنها ملكة متوجة على عرش قلبه، تبكي أمها التي اشتاقت حضنها كثيرًا وتتمنى لو تستطيع البكاء على صدرها الآن. تبكي أخًا اختار العيش بعيدًا عنها وزوجًا لم ينجح في أن يسكن قلبها أو يمنحها الاهتمام الذي كانت تحلم به عند زواجها منه. وأخيرًا تبكي رجلًا ظنت أنها سكنت قلبه وحدها، ولكنها رأت بعينيها حبه لغيرها حتى وإن أصبح ماضيًا الآن.

طالت جلستها وحدها تبكي وحدتها واحتياجها حتى رن هاتفها فتركته حتى عاد لصمته مرة ثانية. تعرفها دينا جيدًا وتعرف أنها ليست بخير بمجرد سماعها صوتها وقد قررت ألا تخبرها بأمر تلك الصورة؛ لذا كان من الأفضل ألا تجيب اتصالها حتى لا يدفعها قلق دينا بشأنها

للكذب عليها. أخذت تعبث بهاتفها وتراجع سجل مكالماتها لتتأكد أنه لم يحاول الاتصال بها طوال اليوم، برغم كل ما تشعر به لكنها ما زالت تفتقد صوته وتنتظر عودته وتبريره غيابه بأعذار تشك هي في صحتها ولكن تقبلها بنهاية الأمر إن كان هذا هو ثمن بقائه بحياتها. غفرت له زواجه من غيرها من قبل، أفلا تغفر له نظرة واحدة لامرأة أخرى الآن؟!

تركت شرفتها ووضعت هاتفها بعيدًا فقد تبخر أملها في ظهوره اليوم لتستلقي في فراشها وتضم مراد إليها بقوة وهي لا تعرف من منهما يحتمي داخل الآخر الآن؟ شعرت وكأنها تحتمي به من أيامها وقسوة دنياها عليها، ضمته إلى صدرها وكأنها تذكر نفسها أنه لا يزال لديها ذلك الصغير لتحارب ضعفها ووحدتها من أجله. نامت ياسمين ودموعها تبلل وجه ذلك الصغير الذي نام بعمق بين ذراعيها وكأنه يؤكد شعورها بقوتها بوجوده.

صباح جديد أطل وها هي على وشك الوصول لعملها وما يزال مراد مختفيًا، لا اتصال ولا رسالة ولا أخبار عنه منذ ذلك الاتصال الذي أخبرته فيه عن رغبتها في الانفصال عن زوجها والارتباط به. قررت عند استيقاظها اليوم تجاهل كل ما يحدث منه وكأنه ما زال غائبًا منذ سنوات، رفعت رأسها في كبرياء كأنما تنفض عنها كل ما يتعلق به من أفكار وقررت أن تعود ياسمين أورهان تلك المرأة العنيدة التي تبتلع دموعها وتكمل طريقها حتى وإن كانت وحدها.

أوقفت سيارتها أسفل عملها وفي هدوء وكبرياء كأنما تذكر نفسها بما يجب أن تكون عليه وبما قررته لتوها، أخذت حاسوبها وحقيبتها من المقعد المجاور لها ولكن ما إن همت بفتح باب سيارتها حتى رن هاتفها حاملًا اسم مراد. شعرت بقشعريرة تسري في جسدها عند رؤيتها اسمه يعود على هاتفها من جديد، ها هو مراد يتصل بها بعد غياب غير مبرر لأيام قليلة مرت عليها كأعوام طويلة. ظلت تنظر إلى اسمه على هاتفها لا

تعرف أتجيبه وتسمع منه أم تتجاهله وتتخطى هذه المرحلة من حياتها بأكملها؟ أفاقت من ترددها على صمت هاتفها وانقطاع اتصاله لتعلو دقات قلبها وكأنها تثور لعدم ردها عليه ولكن لأول مرة تتجاهل إرادة قلبها وتحسم قرارها بألا تحاول الاتصال به لتسمع منه ما يريد قوله.

ولكن يبدو أن مراد كان قد قرر ألا يترك لها فرصة لتأخذ قرارها بالابتعاد، فوجئت ياسمين بطرقات على نافذة سيارتها بعد أن صمت هاتفها لترفع رأسها في فزع وتجده أمامها وقد ظهرت على وجهه علامات غضب حقيقية. لا تعرف لمَ شعرت بخوف لرؤيته أمامها هذه المرة، ربما لأنها لم تكن تنتظر حضوره وربما لأنها وبرغم كل ما يتصارع داخلها من أفكار ليس لديها ما تقوله وربما لأنها برغم كل ما مرت به الليلة الماضية من حزن وغضب وشعور بالغيرة لكن بداخلها جزء كان لا يزال يفتقده وفرح برؤيته.

لم تعرف ماذا تفعل وقد وجدته أمامها يحمل غضبًا لا تعرف له سببًا، كفتاة صغيرة أمسك بها والدها وقد كانت تحاول الهرب منه ظلت تنظر إليه من خلف نافذتها وعلى وجهها ظهر شبح ابتسامة وقف بينها وبينه إحساسها بغضب منه وتساؤلات كثيرة تحتاج تفسيره. أشار إليها مراد من خلف النافذة بعصبية أن تفتحها حتى تسمعه، فما كان منها إلا أن أطاعته وفتحتها وهي تنتفض خائفة لا تعرف لخوفها سببًا ليباغتها هو بعصبية وانفعال قائلًا:

– أنتِ مش بتردي عليَّ ليه يا ياسمين؟ وفينك أصلًا من امبارح؟

وكأن دماءها تجمدت بعروقها عند سماع صوته لتجيبه بعد بصوت ضعيف:

– أنا اللي فين يا مراد؟

جاءت نظراته كسهام حارقة وكأنه لا يصدق ردها فما كان منه إلا أن دق بيده على باب سيارتها قائلًا:

– طيب، أنا راكن قدام بعد كم عربية. اركني وتعالي نتكلم شوية علشان مش منظر أفضل واقف لك على عربيتك كدا تحت شغلك.

لم تحرك عينيها عن عينيه وهي صامتة لا تعرف أتتبع تلك التعليمات التي ألقاها وهو لا ينتظر منها ردًا أم تعتذر وتصعد إلى مكتبها وليكن ما يكون.

– ياسمين، أنا مستنيكِ محتاجين نتكلم.

– حاضر يا مراد، هركن وهحصلك، إحنا فعلًا لازم نتكلم.

أوقفت سيارتها وتبعته كما طلب منها وما إن جلست بجانبه في سيارته حتى تحرك بها مبتعدًا تسأله وقد تملكها غيظ مفاجئ:

– مراد أنت رايح فين؟ أنا عندي شغل حضرتك.

– وأنا كمان عندي شغل والله تخيلي؟ عندي شغل وسايبه وقاعد مستنيكِ تحت شركتك بقى لي ساعة علشان أعرف أشوفك وأتكلم معاكِ.

– والله؟ ليه وهي الموبايلات قصرت معاك في إيه؟ ولا ما دفعتش الفاتورة والخط لسه راجع الصبح؟

في غضب حقيقي نظر إليها وكأنه على وشك قول شيء ما ولكنه تراجع لما رأى بعينيها خوفًا منه لينظر بعيدًا محاولًا السيطرة على انفعاله قائلًا:

– ياسمين من فضلك بلاش تضغطي على أعصابي أكتر من كدا. أنتِ مش قلت لي أكرم نازل مصر يومين يوم السبت؟

– أيوة فعلًا قلت لك، كويس إنك فاكر.

ضاغطًا على أسنانه كاظمًا غيظه أجاب:

– لا فاكر وفاكر كويس ما تقلقيش، حضرتك بقى فاكرة أنتِ قلت لي مسافر يوم الإتنين إمتى بالظبط؟

فاجأها سؤاله وقد تذكرت حقًا أنها لم تخبره فصمتت في خجل

ليكمل هو وقد بدأت عصبيته تهدأ ولكن ما زال صوته يحمل غضبًا تشعر به في كلماته:

– سعادتك بقى أنا طول اليوم إمبارح مستني تليفون تقولي لي إنه سافر مثلًا أو تعبريني بأي حاجة لكن ولا الهوا، فضلت سهران طول الليل أقول يمكن مسافر متأخر طيب بس برده ولا أنتِ هنا. لحد ما الصبح قلت خلاص ما فيش غير إني آجي لك عند الشغل أستنى أشوفك لأني للأسف برده خايف أتصل أنا يكون أجل سفره ولا حصل أي حاجة خلته يقعد شوية.

بدأت ابتسامتها في الاتساع وكأنها لم تمضِ ليلة مؤلمة بسببه أمس وبدأ صوته يلين شيئًا فشيئًا فور رؤيته ابتسامتها وهو يضيف:

– فجيت واستنيت وبعد كل دا أكلمك وأنا شايفك قدامي تشوفي اسمي وما ترديش، لا ولما أكلمك بتحاولي تعملي إن أنتِ اللي زعلانة كمان. يعني بجد مش فاهم، المفروض دلوقتي أعمل فيكِ إيه بجد؟

هدأت ملامحها كثيرًا وعادت إليها تلك اللمعة التي طالما أحبها بعينيها ليبتسم هو في حب قائلًا:

– وحشتيني يا ياسمين، وحشتيني ودوختيني وخلتيني قضيت يومين ما يعلم بيهم إلا ربنا.

وكأنها لم تسمع من كل ما قاله سوى آخر جملة، ابتسمت في خجل وعذوبة قائلة:

– بجد يا مراد؟

– بجد؟! أمال أنا إيه اللي مبهدلني البهدلة دي كلها تفتكري لو ما كنتش هتجنن وأشوفك أو أسمع صوتك؟! يا شيخة دا أنا حاسس إني رجعت مراهق تاني بزوغ من مدرستي علشان أشوف حبيبتي وأرجع.

لا تعرف لمَ تذكرت أمر تلك الصورة الآن وشعرت أنها تريد تفسيرًا منه لسؤال وحيد يلح عليها منذ الأمس، ابتسمت في مرارة قبل أن تهمس

باسمه:

– مراد..

– يا عيون مراد.

– عندي سؤال بس من فضلك من غير عصبية.

– استر يا رب، ما أنا عارفك من زمان تعفرتِ اللي قدامك ومن غير عصبية. قولي يا ياسو.

– مين سلمى؟

عقد حاجبيه في دهشة ولكن دون أن تظهر على وجهه أية علامات توتر سألها:

– سلمى؟! أنتِ تعرفي سلمى منين يا ياسمين؟ سلمى دي اللي كانت مراتي.

– طيب لما هي كانت مراتك، إيه اللي يخليها تعمل لك كومنت على بوست في الڤالانتين وأنتم المفروض منفصلين؟

تنهد بعمق وقد بدأ صوته يعلو قليلًا وهو يلتفت مجيبًا:

– بصي يا ستي علشان أريحك، سلمى دي زي ما أنتِ عارفة وأنا قلت لك قريبة أمي من بعيد، وكانت اختيار أمي فطبعًا انفصالي أنا وهي مش عاجب أي حد عندي في البيت، ولحد النهاردا بيضغطوا عليَّ علشان أرجع خصوصًا إن هي ما عندهاش مانع. كونها بقى عملت كومنت عملت لايك عملت أي حاجة، أنا ما ليش علاقة بدا خالص، اعتبريها واحدة بتحاول تجر ناعم أو تفتح كلام يمكن الموضوع يتصلح أيًا كان، المهم إن أنا مش بتجاوب وما عنديش أي نية في الرجوع، فهمتِ؟

– فهمت، ميرسي إنك ما تعصبتش عليَّ وإنك فهمتني لإني فعلًا كنت هتجنن مش فاهمة.

– الحمد لله إنك ارتحتِ، أنتِ تؤمريني يا ياسو.

– مراد.

– أيوة، في سؤال تاني ولا إيه؟

– أنا آسفة.

– مش موضوع آسفة يا ياسمين، أنا مش عايزك تعتذري خالص بس ثقي فيَّ شوية علشان أنا بحبك بس والله. اطمني شوية وحاولي تهدي علشان خاطري، مش عايز منك أكتر من كدا ممكن؟

– حاضر، أحاول أهدى.

ابتسم مراد وقد كسا وجهه هدوءٌ وراحة بعد حديثهما ليسألها بحنان:

– فطرتِ؟!

ضحكت في فرحة طفولية:

– لا لسه.

– طيب بقول لك إيه كلمي دينا قولي لها إنك أجازة.

في دهشة وفضول هتفت تتسائل:

– أجازة؟ أنتَ بتهزر يا مراد؟

– لا مش بهزر يا مراد.

ضحكت لدعابته وكادت تسأله عما يقصد ولكنه أضاف مفسرًا:

– أنتِ مش طول عمرك بتحبي إسكندرية ونفسك من زمان تروحي معايا نقعد قدام البحر وتفضلي تتكلمي لحد ما تقولي كل اللي جواكِ وترتاحي؟ مش دا كان كلامك زمان؟

– أنتَ إزاي لسه فاكر كلامي بالحرف كدا؟!

– علشان بحبك بجد واللي بيحب حد بيفضل فاكر كل حاجة تخصه غصب عنه حتى، المهم يلا كلمي دينا وتعالي نفطر في إسكندرية ونقعد على البحر ووعد هرجعك على معاد مراد.

– إزاي بس يا مراد؟

– هو إيه اللي إزاي؟! أنا كان ممكن أخطفك على فكرة وتفوقي في

الصحراوي بس أنا قلت خليني ذوق برده فخليكِ جدعة يا ياسمين، دي إسكندرية حبيبتك.

في استسلام اعتادته أمامه أمسكت هاتفها لتطلب دينا التي أجابت على الفور ضاحكة:

– أنتَ فين يا شركسي؟

– صباح الخير يا دينا.

– صباح الفل حبيبتي، أنتِ فين؟

– معلش طلع لي مشوار مفاجئ كدا الصبح فمش هقدر آجي.

– مشوار إيه طمنيني؟ في حاجة ولا إيه، أنتِ كويسة طيب؟

– أنا كويسة يا دينا ما تقلقيش، أنا بس مش هينفع آجي النهاردا. هكلمك تاني اطمني بس.

– أوكي، خدي بالك من نفسك يا ياسمين وابقي طمنيني عليكِ.

– أوكي يا دينا، باي.

– باي يا حبيبتي.

أغلقت دينا الخط ووقفت أمام نافذة مكتبها تتساءل: «مش هتقدري تيجي إزاي يا ياسمين؟ أمال مين اللي كانت بتركن عربيتها تحت من نص ساعة دي»؟ وقفت دينا تفكر بصديقتها وفيما يمكن أن يكون سبب عدم حضورها اليوم رغم وصولها منذ قليل ورغم وجود سيارتها بالأسفل. تعرف دينا ياسمين جيدًا وتثق بأخلاقها ولكنها لا تستطيع منع نفسها من القلق عليها خاصة وأنها أبدًا لم تشعر بالراحة لمراد منذ رأته للمرة الأولى وترى تصرفاته مخيفة أكثر من كونها تصرفات محبين. ظلت دينا قلقة تفكر بتلك التي كانت تجلس في ذات الوقت بجانب حبها الوحيد بسيارته في طريقهما إلى أحب المدن إليها، الإسكندرية.

أمام البحر جلست بجانبه، تشعر وكأن رائحة اليود قد أشعلت حبه بداخلها أكثر من ذي قبل. تود أن تحكي له كل شيء عنها منذ ولدت

وحتى تلك اللحظة التي تجلس فيها بجانبه وقد ملأ عطره أنفها. تريد أن تضحك وتبكي وتقفز من السعادة معه الآن، لا تصدق نفسها أنه حقق لها أمنيتها آخيرًا بأن تجلس أمام بحر الإسكندرية معه هو دون غيره. أحبته وظنت أنها نسيته ولكنه عاد لتكتشف كذبها على نفسها طوال كل سنوات غيابه، فحبه ساكن بقلبها لم يبرحه يومًا. ظل مراد جالسًا بجوارها في صمت ينظر إليها بحب واشتياق من آن لآخر وهو مبتسم لرؤيته تلك السعادة التي ظهرت على وجهها منذ وصولهما حتى سمعها تهمس باسمه ونظراتها ما زالت للبحر:

- مراد.
- أيوة يا ياسمين.

ولأول مرة منذ عرفها وبرغم إحساسه بها منذ سنوات، التفتت تنظر إليه وبعينيها نظرة لم يرها بهما من قبل:

- أنا بحبك.

***

-19-

بالمقعد المجاور له جلست بسيارته في طريق عودتهما للقاهرة بعد أن انهارت حصون مقاومتها وتلاشت تمامًا أمام بحر الإسكندرية لتبوح له بحبها للمرة الأولى منذ عرفته، جلست تتابعه بنظراتها وابتسامته ما زالت تنير وجهه منذ سمعها منها. أبدًا لن تنسى نظرته لها عندما نطقت بها، رمقها بفرحة ممزوجة بشك وكأنه لا يصدق أنها قالتها أخيرًا. لم يكن لديه شك في حبها له منذ عرفها ولكنها أبدًا لم تقلها له من قبل. ابتسمت عند استعادتها لوجهه بعد اعترافها له بحبها وكيف ابتسم لها قبل أن يطلب منها تكرارها وكأنه يريد أن يؤكد لنفسه أنها قالتها حقًا وأنه لا يتوهم سماعها.

شعر مراد بنظراتها إليه فالتفت لها بحنان، وما زالت نفس اللمعة التي رأتها أمام البحر تسكن عينيه، ليبتسم قائلًا:

– مالك؟ ساكتة كدا ليه؟

بابتسامتها العذبة رفعت كتفيها قائلة:

– عادي، مش مستوعبة بس إننا رحنا إسكندرية وقعدنا قدام البحر واتكلمنا زي ما طول عمري بتمنى.

بخبث نظر إليها قائلًا:

– أنا لو أعرف إنك مش هتقوليها غير قدام البحر كنت أخدتك إسكندرية من زمان، بس ما كنتش أعرف إنك قدام البحر مختلفة كدا.

ابتسمت في خجل لتسأله في فضول أنثوي:

– مختلفة إزاي؟

– يعني بتتكلمي من غير تحفظ، بتنطلقي كدا وبتبقي على راحتك مش متوترة ولا قلقانة.

أومأت برأسها في خجل قبل أن تندفع قائلة في حماس وكأنها تذكرت شيئاً هامًا لتوها:

– لسه بتحب أنغام؟

رفع حاجبيه في إعجاب قائلًا:

– أوووه طبعًا، عايزة تسمعي لها إيه؟ كله موجود وغالبًا متخيل عايزة أغنية إيه.

كطفلة عنيدة أجابت:

– خلاص قول أنتَ وأنا هقول لك صح ولا غلط.

– لا انسي، اطلبي وأنا هقول لك.

– علشان خاطري يا مراد، والله لو هي هقول لك، بس عايزة أعرف بجد هتبقى عارف أنا عايزة أسمع إيه ولا لأ.

في استسلام لرغبتها أمسك هاتفه يبحث عن أغنية ما ليجدها

سريعًا قبل أن يوصله بالسيارة وتبدأ أنغام في الغناء بإبداع:

«أنا وأنتَ حالة خاصة جدًا،
حالة مش موجودة فعلًا،
وما فيش في حياتنا أصلًا
يا حبيبي عذاب».

في سعادة بالغة كادت ياسمين تقفز على مقعدها وهي لا تصدق إصابته الهدف بدقة هكذا، نظرت له في دهشة لا تصدق كيف عرف الأغنية التي تريد سماعها وهما لم يسمعاها معًا من قبل لتندفع في حماس:

– مراد أنت فظيع، إزاي عرفت؟

كأب يوجه طفلته المندفعة وضع إصبعه على فمه ضاحكًا:

– ششششش، اسمعي وبعدين نتكلم.

في طاعة لم تعتَدها من قبل، صمتت وهي تنظر إليه بإعجاب شديد وابتسامتها ما زالت تتسع حتى شعرت أنها تكاد تلمس السماء من شدة سعادتها. نظر إليها وبدأ يغني وكأنه يصفها قائلًا:

«أنا وأنت حالة استثنائية
ودماغنا هي هي..
وحياتنا دي مش عادية
اتنين مجانين».

لتشاركه هي في حب:

«وما فيش بينا حاجة تقليدية..
أنت الفرحة اللي فيَّ
عارف العيد والعيدية؟
أنت الاتنين».

مضى الوقت سريعًا، وها هي سيارته قد شارفت على الوصول إلى

القاهرة، فصمتت ياسمين وهي تتطلع خارج النافذة وقد أرخت رأسها للخلف شاردة تفكر، وقد بدأت تشعر أن جرعة السعادة تلك التي حصلت عليها اليوم قد بدأت تؤلمها أيضًا. نظرت بعيدًا تفكر إن كان قد أصر على الزواج منها قديمًا لكان ذلك الوقت الذي سرقاه معًا منذ قليل هو حق مشروع لها، لمَ عليها الآن أن تعود إلى منزلها وحدها لتجلس جلستها اليومية في شرفتها تفكر به وتشتاق إليه وهو بعيد؟

لو كانت تزوجت من مراد لكانا ذهبا سويًا الآن ليأخذا صغيرهما من مدرسته ويعودوا جميعًا إلى المنزل الذي حتمًا كانت ستظلله السعادة التي تسرقها هي الآن. بدأ شعور الندم يتسلل لروحها ليحل مكان تلك السعادة رويدًا رويدًا، شعرت بدمعة ساخنة تنساب على وجهها بعد أن نجحت في الهروب من عينها وهي تفكر بوحدتها التي أوشكت على العودة لها. شعر مراد بصمتها المفاجئ فالتفت ينظر إليها وقد ظن أنها نائمة ولكنه لمح تلك الدمعة بعينها فما كان منه إلا مدّ يده محاولًا لمس يدها هامسًا:

– ياسمين.

ولكنه فوجئ بانتفاضتها وكأنه حاول أن يشعل النيران بيدها لتهتف بانفعال:

– في إيه يا مراد؟!

لم يستعِب هو انفعالها المفاجئ فعقد حاجبيه في استنكار لردة فعلها متسائلًا:

– فيه إيه يا ياسمين؟ أنا لاقيتك بتعيطي فكنت بطبطب عليكِ بس. في إيه؟

في توتر بالغ مسحت دموعها عن وجهها وقد سارت أنفاسها أسرع لتجيبه:

– ما فيش حاجة، أنا بس كنت سرحانة وأنت خضتني. معلش يا

مراد بس من فضلك بلاش تحاول تمسك إيدي تاني.

شعر بإحراج من حديثها ليلتفت ناظرًا للطريق أمامه وهو يعتذر قائلًا:

– أنا آسف يا ياسمين، بس أنا فعلًا ما كانش قصدي. أنا كنت بناديكِ ولاقيتك بتعيطي ما عرفتش أعمل إيه!

– حصل خير.

– طيب كنتِ بتعيطي ليه؟

وكأنها كانت تنتظر سؤاله هذا، ما إن سألها حتى اندفعت قائلة بانفعال وكأنها ليست هي ذات المرأة التي كانت تغني في سعادة معه منذ قليل:

– بعيط علشان كدا يا مراد، علشان ليه يبقوا اتنين بيحبوا بعض ومش مع بعض؟ ليه أنا متجوزة أكرم وأنت اتجوزت سلمى؟ ليه مامتك تصمم تاخد قرارت في حياة ناس بقوا بسببها تعسا؟ مبسوطة هي دلوقتي بحالك، شايفة نفسها صح؟!

صمتت للحظات قبل أن تكمل في صوت جاء ضعيفًا لائمًا:

– وليه أنت ما صممتش عليَّ يا مراد؟ ليه استسلمت وكان أسهل عليك تتجوز غيري؟ ليه توصلنا للي إحنا فيه دلوقتي وأنت عارف من زمان أنا بحبك إزاي؟

ظل صامتًا يسمعها وهي تلومه وتحمله مسؤولية ما وصلت إليه الآن حتى صمتت وأجهشت في بكاء مرير ليأتي صوته ضعيفًا وكأنه يعرف أنه وحده المسؤول ولا يجد ما يدافع به عن نفسه:

– أنا آسف يا ياسمين، أنا بجد آسف.

رفعت رأسها تنظر إليه من بين دموعها التي اندفعت كالشلال لتجد أنها قد وصلت أسفل عملها، حيث أوقفت سيارتها هذا الصباح فاعتدلت في مقعدها تستعد لتغادر فيما أكمل هو:

– أنا كان نفسي أبسطك النهاردا، ما كنتش أعرف إن اليوم هيضايقك في آخره كدا. حقك عليَّ، حقك عليَّ في كل حاجة، أنا عمري ما قصدت أزعلك.

– ما فيش حاجة يا مراد، أنا اللي آسفة إني نكدت عليك في آخر اليوم. ميرسي عمومًا على كل حاجة، باي يا مراد.

– مع السلامة يا ياسمين، طمنيني لما توصلي البيت.

استقلت سيارتها لتترك مراد خلفها وتذهب إلى مراد آخر ينتظرها كي تصطحبه ويعودا معًا لمنزلهما. كما اعتادت كل يوم، عادت إلى منزلها وبعد أن نام صغيرها أخذت فنجان قهوتها وذهبت لتجلس بشرفتها تستعيد ما حدث هذا الصباح وهي ما بين ابتسامة ودموع. لا تعرف لماذا لم تشعر بافتقادها لمراد اليوم، لم تشعر أنها تريد الاتصال به أو إرسال رسالة تطمئن عليه بها بل إنها لم تكن تنتظر منه اتصالًا ولا رسالةً أيضًا. جلست تمسك فنجانها وتنظر إلى السماء في هدوء مغمضة العينين تستعيد صورة البحر بعقلها وتبتسم، قطع عليها شرودها صوت رسالة عرفت أنها من دينا عندما أمسكت بهاتفها لتقرأ ما بها:

«ياسمين، أنا مش هسألك أنتِ كنتِ فين الصبح ولا إيه المشوار اللي طلع لك فجأة على الصبح كدا؛ علشان أنا عارفة إنك وصلتِ تحت الشركة وبعدين حصل حاجة وشفت عربيتك مركونة مكانها بنفسي، أنا بس عايزة أقول لك إنك لو كنتِ مع مراد فاللي بيحصل دا غلط يا حبيبتي، ومش هيجيب ي لك غير المشاكل ووجع القلب. أنا دايمًا بسمع وبسكت بس أكتر من كدا غلط، مراد دا والله العظيم ما بيحبك. اللي بيحب بيخاف على اللي بيحبه، على سمعته، على حياته وشغله، مش يظهر في حياته يخربها له. خصوصًا إنه كان قدامه زمان وسابه، أنا خايفة عليكِ ومش عارفة أقول لك الكلام دا قدامك. ما تزعليش مني بس أنا مش عاجبني اللي بيحصل، دي مش ياسمين اللي أنا أعرفها».

على الرغم من معرفتها موقف دينا من مراد من قبل إلا أنها شعرت بمزيج من الإحراج وصدق ما جاء بالرسالة. هي ذاتها لم تكن تظن يومًا أن تتصرف هكذا، لسبب ما لا تعرفه لمست كلمات دينا قلبها وشعرت أن قرار مراد بالذهاب إلى الإسكندرية هذا الصباح وإن كان راقها وقتها لكنها تستنكره الآن. بدأت تشعر أن وجود مراد يشكل عبئًا عليها ويدفعها حبه لفعل ما لم تكن تتوقع فعله من قبل بل وكانت لتستنكره إن فعله غيرها.

أعادت قراءة الرسالة أكثر من مرة وهي لا تعرف أيجب عليها الرد على دينا أم فقط يكفي أنها أحدثت داخلها الفرق المطلوب؟ ظلت تفكر حتى وجدت نفسها تطلب رقم تلك الصديقة التي لم تيأس من محاولة إنقاذه.

– دينا.

على عكس ما توقعت، جاء صوت دينا هادئًا مرحبًا وهي تقول:

– أيوة يا ياسمين، أيوة يا مغلباني.

– وحشتيني والله.

– وأنت يا شركسي، المكتب وحش من غيرك والله. يا شيخة أنا مش بصعب عليكِ قعدتي لوحدي دي طيب؟

– حقك عليَّ، أنتِ صح في كل كلمة بس والله أنا كنت...

– ياسمين، مش عايزة أعرف حاجة خالص. أنا بس عايزاكِ تفوقي، مراد دا عقرب صدقيني. الراجل لما بيحب يحافظ على حبيبته مش بيعرضها للغلط ويبوظ حياتها. علشان خاطري خلي بالك من نفسك.

في ضعف قالت:

– حاضر، والله خلاص هخلي بالي.

في حركة مفاجئة أبعدت الهاتف عنها ونظرت بشاشته لتضعه على أذنها وتكمل:

– دينا، بقول لك عمر بيتصل هرد عليه وأكلمك علشان تلاقيه

بيسأل على العقد.

– طيب تمام، هستناكِ تكلميني.

أغلقت دينا الخط لترد ياسمين على عمر بهدوء:

– ألو.

بحماسه المعهود جاء صوته:

– ألو يا ياسمين، إزيك؟

– الحمد لله تمام، أنتَ عامل إيه؟

– أنا تمام، بكلمك في وقت مش مناسب؟

– لا خالص، أنا فاضية عايز تسألني على العقد أكيد.

ضحك قائلًا:

– لا العقد أنا جاي بكرة آخده، أكيد هتقولي لي كدا.

ضحكت لدعابته وهي تجيبه في تأكيد:

– هو فعلا جاهز خلاص.

– طيب عظيم، بس أنا بكلمك علشان حاجة تانية خالص الحقيقة.

– خير، قول.

– أنا بكلمك علشان افتتاح فرع المطعم اللي في الزمالك إن شاء الله يوم الجمعة الجاي، طبعًا أنتِ مش محتاجة عزومة بس قلت برده ذوقيًا أكلمك.

كانت على وشك أن تسأله إن كان ينوي دعوة دينا أيضًا أم إن لها وحدها الدعوة ولكنها سمعته يكمل:

– أنا للأسف مش معايا رقم دينا فهعزمها بكرة لما آجي لكم.

– إن شاء الله، خلاص تمام يا عمر وألف مبروك الفرع الجديد يا رب، عقبال ما تبقى سلسلة عالمية كمان.

– ميرسي يا ياسمين، هستناك، ما الكيش حجة إحنا جنب البيت كمان.

– أكيد.

– خلاص بكرة هعدي نمضي العقد وأقول لدينا كمان، تمام؟

– تمام يا عمر.

– يلا، مش عايزة أي حاجة؟

ابتسمت لسؤاله الذي لم تعتد أن تسمعه من أحدهم لتجيب بامتنان:

– لا ميرسي، سلامتك.

– طيب يلا تصبحي على خير.

– وأنتَ من أهله.

أغلقت الخط وهي تبتسم من أحداث يومها الكثيرة بدءًا من انتظار مراد لها صباحًا، ووصولًا لاتصال عمر الذي لا تجد له تفسيرًا، خاصة وأنه كان يستطيع دعوتها في اليوم التالي عندما يمر عليها لتوقيع العقد ولكن يبدو أن القدر لم يكتفِ بتلك الأحداث فقط، وما زال مصرًا على إشعال الصراع داخلها من أجل مراد. فما لبثت أن نهضت لتنام حتى وجدت هاتفها يضيء برسالة أخرى ولكن منه هو هذه المرة:

«على فكرة أنا كنت عايز أسمعك أغنية لأنغام برده بس مش حالة خاصة جدًا».

على الرغم من تلك الوعود التي كانت قد قطعتها لدينا منذ قليل إلا أن فضولها دفعها لترسل له تتساءل:

«إيه هي»؟

لم تستقبل منه رسالة هذه المرة، فلم يكن منه بعد قراءته لرسالتها إلا أن طلب رقمها لتفتح الخط ولكن قبل أن تقول شيئًا سمعت أصوات كثيرة وكأنه لا يزال بسيارته وفجأة خفضت كل الأصوات المحيطة وعلا صوت أنغام تشدو:

«روحي عيني قلبي اللي بيحييني،

أيامي وسنيني، أنادي عليك بإيه؟
طب أقول لك يا واحشني..
ولا أقول يا معيشني
قول لي حبيبي وغششني..
ساعدني هيجرى إيه»؟!

***

-20-

وكأن حديثها مع دينا ما كان وكأن رسالتها لم تكن، وعادت ريما لعادتها القديمة. استمر حديثها مع مراد ما يقرب من الساعة ولولا وصوله منزله وشعورها بصوته المتعب لكانت لا تمانع بأن تظل مستيقظة طوال ليلتها تتحدث معه وتستأنس بصوته. تعشق مناقشاتهما وأحاديثهما التي لا تنتهي، تعشق إصغائه لها واهتمامه بتفاصيلها وضحكهما سويًا وتعشق إجادته إقناعها بوجهة نظره إن اختلف معها.

استيقظت اليوم التالي بحماس لم يدم كثيرًا فما إن أمسكت هاتفها فور نهوضها من فراشها حتى وجدت رسالة من مراد قام بإرسالها لها قبيل الفجر، شعرت بخوف يسري في عروقها وهي تقرأها بتركيز كبير:

«ياسو، صباح الفل، معلش ماما تعبت شوية بالليل وأنا معاها في المستشفى من ساعتها. أنا بس قلت أعرفك علشان ما تفتكريش إني اختفيت زي المرة اللي فاتت، هكلمك أول ما الدنيا تهدى عندي.. بحبك».

قرأت الرسالة مرات عديدة وكأن بها شيئًا ما لا تفهمه، شعرت بغموض يثير فضولها في إرساله مثل تلك الرسالة لها في هذا الوقت المتأخر.. ما الذي يضطره لإرسال رسالة كتلك بدلًا من أن ينتظر حتى الصباح لإرسالها؟! ألا يمكنه مغادرة غرفة أمه للاتصال بها إن أراد؟ ما الذي يقصده بأنه سيعاود الاتصال بها عندما يستطيع؟ أيخشى اتصالها

به وهو بصحبة عائلته؟! أيمكن أن يخشى رجلًا مثله أمه لهذه الدرجة؟

ثارت شكوكها وعصفت برأسها رياح غضب عاتية، وتساؤلات كثيرة عما أراد مراد قوله حقًا بإرساله تلك الرسالة وكأنه بانسحابه المفاجئ من يومها يوقظها من حلمها بسعادة زائفة على حقيقة أنه أبدًا لم يكن لها. اختفى مراد من صباحها تمامًا، حاولت أن ترسل له رسالة تطمئن على أمه ولكن لدهشتها لم تصله لتكتشف أنه لم يترك لها طريقة تصل له بها ولم يعد أمامها سوى انتظار ظهوره مرة أخرى، ليفسر لها ما يحدث ولكن حتى يأتي ذلك الوقت قررت هي أن تصدق ما أخبرها به وأن تقنع نفسها أن ما يمنعه عن الاتصال بها هو حقًا مرض أمه المفاجئ.

ها هي تصل أسفل مكتبها لتوقف سيارتها وتستعد للصعود لبداية يوم جديد، ولكن بلا مراد الذي كانت تتمنى أن تجده ينتظرها هناك ليفاجئها كما فعلها من قبل، ولكن تبخر آخر أمل بداخلها لرؤيته لتصعد مكتبها وهي تفتقده لدرجة الغضب. دفعت باب مكتبها لتجد عمر يجلس مع دينا بالداخل في انتظارها لتبتسم قائلة:

– أهلًا أهلًا.

وضعت حاسوبها على مكتبها قبل أن تتجه إلى حيث يجلس عمر في المقعد المقابل لدينا قبل أن ينهض مستقبلًا لها وقد اتسعت ابتسامتها وهي تمد يدها له قائلة:

– صباح الخير يا عمر.

– صباح النور يا ياسمين، معلش عديت بدري على غير العادة.

لتضحك دينا وتعلق:

– قصدك هي اللي وصلت متأخر كالعادة.

ضحكت ياسمين وهي تجيب لتؤيد ما قالته دينا:

– دا حقيقي، أنا اللي آسفة إني خليتك تستنى، بس والله لو كنت قلت لي إنك هتعدي بدري كنت حاولت أوصل بدري برده.

ضحك عمر وهو يكرر كلمتها باندهاش:

– حاولتِ كمان؟! لا يا ستي ولا يهمك هي غلطتي فعلًا، أنا فعلًا كان المفروض عندي مشوار الأول بس اتأجل وأنا على وصول فقلت أعدي عليكم الأول، والحمد لله إني لاقيت دينا وإلا كان زماني قاعد على الكورنيش زي المتحرشين.

ضحكت دينا بشدة قبل أن تقول:

– لسه زي ما أنت يا عمر..

– وأنا إيه اللي هيغيرني يا دينا يعني؟ وبعدين أنا مش بهزر، يعني راجل زيي قاعد في عربيته على الكورنيش على الصبح كدا معظم اللي هيشوفه هيقول قاعد يعاكس.

نظرت إليه دينا بتمعن، فيما اكتفت ياسمين بأن تجلس في صمت على مقعدها تتابعهما قبل أن تضيف دينا في سؤال مفاجئ فهمت ياسمين ما وراءه على الفور:

– عمر، أنا في سؤال في دماغي من ساعة ما جيت أول مرة نفسي أسأله لك بس مكسوفة بصراحة.

هز عمر رأسه في اندهاش وتساؤل ناظرًا إليها قبل أن يسألها:

– سؤال إيه يا دينا؟ قولي طبعًا هتتكسفي من إيه يا بنتي.

– أنت ليه مثلًا ما كملتش في حياتك عادي واستسهلت زي رجالة كتير وقضيتها وخلاص؟

عقد حاجبيه في دهشة وكأنه يحاول إبعاد ما فهمه من كلامها عن رأسه:

– قضيتها إزاي يعني؟ أكمل اللي ناقصني معاها برا تقصدي؟ أخونها يا دينا؟ دا قصدك؟

– مش خيانة بالظبط يا عمر بس يعني تلعب بديلك يعني زي رجالة كتير.

استفزه سؤالها فاعتدل في جلسته وأسند ظهره للخلف وكأنه على وشك إلقاء محاضرة مهمة:

– لا هي خيانة، لما أتجوز واحدة وأروح أعرف عليها واحدة تانية أيًا كان الدافع إيه، دي اسمها خيانة يا دينا، الخيانة مش سرير بس على فكرة وأنتِ ست وأكيد عارفة إن إحساس إن جوزك راح بمشاعره لواحدة تانية دا ممكن يقتلك أكتر من إنه عجبته واحدة تانية لشكلها بس.

صمت لثوانٍ قبل أن يخفض رأسه مفكرًا ليضيف:

– عارفة يا دينا، أنا بالنسبة لي لو ست اكتشفت إن جوزها خانها فعليًا أقل من إنه يكون ما لمسش غيرها بس قلبه معاها علشان الإعجاب الجسدي دا مؤقت، إنما الحب والمشاعر بتاخد وقت علشان تعدي منها وفي منها اللي زي الأمراض الخبيثة كمان بيطلع مع الروح.

رفع رأسه ينظر إلى هاتين الجميلتين ليرى على وجهيهما نظرات فهم منها، ولكنهما قد آثرا الصمت وألا تعليق على كلامه لينظر إلى النيل القابع خلف النافذة ويكمل وكأنه يحدث نفسه:

– ثم أعيش حياتي إزاي؟! أنا مثلًا بحب أقرأ شوية قبل ما أنام وهي النور بيضايقها، أنا بالنسبة لي قعدتنا قدام فيلم حلو بفيشار أو لب نتفرج سوا بالدنيا وهي ما كانش ليها في الأفلام، ولو وافقت علشان خاطري مش بتحب العربي وأنا مثلًا بموت في الأبيض والأسود. بحب أسمع أم كلثوم بالليل لو راجعين من مشوار، ما كانتش بتستحمل صوتها. أنا بحب إسكندرية، هي بتعشق شرم والغردقة، وقيسي على كل تفصيلة في يومنا. فهروح أشوف واحدة أعيش معاها إيه؟ آكل معاها فيشار قدام فيلم لفؤاد المهندس مثلًا؟ أنا عارف إن دي مش عيوب فيها بس هي مش عيوب فيَّ برده. الفكرة إن الحاجات الصغيرة دي بتنغص علينا الحياة، بتخليكِ مش عايشة مبسوطة. آخر اليوم نايمة جنبي بس

مش حاساني ولا أنا حاسسها، والحمد لله إننا اتفقنا إننا مش سعدا وقررنا الانفصال سوا علشان هي كانت فاهمة إننا مش بنتجوز علشان نتعس نفسنا.

في ألم أجابت ياسمين بتلقائية:

– صح.

ليلتفت إليها عمر وكأن وجودها فاجأه:

– الراجل الخاين دا ضعيف، وأنا ما كانش عندي استعداد أبقى ضعيف ولا تعيس علشان الجواز أصله مودة ورحمة والهدف منه العفة ودي مش بس جنسية، لأ الأهم من دا العفة العاطفية إن مراتي تبقى مالية عيني وعقلي وقلبي. باختصار يبقى في إشباع في كل حاجة فأعرف أبقى إنسان سعيد منتج غير كدا يبقى بنمثل إننا متجوزين والأهم بنمثل إننا عايشين من الأساس.

ابتسمت دينا رغم الحزن الذي ظهر بعينيها وهي تنظر إليه قائلة:

– ما كنتش أتوقع إنك فاهم أوي كدا.

ضحك عمر في زهو ليقول:

– لا دا أنا أعجبك أوي، والله نفسي أدي كورسات للمقبلين على الجواز أفهمهم إن الجواز دا ليلة كبيرة أوي سعادتك.

ضحكت دينا مرة أخرى قبل أن يلتفت لتلك الشاردة في حزن قائلًا:

– طيب إيه؟ العقد مش جاهز ولا إيه ولا أدور على شركة غيركم أأمن عندها؟

ابتسمت ياسمين رغم ذلك الصراع الذي عاد يشتعل داخلها بعد كلماته وتجيبه:

– لا موجود والله.

لتمد يدها له ببضع ورقات قائلة:

– اتفضل يا سيدي، اقرأ براحتك وقل لي لو في أي تعليق.

ما إن أخذ منها العقد حتى أضافت مداعبة إياه:

– مع إني واثقة إنك هتمضي من غير أي تعليق.

بالفعل وقّع عمر العقد بدون ملاحظات وغادر بعد أن دعا دينا إلى حفل افتتاح مطعمه، وأكَّد على ياسمين أيضًا. غادر بعد أن فتح بكلامه بابًا للحزن لكلٍّ منهما. مضى اليوم في ثقلٍ وبطءٍ وصمت على غير العادة، فدينا ما زالت تستعيد كلمات عمر وتقارنها بما فعل زوجها قديمًا عندما رزقا بابنهما الثاني، فيما شردت ياسمين تفكر في نفسها وضعفها أمام مراد وحياتها الزوجية الزائفة التي لا تعرف لاستمرارها أية أسباب.

قارب يوم ياسمين على الانتهاء وها هي تجلس بشرفتها، وما زال مراد مختفيًا اختفاءً لا مبرر له حتى وإن كان مرض أمه؛ فإرسال رسالة أخرى لن يتسبب في فصل أنبوب الأكسجين عنها بكل تأكيد. وكأنه سمع ما يدور بعقلها وجدت رسالة أخيرًا منه، جاءت تحملُ كلمةً واحدةً فقط وكأنه يطمئنها بوجوده: «وحشتيني».

وكما حدث صباحًا حاولت إرسال رسالة للرد عليه ولكنها لم تصل، لتزيد الرسالة من غضبها بدلًا من أن تؤكد لها افتقاده لها أيضًا. تنهدت بأسى وهي ترفع رأسها للسماء قائلةً: «يا رب أنا تعبت، وحياة ابني تعبت، خرج حبه من قلبي يا رب»، لتنهض بعدها وتستسلم للنوم علّها تجد فيه راحة هجرتها منذ الصباح.

مضى اليوم التالي كسابقه، هادئ بلا أحداث جديدة؛ فمراد ما زال مختفيًا فيما عدا رسالة أرسلها صباحًا يؤكد فيها على افتقاده لها ولصوتها، وبأن يومه لا يمرُّ دونها، ثم تبعها باختفاءٍ غامضٍ تمامًا مثلما فعل في اليوم السابق. تشعر أنها على وشك الجنون، تريد تفسيرًا لما يحدث وإن كانت بدأت تثق أن هناك شيئًا ما غير طبيعي يحدث دفعه للعودة لما اعتاد فعله قديمًا.

أوشك يوم جديد على الانتهاء وما زال اختفاء مراد يثير غضبها

وحيرتها، عادت ياسمين من عملها اليوم لتأخذ صغيرها ويذهبا إلى زيارة جدته، وقد حرصت على أن تتركه يقضي ليلته هناك استعدادًا لحضورها افتتاح الفرع الجديد لمطعم عمر في اليوم التالي. ودَّعت ياسمين وحيدها ورحلت عائدة إلى منزلها، وقد أتعبها التفكير فقررت أن تتجاهل كل ما يحدث من مراد وتنتظر حتى يعود ليفسر لها ما عجزت هي عن فهمه. وكأنه يرفض دائمًا أن يترك لها فرصة للهروب منه، أضاء هاتفها حاملًا اسمه وهي في طريق عودتها بعد أن كانت قد فقدت الأمل في سماع صوته اليوم أيضًا. أشعل اتصاله غضبها فجاء صوتها جافًا:

– ألو.

– ياسو.

– دا بجد؟ غايب يومين وياسو عادي كأنك ما عملتش حاجة؟

صمت للحظات وكأنه لم يتوقع جفاف استقبالها هكذا لتظهر نبرة انفعال بصوته وهو يجيبها:

– هو أنا غايب يومين بصيّف يا ياسمين؟ أنا أمي كانت تعبانة، وأول ما جينا ننزلها المستشفى فكرت فيكِ، وبعت لك علشان عارف تفكيرك. في إيه بقى؟

– فيه إيه؟ فيه إن موبايلك مقفول يا مراد، مش فاهمة ليه بصراحة وإيه علاقة إن طنط في المستشفى بإنك ما تكلمنيش طول اليوم ولا تبعت غير رسالة واحدة الصبح وبالليل وشكرًا. لا بجد هو أنت مثلًا طول اليوم قاعد جنب سرير طنط يا مراد؟

– ياسمين، أنا أقسم بالله ما فيَّ حيل للخناق.

– ولا أنا، وأنت أكتر واحد عارف أنا مش ناقصني خناق علشان أتخانق معاك. بس فسّر لي بالمنطق، اقنعني.

زفر بضيقٍ حقيقيٍ وفي انفعالٍ صادمٍ أجابها:

– لا مش هقنعك، وأنا مش مجبر أكذب عليكِ علشان تكذّبيني

كدا. يعني قدري شوية إن عندي ظروف وأمي في المستشفى وأنا طالع عيني طول اليوم معاهم. في إيه يا ياسمين؟

صمتت، لا تصدق أن من ينفعل عليها الآن هو ذاته من كان يغني لها منذ يومين، اندفعت دموعها على وجهها بلا مقاومة منها وقد جاء صوتها ضعيفًا متألمًا وهي تقول:

– ما فيش حاجة يا مراد، خلاص ما فيش حاجة بجد. أنا آسفة.

لم تنتظر أن تسمعه لتغلق الخط فور انتهائها من كلماتها، وكأنها ملّت ضعفها أمامه وسئمت غفرانها لمبررات يرفضها عقلها طوال الوقت. ألقت هاتفها بجانبها وأوقفت سيارتها أسفل منزلها لتصعد بعدها وقد قررت أن تنسى كل ما حدث وتتوقف عن البكاء. حاول مراد الاتصال بها مرة تلو الأخرى حتى يئس من سماع صوتها مرة أخرى هذه الليلة؛ فما كان منه إلا أن أرسل لها رسالةً كمحاولةٍ أخيرةٍ للوصول إليها:

«حقك عليَّ يا ياسمين، بس أنا فعلًا مش نايم من إمبارح وأعصابي مش مستحملة، ردي عليَّ من فضلك».

قرأت ياسمين رسالته فرقَّ قلبُها وجاء صوتها هادئًا هذه المرة وهي تجيبه فور اتصاله قائلةً:

– أيوة يا مراد.

– ما تزعليش مني، بجد ما كانش قصدي.

– حصل خير يا مراد، مش زعلانة والله خلاص.

– مش زعلانة بجد؟

– والله خلاص، ما فيش حاجة.

– طيب، وحشتيني.

ضحكت بخجلٍ فأضاف هو مؤكدًا:

– والله وحشتيني بجد. طمنيني، عاملة إيه؟

– الحمد لله، طمني أنت عليك.

– هلكان وطالع عيني، هموت وأنام وما صدقت هربت منهم أروّح أنام شوية.

– طنط عاملة إيه؟

– لا طنط عندها مشاكل كتير كدا وداخلة على بعضها، ومش بتنتظم على أدوية فمبهدلانا معاها.

– سلامتها يا مراد.

– الله يسلمك، أنتِ لوحدك ولا إيه؟

– اه، مراد بايت عند جدته علشان عندي مشوار بكرة مش هينفع يروح معايا.

– مبيتة ابنك عند جدته ورايحة فين يا ياسو؟ يا خوفي منك أنتِ.

– والله أبدًا، معزومة على افتتاح مطعم جنبنا هنا بتاع عميل عندنا، وبالصدفة كان زميل دينا في الجامعة.

فضَّلَتْ ألا تخبره بصداقة عمر مع شقيقها؛ خوفًا من إثارة غيرته إن علم أنَّ هناك علاقة صداقة قديمة تربطه بأسرتها. على عكس عادته سمعته يسألها:

– دا مطعم إيه دا؟

– مطعم ليالي زمان، له فروع عندكم في أكتوبر، تعرفه؟

لا تعرف لمَ صمت للحظات وكأنه يبحث عن إجابة ليجيبها باقتضاب:

– لا، مش واخد بالي.

– تمام.

– ياسو، بقول لك أنا وصلت خلاص.

– طيب كويس، يلا اطلع نام على طول وأنا كمان هنام.

– أوكي يا ياسو.

– تصبح على خير.

– وأنتِ من أهله يا حبيبتي.

لا تعرف إن كانت تتوهم أم إن صوته حقًا جاء غامضًا عند إخبارها له بشأن مطعم عمر، ولكن ما تعرفه حقًا أنها متعبة بشدة ولا تنوي قضاء ليلتها ترقد خلف تفسيرات لأفعال أحدهم، حتى وإن كان مراد أبو غيدة.

في تمام السادسة من مساء اليوم التالي وقفت ياسمين تتطلع لنفسها أمام مرآة غرفتها التي كادت تنساها الأيام الماضية، وقفت بثوب أزرق اللون بلا أكمام، بالكاد يلامس ركبتيها ليكشف عن جمال ساقيها. جمعت شعرها فوق رأسها لتنساب خصلات متمردة منه على جبينها، واختارت أن تضع بعض مساحيق التجميل البسيطة التي حرصت على أن تظهر بها جمال ملامحها فقط، بدت كآلهة الإغريق القدامى، جميلة تحيطها هالة من النور تجعلك تعشق جمالها وتقدسه.

وصلت حيث الفرع الجديد لمطعم عمر سيف الدين بصحبة دينا بعد أن مرت عليها بسيارتها كما اتفقا في الصباح، استقبلهما عمر بترحابٍ شديدٍ وكأنه كان يشك في حضورهما، وقد ظهرت على وجهه علامات سعادة حقيقية لرؤيتهما. جلس عمر معهما معظم الوقت، فكان يذهب إلى الترحيب بضيوفه ويعود ليجلس معهما من جديد. ظل اليوم هادئًا بسيطًا لا يوجد به شيءٌ غير معتادٍ سوى تكرار نظر عمر إلى ساعته الذي أثار فضول دينا في النهاية لتسأله بخبث:

– أنت مستني حد يا عمر؟ كلّمها طيب.

– يا شيخة، كلّمها إيه أصلًا، هي مين؟ دا مراد أبو غيدة، واحد من أهم الموردين للمطعم وصاحب مصانع أبو غيدة للأغذية، والمفروض مأكد عليه من يومين ومش عارف اتأخر ليه.

اخترق اسم مراد سمع ياسمين لتنتبه من شرودها وتنظر إلى دينا التي لاحظت انتفاضتها؛ فتابعت حديثها مع عمر تسأله:

– هو مراد دا مورد مهم يعني؟

– دا تقريبًا أكبر مورد في مجاله، يمكن من أحسن الحاجات اللي نوران عملتها فيَّ إنها عرفتني عليه.

عقدت دينا حاجبيها في فضول وهي تردد:

– نوران؟ هي قريبته؟

– لا، مش قريبته.

ثم ضحك قائلًا:

– كان جوز رولا صاحبتها، عرفتنا على بعض وإحنا مخطوبين، وإحنا الاتنين طلقنا ولسه بنشتغل مع بعض، رزقنا.

رفعت ياسمين رأسها في دهشة تردد:

– رولا؟!

***

–21–

– آه رولا، تعرفي حد بالاسم دا ولا إيه؟

هكذا أجاب عمر وهو يحاول معرفة سر اندهاش ياسمين عند سماعها اسم زوجة مراد السابقة، لتتدخل دينا في محاولة لإنقاذ صديقتها التي ظهرت عليها علامات استفهام كثيرة لا تعرف هي لها سببًا:

– لا، ماعتقدش ياسمين تعرف أي رولا، هو الشركسي دا يعرف حد غيري أصلًا؟

ضحك عمر لدعابتها قبل أن تكمل:

– هو بس الاسم مش منتشر فعلشان كدا استغربنا، تحس رولا دي فنانة أو حاجة كدا.

– فنانة؟! لا مش أوي كدا، هي كانت بنت نص سورية كدا وبنت ناس أوي، بس نوران كانت بتقول إنه اتجوزها ضد رغبة أمه؛ فسوّدت

عيشتهم لحد ما انفصلوا وسابت البلد كلها وسافرت بعدها خالص.

لاحظت دينا توتر ياسمين ورعشة يدها وقد صدمها ما سمعته لتوها من عمر، صدمها اكتشافها أن من تركها لأجلها قديمًا لم تكن من اختيار أمه بل كانت اختياره هو، والأكثر من ذلك أنه أصرَّ على الزواج منها ووقف ضد رفض أمه ليتزوجها بالفعل.

في محاولةٍ لمعرفة أكثر عن حياة مراد السابقة، سألتْهُ دينا بحذرٍ:

– يا حرام، أكيد زعل عليها أوي. هو في أمهات كدا؟

– هو زعل بس مش أوي، أو مش زي ما أنتِ متخيلة، مراد دا أصله مش سهل ولا واضح كدا. يعني ما تعرفيش تفهمي هو بيحب إيه أو بيكره إيه، ولا تعرفي هو بيتصرف بطريقة معينة مثلًا ليه.

– طيب وأنت إيه اللي جابرك عليه يا ابني؟

– ليه هو أنا مراته يا دينا؟ هو رجل أعمال وإداري عبقري، يعني ماسك مصنع أبوه ومشغله صح، ودا اللي يهمني في علاقتي به، الشغل. لكن غموضه وشخصيته الغريبة ومزاجه المتقلب دي حاجات ما تخصنيش.

– آه فهمتك، عندك حق صح.

كانت ياسمين تسمع وهي صامتةٌ تكاد لا تعي ما تسمعه، من هي رولا تلك؟ وكيف عرفها مراد قديمًا ومتى سكنتْ قلبه؟ كيف لم تشعر ياسمين بكل تلك الأحداث وقتها؟ إن كان أحب غيرها وتزوجها إذن فلمَ عاد الآن ليكذب ويبرر ذلك بأنها كانت اختيار أمه وفُرضت عليه؟! وأخيرًا إن كانت رولا هي زوجته الأولى التي رحلت بعد انفصالهما، من تكون سلمى التي أخبرها أنها زوجته السابقة أيضًا؟ شعرت ياسمين أن عقلها يكاد ينفجر بسبب تلك الأسئلة الكثيرة التي أخذت تتدافع بلا أجوبة. انتبهت من شرودها على صوت عمر يستأذن أن يذهب ليرحب بباقي المدعوين قليلًا ثم يعود لهما ثانية.

ما إن تركهما عمر حتى التفتت دينا لترى دموعًا تتراقص بعينيّ رفيقتها، فما كان منها إلا أن ربتت على يدها برفقٍ تحاول مواساتها قائلةً:

– أنتِ زعلانة ليه يا ياسمين دلوقتي طيب؟ كان هيفرق معاكِ في إيه اتجوز بإرادته ولا ضغط من مامته؟! ما النتيجة واحدة يا حبيبتي، بس أنتِ اللي ما كنتيش مقتنعة بيها، إنه في الحالتين سابك علشان واحدة تانية، وأنا ياما قلت إن ما فيش راجل بيتزوج غصب عنه بس أنتِ ما سمعتيش.

نظرت ياسمين إلى دينا نظرةً ظنّت منها دينا أنها على وشك أن تخبرها بسرٍ ولكنها تراجعت وصمتت ثانيةً، لتضيف دينا بحنانٍ بالغٍ:

– احمدي ربنا إن كذبه ولفه دورانه بانوا دلوقتي قبل ما يبوظ لك حياتك أكتر من كدا، وابعدي عنه خلاص بجد، كفاية كدا.

بصعوبةٍ بالغةٍ، قاومت ياسمين دموعها وهي تقول:

– دينا عايزة أقوم من فضلك، خليكِ أنتِ وأنا هسلم على عمر وأمشي.

– طيب يلا بينا، طبعًا مش هسيبك لوحدك، ليه يعني.

نهضت دينا فتبعتها ياسمين في استسلامٍ ليراهما عمر ويأتي مسرعًا يسأل في دهشة:

– إيه دا؟ قمتوا ليه يا ياسمين؟

– معلش يا عمر، تعبت ومحتاجة أروَّح، وللأسف إني جايّة مع دينا بعربيتها فهتمشي معايا.

ظهرت علامات حزن على وجه عمر وهو يقول:

– طيب تحبي تاخدي مسكن؟

– لا، أنا هروّح أرتاح وإن شاء الله أبقى كويسة.

– طيب سلامتك يا ياسمين، إن شاء الله أكلمك أطمن عليكِ. ميرسي يا جماعة جدًّا إنكم جيتوا والله، شرفتوني.

ابتسمت ياسمين في وهنٍ قائلةً:

– ألف مبروك يا عمر.

لتهنئه دينا أيضًا:

– مبروك يا عمر، وإن شاء الله نحضر كل شهر افتتاح فرع جديد لك.

شكرهما عمر بشدة وأصر على أن يصحبهما حتى سيارة دينا ليودعهما ويعود لافتتاح مطعمه، وتطلق ياسمين العنان لدموعها وتنظر بعيدًا قائلةً:

– دينا، من فترة لقيت تعليق لواحدة اسمها سلمى عند مراد، ولما سألته عنها قال لي إنها هي دي مراته اللي انفصل عنها، وإنها بتحاول تجر كلام معاه.

– نعم؟! سلمى مين؟

– مش عارفة، أو كنت فاكرة نفسي عارفة وطلعت مش فاهمة حاجة خالص. عارفة هو ليه ما جاش النهاردا؟

– ليه يا ياسمين؟

– علشان عرف مني بالصدفة إني جايّة، وأكيد خاف يجي وأعرف علاقته بعمر وأكتشف إنه كان متجوز رولا مش سلمى، وعن حب مش بضغط من مامته زي ما كان مفهمني.

– طيب، وأهو ما جاش وربنا كشفه برده علشان تلحقي اللي فاضل من حياتك وتحافظي عليه.

نظرت إليها ياسمين بأسًى وبلا تعليق ودموع كالشلال، صمتت وأشاحت بوجهها بعيدًا تستعيد جلستهما سويًّا أمام البحر، واعترافها له بحبها وسعادتها بجانبه في سيارته وهو يغني لها، صمتت وأغمضت عينيها تسترجع كل ما مرت به معه في الأيام القليلة الماضية منذ عودته ثانية، وكأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًا هي بطلته. انتبهت على صوت دينا

تسأل مرةً أخرى وكأنها تفكر بصوت مسموع بجوارها:

– بس مين سلمى دي تفتكري؟

في وهنٍ واستسلامٍ مطّت ياسمين شفتيها قائلةً:

– ماعرفش، واحدة عرفها بعد رولا ولا حبها حتى مش هتفرق. اللي يفرق إنه سابني زمان بكامل إرادته؛ يعني عمره ما حبني يا دينا، دا بس اللي يفرق.

أوقفت دينا سيارتها أسفل منزل ياسمين، والتفتت تنظر إليها بحزنٍ تسألها:

– أطلع معاكِ؟

بابتسامة باهتة أجابتها:

– لأ، ما تقلقيش عليَّ، أنا كويسة، وكان في احتمال حتى لو ضعيف إن تبقى دي الحقيقة من الأول يا دينا.

– طيب بجد مش عايزاني معاكِ شوية؟

– لأ حبيبتي، أنا محتاجة أقعد لوحدي أجمع نفسي كدا. ربنا يخليكِ ليَّ يا دينا، بجد من غيرك مش عارفة كنت هعمل إيه.

ضمّتها دينا بقوة وهي تربت على ظهرها قائلةً:

– يا بنتي إحنا مالناش غير بعض، أنا كل اللي يهمني أنتِ. مش عايزاكِ تزعلي يا ياسمين، كان متوقع، وكدا ولا كدا الموضوع قديم خلاص. انسي بقى وارجعي ياسو بتاعة زمان قبل ما مراد دا يظهر خالص.

– حاضر والله يا دينا، يلا روّحي لولادك، وأنا هطلع دلوقتي ما تقلقيش عليَّ. طمنيني بس عليكِ لما ترجعي.

في حنان طبعت دينا قبلة على جبينها قبل أن تقول:

– حاضر، هكلمك أول ما أوصل.

صعدت ياسمين إلى منزلها بعد أن تركتها دينا وذهبت لتعود إلى وحدتها كعادتها كل ليلة، ما إن أغلقت خلفها بابها حتى علا صوت

نحيبها وكأنها ما عادت تحتمل أن يخذلها أكثر من هذا. بكت كأنه قد تزوج رولا منذ ساعات لا منذ سنوات، بكت قلبها وحيرتها ووحدتها وعبثه بمشاعرها، بكت كذبه عليها وإصراره على جرحها في كل مرة يعود للظهور في حياتها من جديد. كيف هانت عليه لهذه الدرجة؟ كيف استباح مشاعرها وقلبها هكذا؟ والأهم من كل هذا، لمَ كذب عليها وقد مرَّ على ما حدث عدة سنوات؟ ولمَ يضيرها أن يخبرها حقيقة زواجه السابق الآن؟

كادت رأسها تنفجر وقد تورمت عيناها من البكاء، فأخذت حمامًا دافئًا وأعدت قهوتها، وما إن أحضرت هاتفها وجلست بشرفتها حتى أضاء الهاتف حاملًا اسم عمر. ترددت قليلًا قبل أن تجيبه في وهنٍ:

– أيوة يا عمر.

– أيوة يا ياسمين، عاملة إيه دلوقتي؟

– الحمد لله أحسن، ميرسي على سؤالك.

– طيب الحمد لله، بقول لك أنتِ في البيت؟

فاجأها سؤاله، فأجابته وقد سيطر عليها فضولٌ لمعرفة سببه:

– آه في البيت، في حاجة ولا إيه؟

– لأ خالص، أصلكم مشيتوا قبل ما تشربوا حاجة حتى؛ فمعلش هبعت لك حد من الدليفري عندي بحاجة حلوة من المطعم.

– يا خبر يا عمر، ليه يعني؟ والله ما في داعي خالص للحاجات دي، إحنا ما فيش بينا كدا صدقني.

– يا ستي أنا عايزك تدوقيها وتقولي لي رأيك، إيه المشكلة؟ مصلحة يعني زي ما أنتِ فاهمة.

ابتسمت ياسمين وهي تسمع كلماته فأضاف هو بهدوءٍ:

– والله يا ياسمين، لو كان ينفع أجيبها بنفسي كنت جبتها بس لقيت إنه ما يصحش راجل غريب يطلع لك حاجة بالليل كدا، خصوصًا إن

شكلي يعني أكيد مش دليڤري.

ضحكت ياسمين وأكمل هو:

– حتى والله فكرت أجيبها وتاخديها تحت البيت، بس برده قلت شكلها مش لطيف؛ فهبعت حد من هنا على طول دلوقتي.

– مش عارفة أقول لك إيه، بجد متشكرة أوي يا عمر.

– على إيه بس، أنا لقيتك موودك مش هو النهاردا فقلت أحاول أفرحك بأي حاجة، وبرده فرصة تدوقي وتقولي لي رأيك.

– خلاص حاضر والله، أول ما يوصل هكلمك أقول لك إيه الأخبار.

– تمام، هستنى تليفونك بقى.

– حاضر.

– باي يا ياسمين.

– باي.

أغلقت ياسمين الخط بعد أن نجح عمر في رسم ابتسامة صغيرة على وجهها مرة أخرى هذه الليلة، جلست تمسك قهوتها وتنتظر الحلوى التي أرسلها لها عمر حتى تتذوقها وتخبره برأيها فيها، وهي تتساءل ماذا يمكن أن تكون؟ أخذها الانتظار من صدمتها بمراد قليلًا وكأنها قررت أن تؤجل النظر في قضية مراد إلى حين.

وصل عامل التوصيل أخيرًا، وفتحت ياسمين الحلوى المرسلة لتجدها حلواها المفضلة (الدونتس) فاتسعت ابتسامتها وهي تتذوق قطعة منها قبل أن تغمض عينيها بإعجاب وتبحث عن هاتفها لتطلب رقم عمر بحماسٍ.

– وصل؟

– وصل، ودُقتها وتحفة يا عمر.

– عجبتك بجد؟!

– جدًا، أنت مش متخيل مظبوطة إزاي، أنا أصلًا بموت في الدونتس وتقريبًا جربتها في كل حتة. دي رائعة والله بجد.

– طيب، الحمد لله إنها عجبتك.

– أوي يا عمر، بجد ميرسي جدًا على الهدية الحلوة دي.

– على إيه بس، أنا اللي ميرسي إنك دُقتيها واهتميتِ تديني رأيك على طول. قولي لي أنتِ أحسن دلوقتي؟

– آه، أحسن بكتير الحمد لله.

– طيب، دي أهم حاجة الحمد لله، يلا هسيبك علشان ترتاحي. عايزة أي حاجة يا ياسمين؟

– ميرسي يا عمر، سلامتك.

– طيب تصبحي على خير.

– وأنت من أهله، باي.

استلقت بفراشها وقد بدأ النوم يطاردها إلا إن صورة مراد عادت لتغزو تفكيرها مرة أخرى، فاعتدلت بفراشها وأمسكت هاتفها وكأنها تذكرت شيئًا عليها فعله. فتحت ياسمين موقع التواصل الاجتماعي تبحث عن اسمه، ومن حسابه لحساب سلمى التي زعم أنها زوجته السابقة؛ لتبدأ رحلة بحث في منشوراتها علّها تجد شيئًا تعرف منه من هي وما حقيقة علاقتها بمراد، وما الذي دفعه للكذب عليها ثانية.

لم تكد تبدأ في البحث عند سلمى حتى وجدت منشورًا من فتاة أخرى تُدعى ريهام، ويبدو من اسمها أنها شقيقة سلمى، كانت ريهام قد شاركت سلمى قبل يومين صورة لباب غرفة بإحدى المستشفيات وقد كُتب عليه بالإنجليزية:

«إنه صبي (It's a boy)».

بدأت دقات قلبها تعلو وهي تقرأ ما كتبته ريهام لشقيقتها فوق الصورة:

«أخيرًا بعد ما طلعت عيننا شرَّف كريم مراد أبو غيدة، والعيلة زادت واحد».

***

-22-

أعادت قراءة ما كتبته شقيقة سلمى عدة مرات، وهي ما زالت جالسة على حافة فراشها كتمثال بلا روح، تكاد تشك لو رأيتَها أنها ما زالت على قيد الحياة. مضت ساعة وهي لا تحرك عينيها عن هاتفها؛ تبحث ما بين حساب سلمى وحساب شقيقتها علّها تجد شيئًا تفهم منه حقيقة حياة مراد التي لم تكن تعرف عنها شيئًا حتى دقائق ماضية.

كانت تحاول الوصول إلى إجابات تلك الأسئلة الكثيرة التي بدأت تهاجمها فور رؤيتها لذلك المنشور، وكان أكثرها إلحاحًا هو كيف استطاع أن يفعل كل ما فعله وهناك امرأة أخرى تشاركه أيامه؟!

زفرت ياسمين بارتياح وهي ترفع رأسها بعد أن وجدت تعليقًا لريهام منذ عدة أسابيع على إحدى منشورات شقيقتها لتفهم منه أن سلمى كانت تقيم بمنزل أسرتها الفترة الأخيرة من حملها، وهو ما أبدت ريهام سعادتها له كثيرًا في التعليق. ألقت ياسمين بهاتفها بعيدًا قبل أن تنهض تاركة غرفتها وهي تشعر أنها تكاد تختنق مما عرفت، كيف استطاع خداعها لهذه الدرجة؟ ولماذا؟ ماذا جنت هي حتى يكون جزاءَها جرحٌ كهذا؟ أذنبها أنها أحبّته أم إن قلبها لم يدق لسواه؟!

وقفت تُعدُّ قهوتها للمرة الثانية هذه الليلة على غير عادتها، وهي لا تدري أتبكي أم تصرخ أم فقط تكتفي بحالة الهدوء تلك التي لا تعرف لها سببًا. بداخلها مشاعر كثيرة لا تستطيع وصفها؛ غيرة وغضب، حزن وارتياح، حيرة وصدمة، مزيج من المشاعر لا تعرف كيف ستتجاوزها يومًا ما. تود لو أنها تستطيع الاتصال به الآن لتصرخ به وتسبّه لما فعل

بها، ولكن جزءًا ما بداخلها يحنُّ له ويتمنى ألا ينهار سوى أمامه. تشعر بالحزن على ما فعلت بنفسها ولكن بداخلها قلب يشعر أيضًا بالأسى على من كانت تقاوم آلام حملها في نفس الوقت الذي كان زوجها يستبيح فيه مشاعر امرأة أخرى. كرامتها مجروحة وتشعر بإهانة كبيرة ولكن ما زال بداخلها بقايا روح تشتاق وتحن إليه.

أخذت قهوتها وجلست بشرفتها وحدها تمامًا هذه المرة، دون حتى هاتفها. نظرت بعيدًا تستعيد كل أيامها معه منذ عرفته وحتى الآن، جلست تحاول إيجاد سببٍ لإصراره على جرحها في كل مرة يعود لها، ولكنها فشلت في أن تبرر له فعلته هذه المرة. لم تنجح في تبرير كذبه عليها أو إيجاد ما يبرر له استهانته بقلبها لهذه الدرجة فقد ملّت دفاع قلبها عنه أمام عقلها. في كل مرة يظهر فيها مراد يصبح قلبها خصمًا لعقلها وينتصر له ما عدا هذه المرة، فقد أطاح خداعه بمن كان يستميت دائمًا في الدفاع عنه. قضى كذبه على قلبها وأنهك قواه؛ فلم يعد به رغبة في الدفاع عنه مرة أخرى، أعلن قلبها استسلامه أخيرًا.

قضت ياسمين ليلتها مستيقظةً بشرفتها، صامتةً تنظر بعيدًا كأنها تحاول الوصول إلى طريقة تسترد بها كرامتها وتداوي بها جرحِ قلبها، ذلك الجرحِ الذي تعرف جيدًا أنها إن نجحت في مداواته سيظل مراد أبو غيدة كالندبة العميقة التي لا يزول أثرها مدى الحياة. أشرقت شمسُ يومٍ جديدٍ وما زالت تجلس على مقعدها تحاول البكاء ولكن تأبى دموعها الانصياع، كأنها سئمت ضعفها أمامه.

تركت شرفتها أخيرًا وقد قاربت الساعة التاسعة صباحًا لترسل رسالة لوالدة أكرم:

«صباح الخير يا طنط، معلش هستأذنك تخلي مراد عندكم لحد بكرة، علشان جالي دور برد وخايفة أعديه بس. إن شاء الله بكرة هعدي عليكم آخده وآسفة على تعبك، أنا ما رضيتش أتصل دلوقتي قلت أكيد

نايمة لسه، وأنا والله ما نمت من إمبارح. أول ما أصحى هكلمكم».

أغلقت هاتفها لتستسلم بعدها لنوم عميق وكأنها آخر محاولاتها للهرب من كل ما حدث في الساعات القليلة الماضية.

نامت ياسمين كأنها لم تنم منذ أيام لتستيقظ وقد حلَّ المساء وأوشك اليوم على الانتهاء، نهضت تبحث عن هاتفها فوجدت محاولات اتصال كثيرة من دينا، ومحاولة واحدة من كلٍّ من راوية وعمر، ولا خبر عن مراد. اختفى كعادته وكأنه ينتظر ظهورها ليطمئن أنها لم تعرف عنه شيئًا من عمر. أرسلت رسالةً لدينا تخبرها فيها أنها بخير وألا تقلق عليها، وأنها ربما تذهب إلى العمل متأخرة قليلًا في اليوم التالي، لتنهض بعدها مسرعة تأخذ حمامًا دافئًا وتُعدُّ قهوةً تناولتها بغرفتها هذه المرة وهي ترتدي ملابسها قبل أن تأخذ حقيبتها وتغادر، وقد بدا عليها من ملابسها أنها ذاهبة لإنجاز مهمة سريعة.

استقلت سيارتها واتجهت إلى إحدى شوارع الزمالك المحيطة بمنزلها لتتوقف أمام إحدى العقارات التي أضاء مدخلها بلافتة كتب عليها «ريتشارد بيوتي صالون».

مرت بضع ساعات قبل أن تظهر ياسمين أسفل منزلها مرة أخرى، ولكن هذه المرة لتوقف سيارتها وتهبط منها وهي تحمل علبة زرقاء اللون، يبدو من مظهرها أنها هدية، وقد صفَّفت شعرها وكأنها تستعد لحضور مناسبة ما. أغلقت سيارتها وصعدت لمنزلها وهي تفكر كيف تهرب من وحدتها هذه الليلة، فلم يعد بها قدرة على احتمالها لليلة أخرى.

ما إن أغلقت خلفها الباب ووضعت ما تحمله بيدها على أقرب مقعد لها حتى علا صوت هاتفها وتجد عمر يتصل بها:

– ألو.

– ياسمين، إزيك؟

لا تعرف لمَ يدفعها ذلك الحماس بصوت عمر دائمًا للابتسام:

– إزيك يا عمر، أخبارك إيه؟

– أنا تمام، المهم أنتِ طمنيني، أخبارك إيه دلوقتي؟

– الحمد لله، والله أنا نسيت أصلًا إني كنت تعبانة، بس عمومًا أنا كويسة دلوقتي.

– طيب عظيم الحمد لله.

لا تعرف لمَ قفز بذهنها فجأة أن تسأله:

– أنت في المطعم؟

ابتسم عمر عند سماعه سؤالها، واتسعت ابتسامته وهو يجيبها:

– لا، لسه ما وصلتش بس دخلت الزمالك خلاص، إشمعنى؟ بتفكري تيجي تنفعينا ولا إيه؟

للحظاتٍ قليلةٍ ترددت أن تذهب بالفعل، ولكنها تراجعت في النهاية لتجيبه ضاحكة:

– لأ، هو مش معنى إني موهومة بالدونتس بتاعتكم إني آجي النهاردا يعني، مش للدرجة دي يعني.

ضحك هو بشدة قبل أن يقول بغضبٍ مصطنعٍ:

– إيه الإحراج دا؟! إحنا غلابة آه يا هانم، بس كله إلا الكرامة.

لم تتمالك ياسمين نفسها وانفجرت ضاحكةً ليأتي صوتها منقطعًا من بين ضحكاتها وهي تقول:

– أنت إزاي كدا؟ إزاي ردودك جاهزة كدا يا عمر؟ ضحكتني أوي بجد.

– والله دي حاجة تسعدني يا ياسمين.

تورَّدت وجنتاها وصمتت، فسألها هو باهتمامٍ حقيقي:

– قولي لي موودك أحسن دلوقتي؟

ابتسمت وهي تجيبه بامتنان:

- الحمد لله يا عمر، أنا تمام.

نطقت جملتها الأخيرة وكأنها تؤكد لنفسها قبله أنها بخيرٍ وستظل دائمًا.

تمامًا كالليلة السابقة، أغلقت ياسمين هاتفها بعد إنهاء حديثها مع عمر، وأخذت حمامًا دافئًا، ولكن هذه المرة استبدلت قهوتها بكوبٍ من الحليب الدافئ، استلقت في فراشها بعدها وهي تدعو الله أن تنعم بنومٍ هادئٍ هذه الليلة استعدادًا للقاءٍ آخر بمراد، لقاء تنوي أن تسترد به كرامتها التي أهدرها لسنوات مضت.

أشرقت شمسُ يومٍ جديدٍ واستيقظت ياسمين مسرعةً رغم دقات قلبها التي بدأت تعلو من فرط قلقها مما هي مقدمةٌ عليه، أسرعت تأخذ حمامها الدافئ وترتدي ملابسها التي حرصت على بساطتها هذه المرة؛ فارتدت قميصًا ورديًا، وبنطالًا أزرقَ داكنًا، وحذاءً أسودَ ذا كعبٍ عالٍ، وكأنها تعمدت ألا تبرز أنوثتها اليوم قدر إمكانها. وقفت حائرةً؛ أتضع بعض مساحيق التجميل لتخفي علامات الأرق الذي عانته الليلة السابقة التي تظهر بوضوح على عينيها أم تكتفي بارتداء نظارتها الشمسية لتخفي تورمهما؟ وقع اختيارها على أن تكتفي بنظارتها ثم أخذت حقيبتها بعدها وتركت غرفتها التي ما لبثت أن عادت إليها مسرعةً لترتدي تلك السلسلة التي أهداها إليها مراد بعيد ميلادها.

غادرت ياسمين منزلها تحمل تلك العلبة الزرقاء التي أحضرتها أمس لتستقل سيارتها كعادتها كل صباح، ولكن هذه المرة ستذهب إلى السادس من أكتوبر قبل كورنيش المعادي. قررت أن تذهب هي إلى مراد بعمله، ترددت كثيرًا ما بين أن تتجاهله تمامًا وتختفي بلا عودة وبين مواجهته، ولكنها وجدت أنها لن تهدئ وتداوي جرح كرامتها سوى بمواجهته.

وصلت حيث يقع مصنع أبيه ويوجد مكتبه، أوقفت سيارتها وهي

تشعر أن كل ما بها يرتجف. بدأ ترددها يزداد وهي تعيد على نفسها كل ما تنوي قوله في ذلك اللقاء، بدأت دقات قلبها تعلو وتتسارع، وشعرت بصوت داخلها يزداد قوة أن تسامحه وتعرف منه ما دفعه لخداعها ثانية فربما يحبها حقًا. جلست في سيارتها تحاول استعادة هدوئها مغمضة العينين تستعيد ما مرت به من صراعات داخلها بسببه، شعرت أنها تريد العودة للطفولة حتى تستطيع أن تحتمي بصدر أبيها وتبكي حتى تطمئن، ولكنها تعلم أن افتقادها لإحساس الأمان هو مشكلتها الدائمة، فكيف لها أن تطمئن الآن بعد كل ما مرت به؟! فتحت عينيها أخيرًا وأخذت العلبة الزرقاء وحقيبتها من على المقعد المجاور لها وغادرت سيارتها باتجاه مدخل المصنع.

وقفت ياسمين بمكتب مديرة مكتب مراد تنتظر عودتها لها بعد أن تخبره بانتظار ياسمين له بالخارج، شعرت وكأن كل ما أعدته من كلمات قد تبخر وأصبح ذهنها كورقةٍ بيضاءَ لم يُكتب عليها بعد. دفعها فضولها للتفكير فيما سيكون رد فعل مراد عند معرفته بوجودها بالخارج، سيفهم بالتأكيد أنها علمت أن زوجته الأولى لم تكن سلمى ولكنه حتمًا لن يشكَّ في معرفتها لأكثر من ذلك.

عادت مديرة مكتبه تأذن لها بالدخول، ولكن ما إن خطت أولى خطواتها باتجاه مكتبه حتى وجدته يقف مُرحبًا بها على بابه، لوهلة دقَّ قلبُها لرؤيته، ولكنها سرعان ما سيطرت على مشاعر تسعى لمحوها، وتقدمت تُحييه وتبتسم حتى عبرته وأصبحت تقف داخل مكتبه.

وقف مراد يتأملها وقد وشت تلك الابتسامة المشوشة على شفتيه بقلقه، حتى إنه ظل صامتًا ينظر إليها حتى مدَّت هي يدها إليه بتلك الهدية التي تحملها قائلةً بابتسامة تخبئ خلفها قلبًا مكسورًا:

– مبروك.

في تساؤل هزَّ رأسه وهو يقول وقد بدأت علامات التوتر تظهر على

ملامحه:

– الله يبارك فيكِ، بس على إيه؟

ابتسمت في سخرية قائلةً:

– على كريم.

رفع حاجبيه لا يصدق ما سمعه، ولكنها أكملت:

– كريم مراد أبو غيدة، ولا هتقول لي مش ابنك هو كمان، ولا يمكن من مراتك اللي من سنين وأنت منفصل عنها؟ أو يمكن اسمه اتكتب غلط مثلًا زي الغلطة المطبعية كدا، هتقول إيه المرة دي يا مراد؟

للحظات خيَّم الصمت عليهما حتى جاء صوته ضعيفًا كما لم تعهده من قبل ينادي اسمها:

– ياسمين، ممكن تسمعيني؟

– لأ، ياسمين زهقت من كتر ما سمعتك يا مراد. ياسمين تعبت وقلبها انكسر بدل المرة اتنين، ياسمين اللي كل ذنبها إنها حبتك ووثقت فيك ما بقتش طايقة تسمع منك حاجة، وجت النهاردا بس علشان تتكلم أخيرًا وتقول لك أنت عملت فيها إيه. أنت زي اللي داس واحد بعربية ولف وجه نفس الشارع يدوس عليه تاني، عمرك سألت نفسك أنا حاسة بإيه بسببك؟ طيب ما أنت كذبت زمان، والموضوع كان خلص وخلاص، ليه رجعت؟ هو أنت تلاقي نفسك زهقان تدور على ياسمين تتعب قلبها شوية علشان تتسلى؟!

عارف يعني إيه أقضي يومين شوية زعلانة منك، شوية واحشني وحاسة إني لسه بحبك، شوية مش طايقة سيرتك. يا شيخ دا أنا من كتر ما ماليش حد غيرك، كنت حاسة إني عايزة أجري أعيط في حضنك من صدمتي فيك. دا أنا كنت عايزة أتطلق علشانك وأنت مستني ابنك من مراتك التانية، أنا حبيتك لدرجة إني كنت بسرح إن قد إيه كان نفسي أعيش كل لحظة في حياتي معاك. يعني كنت أتمنى أنا اللي أخلف منك،

نروح للدكتور سوا، أعيش معاك لحظة ما نعرف نوع البيبي، أول مرة نسمع قلبه لحظة ولادته.

حاول أن يتكلم ولكنها منعته بيدها وهي تضيف:

– دا أنا كان نفسي أعيد شريط حياتي كله علشان أعيشه معاك، من يوم ما عرفت وأنا بفكر أقول لك كل الكلام دا ولا لأ، بس قررت أقوله، علشان دا مش ضعف ولا إهانة؛ دا حب، بس أنت ما قدرتوش يا مراد، ليه تقتحم حياتي كدا وتسيب لي ذكرى تحت بيتي وفي شغلي تتعبني بعد ما تروح؟ ليه تحسسني إني ولا حاجة لتاني مرة وإني مجرد استراحة تغير فيها جو لحد ما مراتك تولد وترجع تاني؟ ليه؟ أنا عملت لك إيه يخليني أهون عليك كدا؟ ليه تخليني أبقى بكره مراتك بس بحسدها علشان مراتك، مع إنها صعبانة عليَّ علشان جوزها بيخونها. عمرك ما هتتخيل كم اللخبطة اللي جوايا إلا لو حد خانك وكسر قلبك بعد ما اديته الأمان. حرام عليك يا مراد، دا أنا ما كنتش بطمن غير وأنا جنبك.

عارف، لما بعدت قبل كدا كنت حاسة إن لأ، الموضوع لسه له باقي. كنت حاسة إن دورك في حياتي ما خلصش ولسه باقي حاجة، فلما رجعت المرة دي افتكرت إننا ممكن نكمل حياتنا مع بعض وإن هي دي الحتة الناقصة في حكايتنا، بس لما عرفت أول امبارح إنك متجوز وخلفت كمان فهمت إن الحتة الناقصة هي دي، هي الكلام اللي أنا بقوله دلوقتي دا، واللي كان لازم يتقال من أول مرة بس أنا اللي سكت وسامحت وأنا برده اللي بدفع التمن دلوقتي.

حاول أن يمسك يدها ولكنها نزعتها بسرعة منه وهي تحاول منع دموع تدافعت بعينيها، تحاول الفرار لتشير إلى الهدية الموضوعة على مكتبه وهي تقول:

– دي هدية كريم، يا رب بس تطلع مقاسه.

صمتت للحظات قبل أن تخلع السلسلة من رقبتها وتضعها على

مكتبه قائلةً:

– أنا ما كنتش لابساها علشان على اسم ابني، فدلوقتي أعتقد سلمى أولى مني بيها، اديها لها كأنك جايب لها هدية بمناسبة المولود، مش هتغلب يا مراد.

– ياسمين.

بدأت تنتحب ولكنها ظلت تستميت لتبدو متماسكة، فما كان منها إلا أن رفعت يدها تمنعه للمرة الثانية من الحديث وهي تقول بضعفٍ وأسى:

– ما سبتش حاجة تتقال يا مراد، صدقني ما بقاش فيَّ حاجة سليمة تديك أعذار. من فضلك سيبني في حالي المرة دي.

أخذت حقيبتها لتخرج مسرعةً من مكتبه باتجاه سيارتها وكأنها تهرب منه حتى لا تعود فتنهار أمامه باكيةً، ما إن اندفعت بسيارتها تغادر المكان حتى ضغطت زر الراديو لتجد سميرة سعيد تشدو بكبرياء:

«أنا كتير عليك، وإحساسي بيك كان نعمة ضاعت من إيديك، أنا كتير عليك،

وبجد أنا استصغرت نفسي في حبي ليك».

وكأن دموعها التي منعتها أمامه لم تعد تحتمل البقاء في عينيها أكثر من ذلك، وكأنها لم تعد تستطيع المقاومة، فما كان منها إلا أن أوقفت سيارتها على جانب الطريق لتدخل في نوبة بكاء مريرة وهي تردد:

– ليه يا مراد؟ ليه؟

وما زالت سميرة سعيد تشدو:

«عرفت النهاردا إني كان مضحوك عليَّ، عرفت إن صبري عليك بجد إهانة ليَّ، دا حبي ليك زمان هو العيب اللي فيَّ، وكان حبي ليك هو الحاجة الحلوة اللي فيك».

***

-23-

كانت دينا تجلس مستغرقة في العمل ببعض الأوراق أمامها وهي تفكر أين يمكن أن تكون ياسمين بهذا الوقت المبكر من اليوم، ترى ماذا يمكن أن يكون سبب إغلاقها هاتفها حتى الآن منذ الليلة الماضية؟ رفعت رأسها عن أوراقها وهي تبحث عن هاتفها مرة أخرى وتطلب رقم ياسمين عسى أن تجد هاتفها قد فُتح وتجيبها هذه المرة، ولكن ككل محاولاتها السابقة منذ وصولها هذا الصباح، الهاتف قد يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة.

تركت هاتفها وعادت تمسك قلمها تعبث به أمام حاسوبها وهي تفكر، فسمعتْ طرقًا سريعًا على الباب قبل أن يُفتح ويَظهر أمامها مراد أبو غيدة، وملامحه تشي أنه قد جاء لسبب آخر غير العقد المبرم بين كليهما. انتفضت دينا عند رؤيته بهذا الشحوب، وتذكرت على الفور تلك الغائبة منذ أمس، فانقبض قلبها خشية أن يكون قد أصاب ياسمين مكروهٌ وأتى مراد الآن ليخبرها، ولكنها سرعان ما أبعدت ذلك الهاجس عن رأسها وحاولت التماسك وهي تسأله وعلى وجهها شبح ابتسامة:

- صباح الخير يا مراد، في حاجة حصلت في الشغل ولا إيه؟

وكأنها بذكرها كلمة «الشغل» أعادت إليه وعيه لينظر إلى اتجاه مكتب ياسمين الذي خلا من صاحبته متسائلًا بتوتر:

- هي ياسمين إجازة النهاردا؟

بدأت دينا تفك رموز ما يحدث، حتمًا عرف مراد بما اكتشفته ياسمين؛ ولذا أغلقت هي هاتفها وها هو يأتي كمن فقد عقله يبحث عنها بعملها. حاولت دينا أن تسيطر على ذلك الغضب الذي اشتعل بداخلها من جرأته أن يأتي إلى عملها؛ لا يحمل حتى أعذارًا وهمية يبرر بها وجوده، وها هو يقف أمامها لا يجد ما يقوله سوى السؤال عمن أدمي قلبها بخداعه.

رفعت رأسها إليه في تحدٍ واضح وهي تجيبه:

– لا، هي متأخرة شوية، وبحاول أكلمها موبايلها مقفول زي ما أنت أكيد عارف.

فاجأته جملتها فنظر إليها وكأنه يحاول اكتشاف ما دفعها لقولها ما قالته، ولكن يبدو أنها قررت ألا تترك له فرصةً للتفكير فأضافت متسائلةً بغضب:

– أنت عايز إيه من ياسمين يا مراد؟ راجع عايز منها إيه؟

رفع يديه واضعًا إياهما على رأسه في ضيقٍ واضحٍ، يحاول إعادة ترتيب أفكاره وينظر بعيدًا في يأسٍ حقيقي قائلًا:

– بحبها يا دينا، بحبها بس ضيّعتها بغبائي!

كانت دينا تنتظر أن يحاول الهروب من سؤالها بأي طريقة، ولكن صدمتها إجابته التي جاءت عكس توقعاتها، لتكرر كلمته بدهشةٍ واضحةٍ:

– بتحبها؟!

– آه، بحبها بس كنت غبي وآدي النتيجة.

– بتحبها إزاي وتسيبها وتتجوز غيرها يا مراد؟ معلش، أنا مش ياسمين علشان تقنعني بالكلام دا، ما تزعلش مني.

وكأنه ما عاد يحتمل لومًا أكثر من ذلك جذب مقعدًا ليجلس عليه وينظر إلى أسفل وهو يقول:

– أيوة يا دينا، للأسف حبيتها، بس كنت صغير خفت منها، خفت من أصولها المزدوجة وطبيعتها الشرقية على غربية. ياسمين قوية وأنا زي أي راجل شرقي؛ يتشد للست القوية بس في الآخر بيخاف، وأنا خفت، وتخيلت إنه يعني مجرد إعجاب ما يستاهلش إني أدخل في صراع مع أمي عليه فسبتها.

صمت للحظات وكأنه يستعيد ما فعله بها ليضيف قائلًا:

– خصوصًا بعد ما ظهرت رولا وكانت عكس ياسمين خالص، كانت غلبانة وزي ما بيقولوا طوع يمين يمين، شمال شمال، فشدتني وتخيلت إن هي دي اللي هبقى سعيد معاها ومش هتتعبني. بس للأسف اكتشفت غبائي بعد فوات الأوان، واكتشفت أن انهياري برولا كان بسبب وجود ياسمين بس، تخيلي؟! عارفة زي ما تبقي واقفة في الشمس كتير وما تصدقي تلاقي ضل تقفي تحته فتحسي لأول وهلة إنك مش هتتحركي من هنا، بس بعد شوية ترجعي تحني لدفا الشمس تاني.

– واكتشفت إن ياسمين هي الشمس بقى؟

– آه، بس يظهر إني اتحكم عليَّ أعيش في الضل طول عمري. بعد طلاقي من رولا حاولت ألاقي ياسمين كتير أوي وما عرفتش، لحد ما فقدت الأمل وقلت أكيد اتجوزت بعد كل السنين دي. عدت كم سنة وبعدين شفت سلمى قريبة أمي من بعيد، بنت حلوة وبنت ناس، وأهلي كانوا مرحبين بيها جدًا ونفسهم يفرحوا بولادي فاتجوزتها.

– سلمى تبقى مراتك؟!

رفع مراد رأسه لها وقد صدمه سؤالها فسألها:

– ياسمين ما قالتلكيش؟

وضعت دينا يدها على شفتيها وهي تهز رأسها نافيةً وتفكر في صديقتها التي تلقت صدمتها الثانية في حبها الوحيد وتحملتها وحدها.

– اتجوزت سلمى، وبعد ما عرفنا إنها حامل بكم شهر ظهرت ياسمين.

خفض رأسه ثانية وقد شعرت أن صوته جاء يحمل بكاءً مريرًا وهو يكمل:

– كنت هموت وأشوفها يا دينا، ما قدرتش أتجاهل ظهورها. عايز أعرف أخبارها، شكلها اتغير ولا لأ، كان عندي فضول أعرف كل حاجة عنها، والأهم من دا كله كانت وحشاني بجد.

– وبعدين؟!

– وبعدين سلمى ولدت من يومين، وياسمين عرفت، وجت لي الشغل النهاردا.

قاطعته بذعر:

– جت لك الشغل؟!

– آه، كانت عندي وطلعتني ماسواش حاجة، ومشيت بعد ما جابت هدية لابني كمان.

وكأن كل كلمات الكون قد تبخرت من عقلها، سيطرت الحيرة والصدمة على دينا، لا تعرف أتواسيه أم تطيح بكرامته مثلما فعلت صديقتها منذ قليل. بهدوء سألته:

– مراد، لو ياسمين اتطلقت عندك استعداد تتجوزها؟ بأي صورة بقى؛ زوجة تانية أو تطلق أنت كمان ماعرفش، أيًّا كان، أنا قصدي عندك حل للوضع الحالي؟

أطرق برأسه يفكر لدقائق قليلة قبل أن يقول في ضعفٍ وقلة حيلة:

– أطلق صعب دلوقتي، كان ممكن قبل كريم، لكن دلوقتي هبقى بجني عليه من غير ذنب، وللأسف لو اتجوزت على سلمى مش هتقبلها وهتطلب الطلاق، وهنوصل لنفس النهاية.

جاء صوت دينا قويًّا حاسمًا وهي تقول:

– يبقى تبعد عنها، أنت هنا ليه دلوقتي؟ علشان تحلف إنك بتحبها؟ طيب وبعد ما تصدقك لو شافتك، هتعمل إيه؟ هتتجوزها ولا هتفضل تكلمها كدا في السر؟ ما تزعلش مني، أنت راجل ضعيف، وضيّعت الدنيا بخوفك وجبنك زمان.

نظر إليها مراد في خجل وهي تضيف:

– مش هنكر إني نوعًا ما متعاطفة معاك، وعارفة إنه مش بإيدك إنك لسه بتحبها، بس علشان خاطر الحب دا ابعد عنها يا مراد. سيبها

فاهمة إنك جبان وندل وخلاص. ياسمين حياتها بتبوظ وانت مش هتنفعها، أنت مش هتقدر تتجوزها برده دلوقتي، يبقى عايز إيه؟ مُتخيل هي هتفضل معاك كدا وخلاص؟! كفاية عذاب فيها وامشي يا مراد، قبل ما تيجي وتلاقيك أرجوك.

– بس يا دينا.

– من فضلك يا مراد، شكلك وحش ولا حلو مش هتفرق معاك، هي كدا كدا هتختفي من حياتك، بس هتفرق معاها هي إن قلبها يفضل يبرر لك طول الوقت وهي تتعب وخلاص. بجد كفاية اللي عملته فيها، ومعلش أنت السبب في كل اللي أنتو فيه دلوقتي، يبقى لازم أنت اللي تتحمل نتيجة ضعفك وكفاية عليها اللي هي شافته معاك.

في استسلام وضعف غادر مراد بعد أن فشل في رؤية ياسمين، غادر بعد أن أقنعته دينا ألا فائدة من الاعتذار الآن خاصةً وأنه لن يستطيع تغيير وضعهما، ولن يستطيع الزواج من حبيبته التي أضاعها قديمًا بسبب ضعفه.

ما إن غادر مراد مكتبها حتى وصلت ياسمين تبتسم بأسى وهي تضع حقيبتها وتنظر إلى دينا التي نهضت تقترب من مكتبها في قلق:

– صباح الخير يا دينا.

ضمتها دينا بقوة إليها وقد دمعت عيناها عند رؤيتها وقد ظهر عليها آثار بكاءٍ مريرٍ، ربتت دينا على ظهرها بحنان أم وهي تسألها باهتمام:

– عاملة إيه يا ياسمين؟

دفعتها ياسمين برفق وهي تحاول أن تمنع دموعها وتبتسم في أسى:

– أنا كويسة الحمد لله وهبقى أحسن، بس قولي لي مراد كان هنا ليه؟

فاجأ سؤالُها دينا، وأصابها بحيرةٍ لدقائق قليلة تبحث عن إجابة دون إخبارها بسبب حضوره الحقيقي، حتى أجابت بتردد:

– كان بيسأل عليكِ، ولما قلت له لسه ما وصلتش حكى لي اللي حصل، وإنه كان جاي يعتذر لك.

بابتسامة ساخرة أجابت:

– يعتذر لي، ليه هو خبط لي العربية؟! عمومًا مش هتفرق، مراد موضوعه انتهى وأنا مش عايزة أتكلم فيه تاني من فضلك يا دينا.

– حاضر يا ياسمين، اللي تشوفيه. بس أنتِ أصلًا مين قال لك إنه هنا؟

– شفت عربيته وأنا بركن، وكنت متوقعة إنه يحصلني من الأول، فاستنيت لما شفته ماشي وطلعت.

قالت كلماتها الأخيرة وأجهشت بالبكاء وهي تقول من بين دموعها:

– أنا بحبه يا دينا، بحبه وما حبيتش حد غيره، كان لازم أعمل قوية وأروح له علشان أقول اللي قلته وأرتاح، بس لما شفته وهو ماشي تحت حسيت إني عايزة أجري أقول له أنا مسامحاك، بس قل لي إنك بتحبني بجد، وإنه كان غصب عنك، تخيلي؟ بعد كل دا عندي استعداد أسامحه وأنسى كل حاجة بس يفضل معايا وأتأكد من حبه.

كانت دينا تسمعها وقلبها يتمزق حزنًا على صديقتها، على من كانت تراها أقوى النساء وأكثرهن تحملًا. كانت تسمعها وكل كلمة تؤكد أنها على حق في ألا تخبرها بسبب حضور مراد الحقيقي، وأن عدم معرفتها بحقيقة مشاعره هو الأفضل لها. انتبهت من أفكارها على صوت ياسمين تتساءل:

– بس إزاي مش بيحبني يا دينا؟ إزاي حد يعمل كل اللي عمله دا ويبقى مش من قلبه؟ يعني معقول أكون عبيطة للدرجة دي ومش فاهمة؟!

– بيحبك ولا مش بيحبك، مش هتفرق يا ياسمين. لو كان عايزك بجد كان قال، فارحمي نفسك وكفاية تضييع في حياتك كدا. أنتِ كنتِ

هتتطلقي علشانه وهو منتظر ابنه ومتجوز وحياته ماشية عادي. كفاية يا ياسمين، واحمدي ربنا إن حياتك الحمد لله زي ما هي ما حصلش حاجة.

ربتت دينا على يد صديقتها بحنانٍ قبل أن يعلو صوتها قليلًا وهي تسألها:

– بس إزاي مراد يوصل قبلك؟ أنتِ كنتِ فين صحيح؟

– كنت بشتري خط تليفون جديد علشان مش هفتح دا تاني خلاص.

– طيب تمام، صح كدا.

أمسكت ياسمين بهاتفها وهي تنظر إلى دينا وتقول في حسم يشوبه الغضب:

– بس هفتحه آخر مرة علشان في مكالمة واحدة لازم أعملها من الخط القديم.

عقدت دينا حاجبيها بتساؤلٍ وحيرةٍ زادت وهي ترى صديقتها تبحث عن رقم أكرم وتطلبه لتسمعها بعدها تقول:

– أيوة يا أكرم، صباح الخير.

– تمام كلنا تمام. أكرم، من فضلك طلقني.

***

–24–

استقلت ياسمين سيارتها وبجانبها جلس صغيرها في طريق عودتها لمنزلها بعد أن أخذته وودّعت راوية وهي تعرف أن تلك الزيارة يمكن أن تكون زيارتها الأخيرة لمنزل عائلة أكرم. لم تشك ولو للحظة في أن يخبر أكرم أمه بطلبها الطلاق منه هذا الصباح، فهي تعرفه جيدًا، وتعرف خوفه الدائم من مواجهة مشاكله أو حتى البوح بها؛ فالتجاهل هو

طريقته المفضلة في الهروب من الأزمات. تعرف أنه أبدًا لن يخبر راوية بأنها كانت على حق في خوفها من عواقب سفره غير المبرر وتركه لزوجته وحدها. لم يفاجئها رد فعله عند طلبها الطلاق، فمنذ عرفته وهو يفشل دائمًا في احتوائها، ولو أن حتى محاولة احتوائها اليوم لن تنجح.

منذ أغلقت الخط مع زوجها هذا الصباح على وعد بأن يتحدثا مساءً في هذا الأمر وهي تحاول أن تنسى كل ما حدث اليومين الماضيين، تجاهد قلبها بقوة كي لا يدق عند كل مرة تنادي فيها صغيرها. لأول مرة منذ ولادته، تشعر بالندم لأنها أطلقت عليه اسم من شقَّ قلبها نصفين وذهب ليبحث عن غيرها.

نام مراد وحاولت هي الهروب من جلستها اليومية بالشرفة، ولكن لم يكن لديها ما تفعله سواها، خاصةً وأنها قد أغلقت هاتفها منذ عودتها لمنزلها حتى لا يسيطر عليها ضعفها وتجد نفسها تبحث عن صورة له بمواقع التواصل الاجتماعي. قطعت على نفسها عهدًا بأن تنساه وأن تبدأ حياة جديدة بلا ذكريات، وكأنها ما أحبّته يومًا، قررت ألَّا تعود لكل ما يذكرها به إلا بعد أن تجد بنفسها القوة على مواجهة قلبها والتغلب عليه.

أحضرت حاسوبها وأخذت تبحث عن أغنية «فكروني» لأم كلثوم التي اعتادت أن تسمعها مع أبيها قديمًا حتى وجدتها وشغَّلتْها، لتنظر بعدها بعيدًا وتبدأ في استعادة ذكرياتهما سويًّا. كم اشتاقت له ولطفولتها، كم اشتاقت لذلك الرجل الذي ما شعرت بالأمان مع سواه. أخذها اشتياقها لأبيها لتلك الأيام التي قابلت بها أكرم بعد اختفاء مراد ورحيل أبيها وبعد شقيقها، ظنت عند طلبه الزواج منها أنه سيكون عوضًا لها عن كل من رحلوا وتركوها. كانت تظن وقتها أن الزواج هو الأمان المنشود، هو ملاذها الوحيد من إحساسها بالوحدة الذي كان يفتك بها، ولكنها اكتشفت بمرور الأيام أن ما كانت تعانيه قبل زواجها كان أهون بكثير مما تعانيه

الآن، اكتشفت أن شعور المرأة بالوحدة يتضاعف بوجود رجل لا يعرف شيئًا عن الاحتواء ولا يجيد شيئًا سوى الهروب.

ما إن بدأت أم كلثوم تتساءل في إبداع:

«فكروني إزاي؟ هو أنا نسيتك»؟

حتى تنهدت ياسمين وهي تدعو داخلها ألَّا يأتي عليها يومٌ تسأل نفسها به سؤالًا كهذا، رفعت رأسها إلى السماء وقد بدأت دموعها تتساقط على وجهها وهي تدعو قائلةً:

– يا رب خرجه من قلبي يا رب، نسيني يا رب وقويني على اللي جاي، يا رب.

أغلقت حاسوبها ووضعت قهوتها بعد أن شعرت أنها على وشك الانهيار مجددًا، ونظرت بعيدًا تحاول السيطرة على قلبها الذي بدأ يعلن حنينه لمراد رغم كل محاولاتها في تذكيره بما فعله بها، ولكن ما إن هدأت قليلًا حتى سمعت طرقات على بابها على غير العادة، خاصة وأن الساعة قد جاوزت العاشرة مساءً وهي غير معتادةٍ على استقبال أحدٍ في هذا الوقت.

نهضت وقد بدأ التوتر يسيطر عليها أن يكون مراد قد جُنَّ وأتى ليتحدث معها بعد فشله في الوصول إليها، ولكنها تنهدت في ارتياح عندما وجدتها دينا وقد ظهر على ملامحها قلقٌ واضحٌ، ونطقت عينيها قبل لسانها بأسئلة كثيرة.

ما إن أغلقت ياسمين الباب خلف صديقتها، التي حضرت إليها بعد أن فشلت في الاتصال بها لتطمئن عليها، حتى جاء صوت دينا متوترًا قلقًا وهي تجلس على أقرب مقعد لها قبل أن تقول:

– بصي، أنا سكت الصبح واحترمت إنك ما كنتيش قادرة تتكلمي بعد مكالمة أكرم وكل اللي جرى قبلها، وسبتك براحتك. بس أنا عايزة أفهم يا ياسمين، ليه تتطلقي؟ ليه تخربي حياتك بعد ما مراد طلع أساسًا

جبان؟

في دهشة أقرب للذهول هزَّت ياسمين رأسها في تساؤل وهي تكرر ما قالته دينا:

– ليه أخرب حياتي؟ هي فين حياتي دي يا دينا؟ أنا مش مصدقة إن أنتِ بالذات اللي تقولي كدا، هو أنتِ شايفة إني عايشة حياة طبيعية أساسًا؟

تنهدت دينا في حيرة قائلةً:

– ماشي، بس كنتِ عايشة وما كنتيش بتفكري في الطلاق، إشمعنى دلوقتي؟ رغم إن ندالة مراد وكدبه بانوا لك يا ياسمين.

في صوت سيطر عليه قليلًا من الانفعال اندفعت ياسمين تجيب:

– دينا، أنا مش بتطلق علشان مراد، خالص. أنا عايزة أتطلق علشان ياسمين، علشان نفسي، عارفة قبل رجوع مراد لو كنتِ سألتيني أنتِ ليه مش بتطلقي كنت هقول لك وأتطلق ليه؟! هستفيد إيه يعني لو اتطلقت ولا هعمل إيه؟

– بالظبط، دا اللي أقصده.

– آه، دا كان قبل رجوع مراد، لكن دلوقتي ردي هيختلف يا دينا. عمرك سمعتِ عن حد كان عنده فيروس خامل وبعدين وهو بيعمل جراحة مشرط الدكتور علشان اتعامل غلط خلّى الفيروس دا ينشط، وبعد ما كان المريض كويس رغم وجود الفيروس من الأول حالته اتدهورت ومات؟! عمرك سمعتِ عن حالة كدا؟

– بتحصل آه، بس مش فاهمة إيه العلاقة؟

– دا هي دي العلاقة، دا اللي حصل لي لما مراد ظهر الكم يوم دول. أنا كنت نسيت الاهتمام والحب وحالة الانتظار لمكالمة تليفون بالليل تفضي فيها كل اللي حصل لك طول اليوم. كنت نسيت يعني إيه تنامي وأنتِ مطمئنة إن ليكِ ضهر يوم ما يحصل لك حاجة تجري عليه

يسندك، أو حتى أضعف الإيمان يسمعك وأنتِ بتفضفضي. أنا حتى كنت نسيت يعني إيه تحسي بجسمك كله بيتكهرب لو راجل بس لمس إيدك، أنا كنت نسيت يعني إيه أحب وأتحب يا دينا، وللأسف كنت متعايشة مع دا.

– أيوة يا ياسمين، بس ما هي كل الأحاسيس اللي عشتيها مع مراد دي طلعت وهم.

– صح، طلعت وهم مع مراد علشان هو كداب، لكن أنا حسيتهم فعلًا وطلعت محتاجاهم، وهي دي الكارثة. لحد قبل ظهور مراد بيوم لو كنتِ سألتيني ممكن تتجوزي تاني لو اتطلقتِ من أكرم كنت هرد بمنتهى اللاوعي وأقول لك: «لأ طبعًا»، بس أنا اكتشفت إني بالعكس، محتاجة فعلًا راجل في حياتي يا دينا. آه، عايزة أتطلق وأتجوز تاني، بس أتجوز بجد مش الوهم اللي أنا ضيعت فيه سنين دا. محتاجة سند وضهر، راجل أرمي عليه حملي ويشيل معايا، محتاجة يبقى في راجل في حياتي يبقى أول واحد أفكر أجري عليه لما أتعب. محتاجة أبقى عايزة أخلف مش بس علشان أعيش إحساس الأمومة أو علشان دي النتيجة الطبيعية للجواز، لأ. أبقى عايزة أخلف من الراجل دا مش بس أخلف وخلاص، عايزة واحد لو عييت هو اللي يمرضني وما أبقاش مكسوفة من ضعفي قدامه. حتى احتياجاتي كَسِت مش هتكسف وأنكرها، أنا ليه أرجع أنام في سريري لوحدي كل يوم؟ ليه يا دينا؟

– طيب ما يمكن مكالمتك لأكرم النهاردا دي تفوقه يا ياسمين.

– ومين قال لك إني محتاجة الحاجات دي من أكرم ولا حتى هتقبلها لو عملها؟! عارفة العلاقة والبُعد وصل بيني وبين أكرم لحد فين؟ أنا لو بغيَّر في الأوضة وأكرم دخل بستخبى ورا الباب لحد ما يخرج، أنا لو تعبانة أكرم آخر واحد ألجأ له. أكرم بقى أبعد من أصحابي العاديين حتى يا دينا، أنتِ ممكن تعرفي أنا معايا كم في شنطتي مثلا وهو

ما يعرفش. أنا لو رايحة لدكتور هقول لك تيجي معايا أنتِ مش هو. أكرم ما يعرفنيش، ولا أنا أعرفه. تفاصيلنا مش مع بعض، هو أصبح مجرد أبو ابني بس، وما عنديش أي استعداد يبقى أكتر من كدا. جزء كبير من اللي اتعرضت له دا بسببه، بسبب إن وجوده في حياتي زي قلته. أكرم دوره في حياتي مقتصر على اسم على دبلتي وعلى كراسة ابني وشكرًا يا دينا. أنا أستحق أعيش سعيدة، أستحق أعيش حياة حقيقية مش أمثل إني بعيش زي حياتي مع أكرم، أو إني أبقى مضحوك عليَّ زي اللي عيشته مع مراد. أنا عايزة راجل بحق وحقيقي في حياتي، هو دا كتير ولا حاجة مش طبيعية يا دينا؟

أطرقت دينا برأسها تبحث عمّا تقوله، ولكن لا تُسعفها كلماتها، لا تعرف أتواسيها أم تحاول إقناعها بالعدول عن قرارها، أم فقط تكتفي بمساندتها؟ ظهرت علامات الحيرة على دينا وهي ترفع كتفيها في استسلامٍ قائلةً:

– لأ مش كتير، وللأسف هو دا الطبيعي، بس يظهر من كتر ما اتنازلنا بقت المطالبة بأبسط حقوقنا بتعمل صدمة للي حوالينا. أنتِ صح يا ياسمين.

– أنا فاضية من جوايا يا دينا، عندي احتياج عاطفي مخليني مش عارفة أعيش، ومراد جه بَروِز لي الاحتياج دا وضغط عليه، وما بقاش ينفع أتجاهله خلاص، علشان كدا لازم أتطلق، علشان أنا ما ينفعش أبقى خاينة، فهمتِ؟

– فهمت يا ياسمين، خلاص فهمت.

ابتسمت ياسمين وهي تقفز من مكانها وكأنها ما كانت تبكي منذ قليل وحدها في الشرفة لتقول بحماسٍ مفاجئ:

– بقول لك إيه، بما إني ما عنديش حاجة أقدمها لك وأنا نفسي في حاجة حلوة مش عارفة ليه، تيجي ننزل في السريع نأكل دونتس عند

عمر؟

في ذهولٍ نظرت إليها دينا قبل أن تسألها:

– دونتس، دلوقتي؟! أنتِ مجنونة يا ياسمين؟

ضحكت ياسمين وكأنها قررت أن تفعل فقط ما يسعدها لتقول:

– مجنونة ليه؟ ناكل دونتس ونرجع على طول، مش هنتأخر.

بعد تفكير استمر دقائق قليلة وترددٍ مطت دينا شفتيها في استسلامٍ قائلةً:

– أنا تمام، ولو إن التأخير هيعمل لي مشاكل بس تمام، ما دام دا هيبسطك، بس واضح إنها عجبتك أوي يوم ما بعتها.

في حماسٍ وإعجابٍ شديدين أجابت:

– آه، هي تجنن بجد، ثواني هلبس وأرجع لك جري.

تركتها ياسمين واختفت في غرفتها تبدل ملابسها، ثم ما لبثت أن عادت عاقدةً حاجبيها وكأنها لاحظت شيئًا لتوها، فسألت دينا باندهاش:

– أنتِ بتقولي لي يوم ما بعتها؟ هو أنتِ عرفتِ منين يا دينا، وأنا ما حكيتلكيش عن الموضوع دا؟!

لا تعرف لمَ ظهرت علامات الحيرة على دينا لثوانٍ قليلةٍ قبل أن تجيب بترددٍ:

– ما فيش، يوم ما عمر كان عندنا في المكتب علشان يعزمني على الافتتاح ويمضي العقد، لما وصل قال لي إنه كان عايز يكلمني من بدري بس ما كانش معاه رقمي، فأحرجني بصراحة رحت مدياه الرقم.

– وبعدين؟

– ما فيش، يومها بعد ما مشينا فجأة لما تعبتِ، كلمني بعدها يطمن عليكِ، قلت له أنا مشيت وسبتها، فسألني طيب إيه أكتر حاجة حلوة بتحبها فقلت له.

في دهشةٍ صمتت ياسمين تستمع لدينا التي ترددت قليلًا قبل أن

تضيف:

– وفي حاجة كمان، هو بصراحة المطعم عند عمر مش بيقدم دونتس أصلًا.

نظرت ياسمين إليها في ذهولٍ قائلةً:

– نعم؟!

قالت دينا وكأنها قد تورطت ولا تستطيع التراجع:

– أيوة، ما فيش دونتس في المنيو، هو بس لما عرف إن دي أكتر حاجة بتحبيها وكان عايز يفرحك بأي حاجة علشان موودك كان وحش بعت اشتراها وحطها في علبة من عنده، وبعتها لك من غير ما يقول لك.

– أيوة وهو ليه يعمل كل دا يعني علشان يفرحني؟

بخبثٍ هزَّت دينا كتفيها وهي تنظر بعيدًا وكأنها تتجنب النظر إلى عينيها:

– ماعرفش.

صمتت ياسمين تفكر وقد تراجعت عمَّا اقترحته منذ قليل، ونست تماما رغبتها في تناول الدونتس.

***

–25–

استلقت في فراشها بعد أن تركتها دينا وذهبت، بَقِيَتْ ياسمين مستيقظةً تفكر في أكرم الذي أنهى اتصالها معها اليوم على وعدٍ بأن يتحدثا ثانيةً في المساء بعد عودته لمنزله، ولكن ها هو كما توقعتْ يهرب من مواجهتها ويختفي، وكأن طلبها الطلاق هذا الصباح لم يقلقْه. تنهدت بارتياحٍ وكأنه في كل مرة تجاهل مشاعرها وهرب من مواجهتها كان يؤكد لها أنها على حقٍّ في قرارها اليوم، لا تذكر لأكرم موقفًا واحدًا يثنيها عن إصرارها على الطلاق.

التفتت لتنظر إلى ذلك الصغير النائم بجوارها وهي تبتسم، وقد انتبهت أن إجازة نصف العام قد اقتربت، واقترب سفرها معه إلى تركيا لزيارة شقيقها. اقترب موعد رحلتهما السنوية التي تحتاجها الآن بشدةٍ لقضاء بعض الوقت بعيدًا عن كل ما يدفعها للتفكير بأكرم ومراد. لأول مرة منذ رحلت أمها تشعر بمثل هذه السعادة لقرب سفرها إلى شقيقها، تحتاج هي لهذه الإجازة الآن بشدة. قفزت إلى ذهنها فكرةٌ مفاجئةٌ مما دفعها للبحث عن هاتفها وتعتدل جالسةً على فراشها قبل أن تطلب رقم دينا بحماسٍ، والتي ما إن سمعت صوتها تجيب حتى اندفعت قائلةً:

– بقول لك إيه...

– قولي، إيه؟

– أنتم عندكم أي خطط في إجازة نص السنة؟

– خطط؟ لأ، لحد دلوقتي ما فيش، وماعتقدش مصطفى في دماغه حاجة، ليه؟

– طيب عظيم، ما تيجوا نسافر كلنا إسطنبول في الإجازة، أنتم بس احجزوا التذاكر وهنقعد كلنا في بيت ماما اللي هناك، إيه رأيك؟

لمعت عينا دينا عند سماعها اقتراح ياسمين قبل أن تبتسم قائلةً:

– نسافر معاكِ؟! بصي هو بمنتهى الصراحة عرض مغري، بس لازم أسأل مصطفى الأول طبعًا.

– دينا، ما تهزريش، دي بجد هتبقى أحلى سفرية، أنتِ مش متخيلة يعني إيه نروح سوا. خليكِ جدعة، أنتِ عارفة أنا محتاجاكِ قد إيه الفترة دي.

– مممممم، دي عزومة مصلحة، قولي كدا بقى.

– والله أبدًا، استني، هو مصطفى جنبك ولا أتكلم براحتي؟

– لا مش جنبي، قولي فيه إيه؟

– بصي مش أنتِ كنتِ بتقولي الدنيا بينك وبين مصطفى مش تمام

بسبب الحوار القديم والروتين وكدا؟

– آه، مظبوط.

– طيب ما دي فرصة حلوة ليكم، يعني تغيير ويبقى في أكشن وحياة كدا، وبعدين إحنا هنبقى في بيتنا، يعني سيبي ولادك معايا وانزلوا، أنا بالنسبة ليَّ الموضوع مش سياحة ولا فسح فاهمة؟ أنا ببقى رايحة أشوف ياسر وولاده وآخد نسبتي في شغل بابا وخلاص، لكن أنتِ السفر ليكِ محاولة يا دينا، وكلنا هننبسط جدًا.

صمتت دينا تفكر للحظاتٍ لم تدم طويلًا لتقول في حماسٍ:

– خلاص تمام، عجبتني دماغك يا شركسي ومين عارف، هقول لمصطفى وأزن عليه، وإن شاء الله يوافق.

ابتسمت ياسمين بسعادةٍ قائلةً:

– خلاص تمام، قولي له وردي عليَّ الصبح في الشغل. تمام؟

– تمام يا حبيبتي.

– يلا، تصبحي على خير.

– وأنتِ من أهله يا ياسمين، باي.

كطفلةٍ فرحةٍ بليلة العيد ترغب بالنوم فقط حتى تستيقظ اليوم التالي وترتدي ملابسها الجديدة، نامت ياسمين وهي ما زالت تحتفظ بابتسامة حماسٍ على وجهها، تدعو الله أن يوافق مصطفى على تلك الرحلة لترافقها دينا كي لا تكون وحدها هناك فريسةً لذكريات طفولتها التي تفتقدها الآن أكثر من أي وقتٍ مضى. نامت ياسمين ليلتها وكل ما يشغل بالها هو رحلتها القادمة لتركيا.

مضى اليوم التالي بلا أحداث جديدة سوى موافقة مصطفى على قضاء أسبوع من إجازة نصف العام بإسطنبول مع ياسمين، والتي كانت كافيةً لتنسيها استمرار تجاهل أكرم لحديثهما في اليوم السابق والذي دفعها للاتصال به ثانيةً عند عودتها إلى منزلها، ولكن يبدو أنه

قرر الهروب بإتقان هذه المرة وأغلق هاتفه حتى لا تستطيع الوصول إليه. وضعت ياسمين هاتفها بجانبها بعد أن يئست من الوصول إليه، وأمسكت بروايةٍ كانت قد أحضرتها معها إلى الشرفة عسى أن تجد بها ما ينسيها ما تمرّ به وينجح في القضاء على قلقها بسبب اختفاء زوجها وتجاهله طلبها.

كانت تمسك بفنجان قهوتها، ولكن قبل أن يلمس الفنجان شفتيها تجمدت الدماء بعروقها وهي تسمع أحدًا يضع مفتاحًا ببابها ويحاول فتحه قبل أن يدق الجرس معلنًا عن فشله نتيجة إغلاقها للباب من الداخل. تسمَّرت ياسمين بمكانها وقد سيطر الرعب عليها وهي تفكر ماذا تفعل؟ تركت شرفتها وأغلقت باب غرفتها على ذلك الملاك النائم بفراشها قبل أن تخطو ببطءٍ وحذرٍ لتنظر مَن الذي يحاول اقتحام منزلها في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

ما إن نظرت ياسمين من تلك العين ببابها حتى شهقت عند رؤيتها أكرم يقف حاملًا حقيبة سفر وينتظر أن تفتح له. لثوانٍ وقفت كتمثالٍ خلف الباب بلا حركة، لا تعرف ماذا يحدث وقد شعرت وكأنها تحلم، ولكن اندفع أكرم يضغط جرس المنزل ثانيةً لتنتبه من صدمتها وتفتح الباب بسرعةٍ خشيةَ أن يستيقظ مراد في هذا الوقت.

بلا روحٍ وقفت أمامه وهو يغلق الباب خلفه ويبدو على ملامحه ضيقٌ وانفعالٌ لتقول بتوترٍ واضحٍ:

– حمدالله على السلامة يا أكرم، ما قلتش إنك نازل يعني.

زفر أكرم بضيقٍ وهو ينظر إليها وكأنه على وشك الانفجار:

– وأقول لك ليه؟ هتفرق في إيه يعني يا ياسمين؟

– عادي زي ما بتقول لي كل مرة.

– لأ مش عادي، أنتِ طلبتِ الطلاق لأول مرة من يوم ما اتجوزنا، يبقى مش موضوعنا دلوقتي أقول ولا ما أقولش.

لا تعرف لمَ شعرت بخوفٍ مفاجئٍ من طريقته ونبرة صوته، لا تعرف لمَ شعرتْ وكأنها مذنبة، وكأن كل ما قالته لدينا عن علاقتهما قد تلاشى ونسيته لحظة وقوفه أمامها. لاحظ أكرم ذعرها فنظر بعيدًا وهو يحاول السيطرة على انفعاله قبل أن يقول بهدوءٍ:

– تعالي يا ياسمين نقعد في البلكونة علشان نبعد عن مراد، مش دا اللي موترك؟

في استسلامٍ سارت خلفه لتجلس أمامه في تلك الشرفة التي شهدت كل ما حدث لها في غيابه، وكل ما عصف بقلبها وحدها في الأيام الماضية. تنهد أكرم بعمقٍ وهو يسألها:

– فيه إيه يا ياسمين؟ عايزة تتطلقي ليه؟

كان سؤالًا يبدو بسيطًا، وقد أعادت على نفسها إجابته مرارًا وتكرارًا قبل حضوره، ولكنها وجدت نفسها لا تعرف من أين تبدأ وكيف تخبره بكل ما بداخلها، فنظرت بعيدًا وهي تقاوم دموعًا لا تعرف لها سببًا وتقول:

– عايزة أتطلق ليه؟ علشان إحنا مش متجوزين يا أكرم، لما يبقى كل واحد مننا في بلد والكم يوم اللي بترجع فيهم يبقوا عليَّ عبء ووضع غريب مش مستحملاه نبقى مش متجوزين. لما نبقى زي اتنين أغراب مش مهتمين حتى بمناسباتنا الخاصة وتبقى محتاج مامتك تفكرك بعيد ميلادي أبقى مش مراتك.

– وهو مين السبب في البعد دا؟ مش أنتِ؟ مش أنتِ اللي رافضة تيجي تعيشي معايا؟

– علشان مش شايفة أي سبب منطقي لسفرك أصلًا، علشان أنت ابن وحيد لراجل عنده شركة مش صغيرة، وما فيش غيرك المفروض يديرها، بس رغم كدا سبته وسافرت بدون سبب.

– مين قال لك إن ما فيش سبب؟

– وهو مين قال لي إن في سبب؟ أنت فهمتني أنت مسافر ليه؟

– مش عايز أشتغل في شركة أبويا يا ياسمين، مش عايز.

– لأ، أقول لك أنا أنت سافرت ليه؟ علشان أنت بتحب تبقى جزء من كل، ما تقدرش تتحمل مسؤولية حاجة لوحدك يا أكرم. أنت فجأة بقيت مسؤول عن زوجة وابن، وكمان المفروض تمسك شغل أونكل، فتهرب إزاي؟ ما فيش غير السفر، وأتحداك إن لو كنت وافقت وسافرنا كلنا كنت كملت هناك.

– يا سلام؟!

– صدقني كنت هترجع، علشان هتلاقي إن برده فيه مسؤولية فكنت هترجع، لكن أنت لمّا رحت لوحدك ارتحت، علشان كدا حتى المكالمة بتهرب منها؛ علشان هتسمع فيها حاجات مطلوب منك تعملها. الإجازة بتنزل بس على سفرنا لتركيا علشان رحلة لذيذة من غير التزامات.

– دا تحليلك لحياتنا؟

– اثبت لي العكس لو أنا غلطانة، كم مرة طلبت منك تنزل حتى إجازة علشان محتاجة لك وكبرت دماغك وقلبتها خناقة؟ كم مرة عرفت إن مراد تعبان وتابعتني بالتليفون كم يوم لحد ما تطمن عليه؟

– هفترض إن كلامك صح، وإن دا عيب فيَّ فعلًا يا ياسمين، ما ينفعش تستحمليني؟ مش الناس بتاخد بعض كلها على بعضها كدا؟

– صح، بس دا بيحصل لما يبقى في رصيد للي قدامك، يعني حاجة تشيل حاجة، قُل لي أنت قدمت لي إيه يشيل حالة الحرمان اللي أنا فيها دي؟!

– حرمان؟!

– آه حرمان، كان ممكن أستحمل عدم وجودك في البيت وسفرك لو كنت محسسني بوجودك في حياتي، بس للأسف أنت مش موجود في حياتي يا أكرم، وأنت اللي عملت دا.

– وأنتِ إيه؟! ملاك؟ ما عملتيش حاجة غلط خالص في حياتنا؟ قاعدة تحلليني وتشيليني كل حاجة وخلاص.

– لأ أنا مش ملاك، أقول لك؟ أنا السبب في كل دا، بس أنت عمرك ما طلبت، عمرك ما اعترضت على حاجة. وبصرف النظر عن مين السبب دلوقتي مش هتفرق حاجة في النتيجة اللي وصلنا لها، ما بقاش ينفع حتى لو حاولنا فأي حاجة هنعملها هتبقى تمثيل مش مشاعر، مجرد تمثيل علشان نفضل قدام الناس وقدام ابننا أسرة متماسكة ودي مش الحقيقة.

– طيب حلو إنك لسه فاكرة ابنك، ما فكرتيش عواقب الطلاق دا إيه على مراد؟

– وهو أنت موجود أصلًا معاه يا أكرم؟ هتفرق في إيه مش فاهمة الورقة؟! مراد بكرة يكبر ويفهم إن ما فيش في بيتنا غير برودة وتلج ومشاعر ميتة بين أب وأم ماسكين في بعض بس علشان نظرة المجتمع، وأنا مش حابة ابني يكبر في بيت ساقع كدا، مافيهوش حتى أسس الجواز من مودة ورحمة.

تنهد أكرم بعمق وهو ينظر بعيدًا بعد أن أشعل سيجارته ليقول:

– واضح إنك واخدة قرار يا ياسمين، ومصممة عليه ولا أنا غلطان؟

بصوت كاد لا يسمعه أطرقت وهي تهز رأسها في ضعف وتقول:

– لأ مش غلطان يا أكرم.

– تمام، بصي أنا كنت عارف إن نزولي مش هيغير أي حاجة في قرارك؛ علشان أنا عارف إنك مش بتقولي حاجة غير لما تبقي مفكرة كويس وواخدة قرار نهائي.

صمتت ياسمين تستمع لأكرم الذي أضاف قائلًا:

– أنا ما عنديش مانع أطلق يا ياسمين، بس عندي شرط واحد.

رغم إصرارها على الطلاق وعلمها أنها لن تتراجع عنه لكنها لا تعرف

لمَ شعرت بغصة في قلبها عند سماعها موافقته على طلبها، لا تعرفُ لمَ توترت عند علمها أن طلاقها أصبح وشيكًا لا يفصل بينها وبينه سوى ذلك الطلب الغامض الذي دفعها فضولها لتسأل عنه بترددٍ:

– طلب إيه؟

– مراد هيبقي معايا يا ياسمين.

لم تكن تتخيل أن يكون هذا هو شرط أكرم ليطلقها، أي جنون يدفعه ليطلب منها التنازل عن وحيدها، ولمن؟ لرجل يهرب من تحمل المسؤولية من بلد لآخر؟ اندفعت بانفعالٍ تقول:

– إيه؟! مراد يبقى معاك؟ دا إزاي وليه يا أكرم؟

– أنا مش عايز ابني يتربى بعيد عني يا ياسمين، وكنت ساكت ومستحمل علشان خاطرك علشان مش عايزة تيجي دبي، لكن بعد الطلاق أستحمل ليه؟

– تستحمل ليه يعني إيه؟ علشان دا الوضع الطبيعي إن ابني يبقى معايا، ثم أنت بعيد عنه في الحالتين، إشمعنى دلوقتي؟

نهض واقفًا وكأنه ينهي النقاش قبل أن يقول:

– والله دا اللي عندي يا ياسمين، فكري وردي عليَّ بس بسرعة علشان أنا ما عنديش غير أسبوع وراجع دبي.

أمسك هاتفه وتركها في الشرفة وحدها لتنهض خلفه مسرعةً تسأله:

– يعني إيه هو دا اللي عندك؟

وقف يحمل حقيبته صامتًا وكأنه يستعد للذهاب لتسأله باندهاش:

– أنت رايح فين؟

– أنا هروح أقعد عند بابا لحد ما تفكري وتردي عليَّ.

ثم فتح الباب ليذهب فوقفت هي خلفه قائلةً بانفعال:

– سايب ابنك وماشي، ما هانش عليك حتى تدخل تبوسه وهو نايم

بينك وبينه باب، لأ فعلًا ما تقدرش تعيش من غيره يا أكرم.

وكأنه لم يسمع ما قالت تركها ورحل دون كلمة أخرى، أغلقت خلفه الباب وقد شعرت أنها على وشك الاختناق، فتركت لدموعها العنان لا تعرف ماذا تفعل. لمَ عليها أن تخوض حربًا كهذه لتمنع انفصالًا حدث بالفعل بينهما منذ سنوات؟ لمَ يُصرّ على عذابها وهو يعلم أكثر من أي شخص آخر أن ما بينهما لم يعد له وجود الآن؟!

شعرت ياسمين أن أكرم كمن يمسك برأسها ليبقيها تحت الماء مصرًّا على منعها من التنفس، وكأنه بحديثه معها يحاول سلبها الحياة لآخر مرة. كاد رأسها ينفجر من استعادتها لما حدث منذ قليل، وأبى النوم أن ينقذها من التفكير، فما كان منها إلا أن ارتدت ملابسها وذهبت لتستنشق هواءً غير ذلك الذي شاركها فيه أكرم منذ قليل.

استقلت ياسمين سيارتها لا تكاد ترى طريقها بسبب تلك الدموع التي اندفعت كشلالٍ غاضبٍ من عينيها وهي لا تعرف أين تذهب في هذا الوقت المتأخر. ظلت تجوب الشوارع المحيطة بمنزلها بلا هدفٍ واضحٍ سوى أنها لا تريد العودة لفراشها كي لا يفترسها حزنها مرة أخرى، حتى وجدت نفسها أخيرًا أمام مطعم عمر سيف الدين، فأوقفت سيارتها وجلست بداخلها تحاول مقاومة تلك الرغبة الغامضة في أن تدخل لتبحث عنه؛ علّها تجد معه من يخفف عنها ما يؤلمها. بقيت بسيارتها تفكر لدقائق قليلة أتذهب لتبحث عن عمر أم تدير سيارتها وتعود لتستلقي بجانب ذلك الصغير الذي أصبح سببًا لنزاعها مع أكرم الآن؟ دقائق جعلتها تدير سيارتها لتعود من حيث أتت ولكنها ما كادت تفعل حتى فوجئت بمن يقف بجانب نافذة سيارتها يسألها متعجبًا:

– ياسمين، مالك في إيه؟ وبتعملي إيه هنا في الوقت دا؟!

***

-26-

لم تصدق ياسمين نفسها عند سماع صوته، تعرفه جيدًا ولا يمكن أن تخطئه أو تخطئ عطره الذي ملأ أنفها. التفتت تنظر ناحية صوته لتجد مراد يقف بجانب عمر يتابع ما يحدث، شعرت وكأن كل ما حولها يضيق وهي ترى عمر يتحدث ولكنها ما عادت تسمع صوته، وكأن كل ما يحدث هذه الليلة يدفعها للجنون؛ فقد كان آخر من تريد رؤيته بهذا اليوم العصيب هو مراد أبو غيدة ولكن ها هو يقف أمامها يسألها ما بها، ولكن ما إن رفعت رأسها تنظر إليه مرةً ثانيةً من بين دموعها حتى سمعته يقول لعمر:

- ياسمين هي اللي ماسكة عقد مصنعنا في الشركة عندهم.

لم يُحوّل عمر عينيه عن ياسمين وهو يجيبه بصوتٍ فقد الاهتمام قائلًا:

- آه ما أنا عرفت منهم يوم الافتتاح.

ليسألها ثانية بقلقٍ بالغٍ:

- مالك يا ياسمين؟ أنتِ تعبانة طيب؟

لا تعرف لمَ اشتعل بداخلها غضبٌ مفاجئٌ عند سماعها مراد وهو يشرح لعمر سبب معرفته بها، وكأنه يبرر له اندفاعه وسؤاله عنها عند رؤيتها، لا تعرف لمَ شعرت بكرهٍ واحتقارٍ له رغم علمها أنه ما كان يستطيع قول شيءٍ سوى ذلك لعمر، فهي وبرغم كل ما يحدث لا تزال امرأة متزوجة أمام الجميع.

ظلَّت ياسمين على حالها لا تعرف ماذا يجب عليها فعله، تشعر وكأنها ما كان يجب عليها الحضور إلى هنا في هذا الوقت، قطع صوت عمر عليها شرودها موجهًا حديثه إليها:

- طيب أنا كدا كدا كنت طالع من المطعم أوصل مراد، كان ماشي وأنا ما عنديش حاجة مهمة بعد كدا، تعالي اشربي أي حاجة اهدي ولا

حتى اغسلي وشك جوا وأنا هرجع معاكِ أروّحك.

رفعت يدها تمسح بها وجهها وهي تنظر إلى كليهما ولا تعرف لمَ كانت تتمنى أن يعترض مراد أو أن يدفعه الفضول ليعلن عن رغبته في البقاء معهما، ولكنه خيّب أملها كعادته دائمًا ولاذ بصمته، وكأنه يوافق على كل ما قاله عمر. استأذن مراد وحيَّاهما قبل أن يذهب وبعينيه نظرة شعرت منها أنه لديه الكثير ليقوله لها ولكن شيئًا ما يمنعه، ولكنها لم تعد بها قدرة بعد كل ما حدث أن تبحث له عن أعذارٍ أو تخلق له مبررات مرة أخرى، هي الآن ضعيفة وحيدة تبحث عمن يحتوي خوفها ويطمئنها فقط.

– ياسمين، انزلي تعالي اشربي حاجة يلا، وأنا هرجعك البيت بس تهدي شوية.

انتبهت على صوت عمر بعد رحيل مراد لتترك سيارتها في استسلامٍ وتدخل معه إلى مطعمه حيث أجلسها على إحدى الطاولات، وذهب ليحضر لها بعض العصير. وضعت ياسمين كوب العصير من يدها بعد أن أصرَّ عمر على أن تتناوله كله قبل أن تتنهد بعمق وهي تحاول أن تبتسم له قائلةً:

– شكرًا يا عمر.

نظر إليها بمزيج من القلق والحنان قائلًا:

– على إيه بس يا ياسمين؟ بصي أنا قلقان جدًا عليكِ بجد، يعني إني ألاقيكِ بتعيطي في عربيتك في وقت زي دا قدام المطعم دا وضع مش طبيعي خالص. بس مش هضغط عليكِ إنك تحكي، ولو إن الكلام معظم الوقت بيريح، بس طبعًا في الأول والآخر دي حاجة ترجع لك، بس عايزك تعرفي إنك لو أي وقت حسيتِ إنك عايزة تتكلمي أو حتى تقعدي تعيطي قدام حد وأنتِ ساكتة خالص أنا موجود، وممكن أقوم بالدور دا كويس جدًا والله.

ابتسمت له ياسمين بامتنان وقد ظهر على وجهها بعض التردد، وكأنها تفكر أتخبره بما دفعها للتجول ليلًا في الشارع وهي تبكي أم فقط تشكره وتذهب عائدة من حيث أتت؟ اندفعت أخيرًا وكأنها تريد بإخباره مشاركةَ أحدٍ هذا الجبل الراسخ فوق صدرها، فقصَّتْ عليه كل ما حدث بدايةً من طلبها الطلاق حتى عودة أكرم وذلك الشرط الذي أخبرها به قبل ذهابه للمبيت عند والديه، ولكنها بالطبع احتفظت لنفسها بالجزء الخاص بذلك الذي تركها منذ قليل ورحل ولم تخبره به.

ظلّ عمر صامتًا يستمع إليها باهتمامٍ حتى تنهدت بعمقٍ في ارتياحٍ بعد أن انتهت من روايتها، فرفع هو رأسه يسألها في هدوءٍ:

– وأنتِ خايفة تخسري مراد يا ياسمين ولا خايفة تستجيبي لضغط أكرم وتكملي معاه غصب عنك؟

– مش عارفة يا عمر، أنا مخضوضة ومتلخبطة جدًا من ساعة ما لقيت أكرم قدامي وحسيت أن الطلاق أقرب مما أتخيل.

– أنتِ عندك استعداد تدي لأكرم فرصة تانية؟

في سرعةٍ وحسمٍ جاء ردها عليه:

– لأ خالص، مستحيل.

– طيب بصي يا ياسمين، جوزك غلبان.

في دهشة نظرت إليه وكأنها لم تتوقع رده هذا ليكمل هو:

– آه غلبان، ما تستغربيش، غلبان جدًا. اللي فهمته وشفته لما اتقابلنا عند ياسر إنه ابن ناس وطيب، بس شخصيته ضعيفة وأنا آسف إني بقول كدا بس هو دا اللي فهمته. أكرم ضحية تربية غلط ودلع وعدم تحمل مسؤولية، باختصار ضحية أهله، بس هو حتى لما كبر ما حاولش يصلح الغلط اللي فيه وزوّده بهروبه منك أنتِ وابنه ومسؤوليته كأب، وكان فاكر إنك مش فاهمة، بس لما رجع واتكلمتوا ولاقاكِ فاهماه أوي كدا اتكسف منك فبدل ما يحاول يحتويكِ ويصلح من نفسه بدأ

يهاجم كنوعٍ من أنواع الدفاع عن كرامته اللي أنتِ أهنتيها بدون قصد.

– أنا؟!

– هو لما تقولي لراجل أنت ضعيف وبتهرب من دورك كأب وكزوج، دي مش إهانة؟! إهانة طبعًا من وجهة نظره؛ لأنه إنسان عنده مشكلة نفسية ما، طبيعي مش هيقدر يستوعب كلامك على إنه دافع إنه يحسن من نفسه، بالعكس هيبدأ يحاول يجيب العيب فيكِ ويحسسك إنه أقوى منك بأي طريقة، وفي حالة أكرم ما عندهوش غير مراد يمسكك منه، فاهماني؟

– آه يا عمر فاهماك، بس برده النتيجة واحدة، هو ممكن ياخد مراد.

– مستحيل، أولًا قانونًا ودا بس علشان تطمني وأنا عارف كويس إنك مش هتوصلي لدا، بس عمومًا الولد من حقك إلا في حالة إنك تتجوزي، يبقى هيروح لأكرم أو والدته ودي ليها حل بس أخلص كلامي الأول.

– ها، كمل طيب.

– بصي يا ياسمين، أكرم بيعمل آخر محاولة إنه يحافظ عليكِ بس هو سياسته غلط، وعلى فكرة هو بيحبك لأنه بيعمل كدا وهو عارف كويس إنه مش حمل مسؤولية مراد لوحده، بس الأول قولي لي والدة أكرم علاقتها بيكِ إيه؟

– بتحبني جدًا وأنا بحبها كمان، هي حقّانية أوي وكانت كتير بتيجي على أكرم علشاني.

– خلاص اطمني، هو واحد من سيناريوهين هيحصل: أكرم هيضغط وأنتِ بتقولي ما عندكيش استعداد تديه فرصة تانية، فهتصممي على الطلاق، وهو يا هيستسلم ويسيب لك الولد لما يلاقي ضغطه ما جابش نتيجة، ودا غالبًا اللي هيحصل، يا هيفضل مُصرّ

ياخد مراد وساعتها الموضوع هيبقى في ملعب مامته.
– إزاي؟
– دلوقتي هو مش هينفع يسافر بمراد علشان مش هيعرف يراعيه هناك، فطبيعي لو أنتِ وافقتِ واتنازلتِ علشان تتطلقي هيسيبه لمامته ويسافر.
– مش عارفة يا عمر.
– ما لهاش حل تاني يا ياسمين، في الحالة دي لو هي فعلًا حقّانية وبتخاف على مصلحة حفيدها هتقف في وش ابنها وتصمم تخلي الولد عندك علشان مش منطقي تحرمه من أبوه وأمه مع بعض.
– طيب ولو طلعت فاهماها غلط؟
– برده مش هترضى بالوضع دا، لأن بنسبة 90 % مش هتبقى حابة تشيل حِمل ولد صغير من أول وجديد، ولا هتبقى مرحبة إن ابنها يبقى مطلق وفي رقبته ولد لأن اللي زي النموذج دا أكيد هتبقى عايزة تجوزه تاني؛ فمراد هيبقى عقبة لابنها في الحالة دي، ودا لو هي مش حقّانية.
– كلامك منطقي بصراحة.
– آخر حل علشان تعرفي تنامي لمّا أروّحك دلوقتي، إن لو في أسوأ الظروف رفعنا قضية فالحكم في صالحك بلا شك.
كَسَتْ علامات الارتياح ملامح وجهها وابتسمت بامتنانٍ له وهي تقول:
– مش عارفة أقول لك إيه يا عمر، بجد طمنتني جدًا.
– الموضوع بسيط يا ياسمين، بس أنتِ اتوترتِ لما لاقيتيه قدامك وهو ضغط عليكِ بشرط مراد دا كمان.
– أيوة صح، ولما حسيت إن الطلاق قرّب فعلًا مش عارفة ليه اتهزّيت.
– طبيعي، عارفة مع إني كنت متفق أنا ونوران على الطلاق والقرار

مشترك ورايحين سوا للمأذون، بس لما قعدنا معاه وابتدا يحاول وإحنا مصريّين حسيت بالهزة دي مع إني راجل تخيلي؟ وبالمناسبة علشان بس أعرّفك الجنان، حسيت إن كرامتي برده انجرحت لمّا خلصنا ومشينا اللي هو المأذون بيحاول وأنتِ مصممة مش عايزاني رغم إني برده مش عايز أكمل، بس لأ أنا راجل، إزاي أترفض كدا.

قال عمر كلمته الأخيرة وضحك وهو يتذكر لحظة طلاقه لتضحك ياسمين معلقةً:

– لا دا كدا أكرم معذور فعلًا.

– مش بقول لك، إحساس الطلاق والرفض وحش حتى لو متفقين، ما بالك لو راجل ومراته هي اللي نفرته؟

– صح يا عمر، إحساس الرفض وحش فعلًا.

– ياسمين، معلش عندي فضول أسأل سؤال وبراحتك تجاوبي أو ترفضي مش هزعل خالص.

نظرت إليه ياسمين نظرةً متفحصةً قبل أن تجيبه وقد أبعدت نظرها عنه:

– علشان كان بيديني اللي هو عايز يديه مش اللي أنا محتاجاه.

ابتسم عمر في ذهولٍ قائلًا:

– أنتِ مش بس عرفتِ هسأل على إيه، أنتِ كمان جاوبتِ بكلامي، أنا انبهرت.

ضحكت ياسمين وقد بدأت تشعر بالهدوء ثانيةً، فلأول مرة يهتم أحدٌ بتفاصيلها وينجح في طمأنتها.

– أنا بتكلم بجد يا عمر والله، بس إحنا ما فيش بينا أي حاجة مشتركة ولا حتى حياة، أكمل ليه تفتكر؟

لا تعرف لمَ شعرت رغم صمته أن لديه الكثير ليقوله، ولكنه اختار الصمت مبتسمًا قبل أن ينظر إليها بحنانٍ قائلًا:

– طيب يلا بينا علشان الفجر قرّب، ولولا إني حاسس قد إيه كنتِ منهارة وشفتك بنفسي كنت قلت لك ما كانش ينفع تنزلي في وقت زي دا خالص.

رفعت رأسها إليه بخجلٍ من كلماته، مما دفعه ليكمل:

– مش بقول لك كدا علشان تتكسفي يا ياسمين، أنا بقول لك كدا علشان خايف عليكِ والله. يلا قومي خدي عربيتك وأنا طبعًا مش هينفع أركب معاكِ ولا أسوق أنا، رغم إني مش حابب إنك تسوقي بنفسك بس للأسف ما فيش حل تاني، أنا هطلع وراكِ بعربيتي لحد تحت بيتك ومن فضلك تكلميني لمّا توصلي شقتك وتدخلي.

في طاعةٍ تامةٍ أجابت وهي تقف استعدادًا للذهاب:

– حاضر.

أدارت ظهرها له وهي تهمُّ بالخروج من المطعم، ولكنها سمعته يناديها برفق:

– ياسمين.

– أيوة يا عمر؟

– مش عايزك تقلقي، أنا موجود معاكِ وفي ضهرك دايمًا، وإن شاء الله مش هيحصل حاجة وحشة خالص بس من فضلك تطمنيني أول بأول؛ علشان أنا مش هينفع أتصل الفترة دي أسأل عليكِ علشان ما أسببش حرج لحد. اهدي واللي هيسعدك اعمليه، وأنا والله لو كان ينفع أتدخل كنت اتدخلت، بس للأسف ما ينفعش لما يقولوا لي بصفتك إيه أقول لهم صديق العيلة.

ضحكت ياسمين وضحك هو قائلًا:

– قديمة أوي من أيام عماد حمدي يعني، أنا بس عايزك تطمني إنك مش لوحدك.

في امتنانٍ جاء ردها بصوتٍ عذبٍ:

– عارفة والله يا عمر، تسلم بجد.

– ومن فضلك تاني اوعي تنزلي من بيتك في وقت متأخر كدا، ولا في حالة زي اللي كنتِ فيها النهاردا دي، لما تلاقي نفسك كدا كلميني أي وقت صبح ليل فجر، أي وقت هتلاقيني موجود ومعاكِ، اتفقنا؟

– اتفقنا خلاص والله.

استقلّت سيارتها وأدارت محركها قبل أن تنظر إلى مرآتها وتتأكد أنه يجلس في سيارته خلفها منتظرًا أن تتحرك ليتبعها حتى منزلها. ما هي إلا دقائق قليلة حتى وصلت ياسمين أسفل بيتها لتوقف سيارتها وتختفي داخل ذلك العقار المميز لينتظر عمر داخل سيارته حتى يطمئن عليها كما طلب منها منذ قليل.

استلقت ياسمين على فراشها للمرة الأخيرة هذه الليلة، ولم يتبقَ على ميعاد استيقاظها سوى ساعة واحدة لتنامها. ابتسمت وهي تستعيد حديثها مع عمر، وكيف نجح في احتواء خوفها من أن تفقد مراد كثمنٍ لحريتها، لأول مرة تشعر بالأمان في وجود أحدٍ ما، كيف نجح في طمأنتها هكذا وهي بالكاد تعرفه؟ كيف استطاع وصف ما تشعر به بهذه الدقة والاهتمام؟ لأول مرة تتذوق لذة أن يجلس أحدٌ ليسمعها بدافع الاهتمام والرغبة في مساعدتها حقًّا. تذكرت أيامها الأولى مع مراد، وكيف كان يسمعها وقت فراغه فقط متصنعًا الاهتمام لا مهتمًا بحق، فهمت الفرق هذه الليلة بين من كان يسمعها حين يكون لديه وقت ويقرر العودة، وبين من وجدها أمامه فجلس ليسمعها قلقًا عليها.

تذكرت وسط أفكارها أنها رأت مراد مع عمر هذه الليلة، ولدهشتها لم تكن رؤيته هي ما أثار فضولها، إنما ما أثار فضولها حقًّا هو كيف أنساها حديثها مع عمر رؤيتها لمن كان حب عمرها الوحيد؟! كيف غلب إحساسها بالأمان مع عمر على إحساسها بافتقاد مراد؟

***

-27-

لم تكن ياسمين تتخيل أن تتحقق توقعات عمر بهذه السرعة، ففي اليوم التالي وهي تستعد لمغادرة مكتبها بعد أن قضت اليوم بمفردها بسبب إجازة تغيُّب دينا عن العمل لمرض ابنها المفاجئ، علا صوت هاتفها حاملًا اسم راوية، لتتردد قليلًا قبل أن تجيب بصوت يرتجف:

- ألو.

بصوتٍ هادئٍ حنون جاء صوت راوية:

- أيوة يا ياسمين، إزيك يا حبيبتي؟

ما إن سمعت صوتها حتى بدأ توترها في الانسحاب قبل أن تقول:

- الحمد لله يا طنط، حضرتك عاملة إيه؟

- الحمد لله يا حبيبتي، بقول لك يا ياسمين، عايزة أقعد أتكلم معاكِ شوية يا روحي، ينفع النهاردا؟

على الرغم من علمها أن المواجهة آتية لا محالة لكنها شعرت بقلقٍ ممزوج بخجلٍ من مقابلة راوية، تلك التي لم تشعر يومًا معها أنها والدة زوجها، فقد كانت حنون لا تحيد أبدًا عن الحق. طال صمت ياسمين مما دفع راوية لتقول في حنان وكأنها عرفت بما تفكر:

- ما تقلقيش يا ياسمين، أنا يا حبيبتي من يوم ما عرفتك وأنا مامتك قبل ما أبقى مامة أكرم، وعمري لا هظلمك ولا هفهمك غلط، بس أنا يا حبيبتي محتاجة أفهم وأتكلم معاكِ بعيد عن ابني.

وكأنها باستخدامها كلمة ابني أرادت أن تُذكّر ياسمين أنها رغم حكمتها معها وحنانها عليها طوال سنوات معرفتها بها لكنها بنهاية الأمر أمٌّ تود الاطمئنان على وحيدها، وتحاول الحفاظ على حياته لمرة أخرى أخيرة، فما كان من ياسمين إلا أن اجابتها في طاعةٍ:

- حقّك طبعًا يا طنط، يناسب حضرتك نتقابل فين؟

- خلينا في البيت علشان خاطر مراد، هاجي لك على الساعة تمانية

كدا يكون نام ونعرف نتكلم.

– خلاص كويس جدًا، هستنى حضرتك إن شاء الله.

– إن شاء الله يا حبيبتي.

أغلقت ياسمين الخط وهي تفكر فيما ستقوله لتبرر به طلبها الطلاق أمام راوية، فتلك السنوات التي تفرق بينهما في العمر ربما تصبح سببًا لعدم فهمها سر إصرار ياسمين على طلبها، تخشى أن تكون والدة أكرم ممن يؤمنون أن المرأة إذا تزوجت وأنجبت يُصبح لزامًا عليها تحمُّلُ ظروف زوجها أيٍّ كانت، خاصة وأن قرارها ليس نتيجةَ إهانةٍ مباشرةٍ لها أو جرحٍ لكرامتها. تخشى أن تُسبب لها ألمًا إن أخبرتها بكل الحقيقة، فمما لا شك فيه أنها لن تشعر بالسعادةِ عند سماعها أن وحيدها أضعف من أن يهتم بزوجةٍ وولدٍ، وأضعف من أن يحافظ على أسرته من الانهيار.

ظلت الأفكار تتقاذفها طوال طريقها، حتى وجدت نفسها تُمسك بهاتفها لتطلب رقم عمر الذي أتى صوته على الفور وكأنه كان ينتظر اتصالها هذا منذ ليلة أمس:

– ياسمين، إزيك؟ طمنيني، إيه الأخبار؟

ابتسمت وهي تُجيبه:

– إزيك يا عمر؟ والله ما فيش، هي طنط بس كلمتني وهتجي لي النهاردا تتكلم معايا.

– طيب كويس.

في دهشةٍ من رده تساءلت:

– كويس إزاي يا عمر؟ أنا متوترة جدًا، ومش عارفة أقول لها إيه.

– آه كويس يا ياسمين، إيه المشكلة؟ وبعدين هتقولي إيه يعني؟ أكيد بتقولي اللي أنتِ قررتيه، بس عمومًا أنتِ هتسمعي منها هي الأول وبعدين تتكلمي، وماعتقدش جايّة ناوية على حاجة وحشة.

– هي أصلًا عمرها ما عملت حاجة وحشة.

– لأ، مش علشان كدا بس يا ياسمين، اهدي واسمعي.

– أُمّال علشان إيه يا عمر؟

– علشان ما دام كلمتك وعايزة تسمع منك تبقى مهتمة إنها تصلح، أو مهتمة تعرف أسبابك على الأقل، ومش حماة زي بتوع الأفلام لقت ابنها مرفوض وزعلان فقَلَبتْ عليكِ على طول.

– لأ مش فاهمة معلش، قصدك إيه؟

– يعني يا ياسمين الست دي كويسة، ما سمعتش من ابنها بس وقلبت عليكِ واللي هو خلاص سيبها بقى يومين لما نشوف هتقول إيه والكلام دا، بالعكس، دي كلمتك تاني يوم علشان تتكلم معاكِ، وسواء هي جايّة تدافع عن ابنها أو علشان تفهم منك بس، ففي الحالتين هي ست محترمة وما فيش حاجة تقلقك ولا توترك.

– بص، هي طنط راوية طول عمرها محترمة ما عنديش شك، بس فكرة إني أقعد أتكلم معاها في طلاقي من ابنها دي مضايقاني وموتراني أوي يا عمر، علشان عمري ما كنت أحب أضايقها بجد وفي النهاية هي أم برده.

ابتسم عمر في إعجابٍ قبل أن يقول:

– ياسمين، جميل جدًا إنك تبقي بتفكري فيها وخايفة على إحساسها كدا، بس أنتِ مش قصدك تزعليها، يعني مثلًا عندك استعداد تغيري قرارك علشان خاطرها؟

– لأ خالص، مش دا قصدي.

– أنا فاهم قصدك، بس أنتِ زي ما بيقولوا وصلتِ لنقطة يا أبيض يا أسود، ما فيش حلول وسط ترضي جميع الأطراف.

في ألم جاء صوتها تقول:

– عارفة.

صمت للحظات قبل أن يرقَّ صوته قائلًا:

– وعمومًا أنتِ برده ما تعرفيش هي جايّة ليه، فاستني لما تسمعي منها وشوفي. يمكن هي تكون هتقول حاجة تهون عليكِ إحساسك بالذنب دا.

– حاضر يا عمر، ههدى وأستنى لما أسمع منها.

– تمام، وفي حاجة كمان خلي بالك منها.

– إيه هي؟

– اوعي تحسسيها إنك ممكن في يوم تستغلي مراد ضدهم.

– أستغله إزاي يعني؟ لأ طبعًا عمري.

– دي أهم حاجة، وحاولي توصّلي إنك بتعملي دا علشان مصلحة الولد ونفسيته قبل أي حاجة تانية.

– تمام فاهمة، وهي دي الحقيقة أصلًا أنت مش بتكدب.

– يبقى خلاص ما تقلقيش، وأنا من كلامك متأكد إنها جايّة علشان تتكلم بس، وهي أكيد عارفة عيوب ابنها يا ياسمين.

– أوكي يا عمر.

– أوكي، مش محتاج أفكرك إن أنا موجود أي وقت تحتاجيني، بس من فضلك أول ما تخلصي المقابلة كلميني طمنيني.

– حاضر.

– يلا باي.

– باي يا عمر.

جلست ياسمين تنتظر حضور راوية بمنزلها في الثامنة حسب موعدها معها بعد أن نام مراد، جلست وقد بدأ التوتر يسيطر عليها رغم حديثها مع عمر قبل قليل واقتناعها بما قال. لا تعرف ماذا تُخبر راوية، وما هي الأسباب التي ستقولها عندما تسألها لماذا الآن وأكرم هو أكرم منذ عرفته وتزوجته. لماذا بعد كل تلك السنين وليس هناك جديد يدفعها لمثل هذا القرار؟ لا تعرف بما تخبرها إن سألتها لماذا لم تحاول

معه أكثر من مرة ليتغير؟ تُرى هل ستتفهم راوية ما تعانيه عند عودة أكرم في إجازة أم إنها ستتهمها بالنشوز؟ أسئلة كثيرة بداخل ياسمين تتصارع باحثةً عن إجابات غابت عنها حتى كاد رأسها ينفجر عندما سمعت طرقات خفيفة على الباب، فتنتفض واقفةً تُحاول السيطرة على قلقها من تلك المواجهة الصعبة.

في طريقها للباب دارت برأس ياسمين أفكار عديدة لاستقبالها لراوية، لكنها تلاشت بمجرد أن فتحت لها الباب ورأت تلك الابتسامة الحنون التي اعتادتها طوال السنوات الماضية، ما زالت هناك تُزيّن وجهها وهي تنظر إليها وكأنها تضمها بعينيها وهي ما زالت تقف ببابها. دمعت عينا ياسمين وهي تفتح ذراعيها وتضمها وهي تقول مرحبةً بها:

– أهلًا يا طنط، اتفضلي.

ضمتها راوية بحبٍ قبل أن تفلتها برفقٍ وكأنها تعرف ما تعانيه، جاء صوتها في حنان أمٍّ حقيقيةٍ وهي تسألها:

– عاملة إيه يا ياسمين؟

أغلقت ياسمين الباب والتفتت لراوية التي كانت لا تزال واقفةً بجانبها وهي تبتسم قائلةً:

– الحمد لله يا طنط.

ربتت راوية برفقٍ على ظهرها قبل أن تقول بابتسامةٍ:

– طيب تعالي نقعد في البلكونة نتكلم شوية، عارفاكِ بتحبي قعدة البلكونة من زمان.

بابتسامةٍ وفي استسلامٍ سارت ياسمين بجانبها حتى جلستا معًا بالشرفة، وبدأت راوية الحديث بحنانٍ صادقٍ وكأنها لا تستطيع الانتظار أكثر من ذلك:

– أنا عارفة إنك أكيد متوترة من ساعة ما كلمتك، علشان كدا هتكلم على طول علشان أريّحك من القلق دا، بس عايزاكِ في الأول

تعرفي حاجة مهمة يا ياسمين.

نظرت إليها ياسمين بإمعان وتركيز تنتظر أن تعرف ما تعنيه بقولها: «حاجة مهمة»، فأكملت راوية حديثها قائلةً:

– أنا بحبك وبعتبرك بنتي زي أكرم بالظبط، مش علشان أنتِ مرات ابني، لأ خالص، علشان أنتِ بنت ناس بجد وتستاهلي يا حبيبتي، وعمرنا ما شُفنا منك حاجة وحشة. وسواء كملتِ مع أكرم أو لأ فأنتِ هتفضلي بنتي اللي بحبها، وأهم من كل دا أنتِ أم مراد، يعني أم حفيدي الوحيد، فعمري ما هظلمك ولا أقدر حتى.

اطمأنت ياسمين لحديث راوية، ولكن شعرت وكأنها صعَّبت بحنانها عليها أن تخبرها بما بداخلها، لا تعرف كيف تخبر تلك السيدة التي لا تكنُّ لها سوى الحب والحنان بما تشعره تجاه ابنها الآن، وكأنها تعرف ما يدور برأسها قطعت راوية عليها شرودها تسألها:

– في إيه يا ياسمين؟ قولي لي بصراحة، وعلى فكرة أنا مش جايّة علشان أضغط عليكِ ولا علشان أحرجك وتغيري قرارك، خالص حتى وإن كان دا اللي بتمناه، أنا جايّة أقعد معاكِ علشان زي ما سمعت من ابني عايزة أسمع من بنتي، والقرار في الآخر قرارك أنتِ يا حبيبتي، ولو على موضوع مراد والتخريف اللي أكرم قاله لما جالك دا فسيبك منه، هو بس مجروح ومش عارف يعمل إيه فاتكلمي براحتك.

شعرت ياسمين بارتياحٍ مفاجئٍ بعد حديث راوية عمّا يخصُّ مراد، صدقت توقعات عمر وها هي تلك السيدة العظيمة تقف معها وتعاهدها بأن تحفظ لها حقها في صغيرها، حتى وإن قررت أن تكمل ما بدأته وتُصرّ على الطلاق من ابنها. ابتسمت ياسمين في ألم قبل أن تقول:

– والله وأنا كمان يا طنط دايمًا أقول ربنا عوّضني بحضرتك عن ماما، وربنا يعلم بحب حضرتك قد إيه وعمري ما كنت أحب أزعلك أو أضايقك.

– أنا لو هزعل هزعل زي ما ماما كانت هتزعل لو كانت لسه موجودة يا حبيبتي، هزعل علشانك مش منك، ما تقلقيش.

صمتت راوية تنتظر أن تتحدث ياسمين وتخرج ما بداخلها، ولكن طال صمت ياسمين فاندفعت راوية تسألها في هدوء:

– عايزة تتطلقي ليه يا ياسمين؟

– مش عارفة أقول لك إيه يا طنط، بس أنا وأكرم ما بقيناش شبه بعض، أو يمكن كنا كدا من الأول وإحنا اللي ما خدناش بالنا، ما فيش بينا حاجة مشتركة.

تنهدت ياسمين وهي تنظر بعيدًا فيما جلست راوية بصمتٍ تستمع إليها بعينين دامعتين لتكمل:

– عارفة يا طنط، زمان لما كنت أشوف أي اتنين متجوزين بقالهم فترة كنت بحس إنهم شبه بعض. كنت بحس إنهم ما كانش ينفع حد فيهم يتجوز غير التاني، طباعهم بقت شبه بعضها وطريقة كلامهم، حتى ضحكتهم بتكمل بعض، وكنت مستنية أتجوز علشان نبقى زي أي اتنين في اللي كنت بشوفهم دول بس احنا ما بقيناش كدا، حتى بعد كل السنين دي ما بقيتش شبه أكرم ولا هو شبهي، أنا ماعرفش أكرم بياخد سكر قد إيه في الشاي دلوقتي. أنا ماعرفش أكرم اللي بلبس البيت يا طنط، أكرم اللي بجد مش المهندس أكرم، أنا أعرف أكرم اللي كل الناس عارفاه، وهو نفس الحكاية ما يعرفنيش. إحنا اتنين أغراب الدنيا رزقتهم بولد، دا اللي اكتشفته بعد السنين. وللأسف يا طنط أكرم ما كانش عنده استعداد يتحمل مسؤولية ولا يبذل مجهود حتى علشان نصلح حياتنا، وفضل يهرب لحد ما أنا كمان ما بقاش عندي أي استعداد للمحاولة.

– رصيده خلص.

قالت راوية عبارتها بيأسٍ ولكنها اخترقت قلب ياسمين، فنظرت إليها

وكأنها تواسيها قبل أن تقول وهي توافقها رأيها:

– للأسف يا طنط.

– طبيعي، ابني للأسف ضيّعك منه علشان كان ضامنك، ما كانش مدي خوانة إنك ممكن تطلبي الطلاق في يوم. عارفة يا ياسمين، أنا من يوم ما اتجوزتوا وأنا شايفاه بيهرب من المسؤولية وبكلمه من وراكِ، حتى لما طلبتِ منه تسيبوا الفيلا عندنا وتيجوا تعيشوا في شقة مامتك أنا فرحت، عكس كل أم ابنها بيسيبها، فرحت علشان قلت يمكن بُعده عننا يخليه يتغير، أتاريه لما بعد هرب لدبي خالص وسابنا.

صمتت للحظات قبل أن تمد يدها لتمسك كف ياسمين وكأنها تعدها قائلةً:

– أنا سمعتك وفهمت، بس عندي سؤال واحد ويا ريت تجاوبي من غير إحراج علشان أنا في الحالتين هبقى في ضهرك.

– اتفضلي يا طنط، أكيد.

– أنتِ طلبتِ الطلاق تهديد ولا قرار؟

غاص قلب ياسمين في صدرها عند سماعها سؤال راوية، وتنهدت بعمقٍ قبل أن تغرز سكينًا باردًا في قلب راوية بإجابتها التي جاءت حاسمة ولكن بصوتٍ مترددٍ:

– قرار يا طنط.

ابتلعت راوية دموعًا حاولت الفرار من عينيها عند سماعها عبارة ياسمين، والتي جاءت لتقتل آخر آمالها في الحفاظ على أسرة وحيدها، قبل أن تنظر إليها وهي ما زالت تحتضن كفها بين يديها لتقول:

– خلاص يا ياسمين، اللي أنتِ عايزاه يا حبيبتي، أنا وعدتك وهبقى في ضهرك فعلًا، بس عايزاكِ أنتِ كمان توعديني.

– عينيَّ يا طنط، اؤمري.

– اوعديني يا حبيبتي إن قرارك دا ما يأثرش على علاقتنا بمراد،

وأنا أضمن لك أن ابنك يفضل معاكِ حتى لو في يوم قررتِ تتجوزي. أنا عارفة هو مرتبط بيكِ إزاي، وعمري ما هخلي حفيدي يدفع تمن غباء أبوه، توعديني؟

لم تستطع ياسمين أن تمنع دموعها عند سماعها طلب راوية ورجائها ألا تحرمها من مراد بعد الطلاق، اندفعت دموعها التي طالما منعتها، فنهضت راوية وضمتها إليها قبل أن تشاركها البكاء. ظلت ياسمين تبكي على صدر راوية التي اندفعت دموعها لأول مرة أمامها، كانت ياسمين تبكي سنوات مضت من عمرها، وكانت راوية تبكي سنوات قادمة في حياة ابنها لا تعلم ما تحملها له. كفكفت ياسمين دموعها وهي تُفلِتُ ضمة تلك السيدة التي تحمل قلب أم حقيقي لتنظر إليها من بين دموعها وتعدها قائلةً:

– أوعدك يا طنط، إحنا أصلًا ما نقدرش نستغنى عنك، لا مراد ولا أنا كمان.

ابتسمت راوية لها بامتنان حقيقي قبل أن تُربت على يدها وهي تمسك بحقيبتها وتخطو باتجاه الباب قائلةً:

– خلاص يا ياسمين، أنا هتكلم مع أكرم وهكلمك نحدد معاد نروح للمأذون يا بنتي. بس بقول لك إيه، ينفع تجيبي مراد يقضي معانا اليوم بكرة ويبات وتاخديه يوم السبت؟ هو ما شافش باباه برده.

– طبعًا يا طنط ينفع، هكلم حضرتك الصبح وأعديه عليكم إن شاء الله.

– تسلمي يا حبيبتي، وما تقلقيش، الموضوع هيخلص وإن شاء الله من غير مشاكل.

– إن شاء الله يا طنط.

ضمتها راوية مرة ثانية وهي تُودعها قبل أن تفتح الباب وترحل لتتركها وحدها مرة أخرى، لا تعرف ما حدث لها بعد تلك المقابلة، مزيج

من المشاعر سيطر عليها، لا تعلم أتبكي لحزن تلك السيدة الحنون التي رحلت لتوها أم تفرح لعلمها أن طلاقها بات أقرب مما تمنت بعد وعد راوية لها؟ ظلّت تمسك هاتفها لا تعلم مع من تتحدث لتفرغ ما بها من مشاعر متداخلة، حاولت الاتصال بدينا ولكن يبدو أنها أغلقت هاتفها ونامت بعد يوم مرهق في مراعاة صغيرها المريض. وقفت تنظر من شرفتها بعيدًا وهي تفكر في وحدتها التي سئمتها، تذكرت مراد وكيف كانت تجد في وجوده كل من فقدتهم؛ فقد كان حبيبها وأقرب أصدقائها وأبيها الذي فقدته، انتبهت لنفسها وقد عادت تفتقد وجوده رغم كل ما فعله بها وبقلبها، أصبحت تكرهه من شدة حبها له، أغمضت عينيها وهي تحاول إبعاد صورته عن ذهنها وقَبلَهُ قلبها الذي بدأت دقاته تعلن حنينها إليه مرةً ثانيةً، وكأنها قد غفرت له كل ما تسبب لها به من ألم.

فتحت ياسمين عينيها فجأةً وقد تذكرت عمر الذي ينتظر منها اتصالًا الآن ليطمئن عليها وتخبره ما تمَّ بينها وبين راوية. أمسكت هاتفها تطلبه، وما إن سمعت صوته يُجيبها في لهفة الانتظار حتى اندفعت تقصُّ عليه كل ما تمَّ منذ قليل حتى انتهت، فسمعت صوته يأتي فرحًا يقول:

– الحمد لله يا ياسمين، شُفتِ بقى. كله عدى وخلاص الموضوع قرب يخلص كمان. ما لك بقى، صوتك متوتر ليه؟

– مش عارفة يا عمر، فرحانة على متضايقة إن طنط زعلانة على قلقانة. حاجات كتير كدا.

– طبيعي يا ياسمين، طبيعي وهتاخدي وقت لحد ما ترجعي زي الأول على فكرة، فبلاش تضغطي على نفسك وخدي وقتك براحتك لحد ما تهدي والأمور ترجع تتظبط.

– يعني دا طبيعي؟

– جدًا، بالعكس أنتِ متماسكة عن ناس كتير مروا بنفس التجربة، فاطمني واهدي على نفسك شوية.

– طيب الحمد لله، طمنتني كالعادة.
– بقول لك إيه طيب؟
– قول.
– أنتِ هتعملي إيه بكرة بعد ما تودي مراد عندهم؟
– لسه مش عارفة، بس ما فيش أي حاجة مترتبة.
– تمام، تحبي نخرج نعمل أي حاجة طيب أحسن ما تبقي لوحدك؟
ابتسمت ياسمين لاقتراحه؛ فكم كانت تكره وحدتها، وخاصةً الآن وهي تقاوم تفكيرها في مراد وافتقادها له، فأجابت بعد لحظات تفكير في حماس:
– تمام، هنعمل إيه طيب؟
– مش عارف، هو الهدف إنك ما تقعديش لوحدك، إنما هنعمل إيه هفكر وأقول لك، ما تقلقيش مش هخطفك. أوكي؟
– خلاص أوكي.
– يلا روحي اشربي حاجة دافية كدا ونامي.
– لأ، أنا جعانة هتعشى الأول وبعدين أنام.
– جعانة بجد؟
– آه، إيه الغريب؟
دقائق مرت وكأنه يفكر في شيءٍ ما قبل أن يقول:
– طيب ياسمين، بما إنك فاضية معلش، هعطلك عن العشا بس شوية.
– لأ عادي، اتفضل.
– بصي ممكن تطلعي لي العقد بتاعي من على اللابتوب عندك وتبعتِ لي نسخة معلش على الموبايل دلوقتي؟
في ذهولٍ جاء ردها:
– دلوقتي؟

– آه، معلش.

– طيب حاضر، أجيب بس اللاب وأبعتها لك، بس اديني عشر دقايق كدا.

– لا براحتك خالص.

– حاضر.

– يلا باي.

– باي.

تشعر أن هناك شيئًا غامضًا به، وخاصةً بطلبه نسخة من العقد فجأةً هكذا، ولكنها نهضت لتُحضر حاسوبها لتبحث له عن نسخة من العقد كما طلب منها. مرَّت عليها عشر دقائق قبل أن تجد نسخة العقد المطلوبة وترسلها له، فاتصل بها بعدها مباشرةً:

– أيوة يا عمر، وصلت؟

– ياسمين، بقول لك إيه معلش.

– في إيه؟

– البسي بس وانزلي قابليني تحت البيت بعد ربع ساعة، عايز أسألك على حاجة مهمة في العقد.

في دهشةٍ عقدت حاجبيها تسأله:

– حاجة إيه؟ طيب ما تقول لي دلوقتي قلقتني، في إيه؟

– أنتِ هتتلككي؟ أنتِ قلقانة لوحدك أساسًا. يا بنتي ما فيش حاجة، البسي بس وانزلي يلا بسرعة، هي خمس دقايق هوريكِ حاجة وأمشي.

في استسلامٍ ويأسٍ من أن يخبرها على الهاتف بما يريد أجابت:

– طيب حاضر.

ارتدت ملابسها بسرعةٍ وأغلقت خلفها باب منزلها، ثم نزلت ووجدت عمر يقف مبتسمًا بالأسفل حاملًا معه شيئًا لم تتبينه، فسألته

ضاحكةً وهي تقترب منه:

– إيه اللي في إيدك دا، قنبلة دي ولا إيه؟

– آه، قنبلة بس يا رب ما تفرقع في معدتك.

ضحكت ياسمين بشدةٍ على عبارته وهي تكررها في محاولة لفهمها:

– تفرقع في معدتي؟!

– امسكي يا ياسمين، ساعة ما كلمتيني كنت بجيب كبدة وسجق علشان جعان، ولما قلتِ لي إنك جعانة أنتِ كمان قلت أكسب فيكِ ثواب وأجيب لك معايا.

اتسعت ابتسامة ياسمين كثيرًا؛ لا تصدق ما فعله هذا الرجل الواقف أمامها:

– دا بجد؟!

– آه والله، فعملت حوار العقد دا علشان بس أعطلك وما تكليش لحد ما أوصل، بس اوعي تكوني مش بتحبي الكبدة والسجق.

– لا إزاي، أنا بحبهم جدًا، وبجد كان نفسي فيهم من فترة بس طبعًا أنت عارف وَقَاري يمنعني أقف على عربية كبدة.

– وقارك آه، لأ أنا وقاري سايبني عادي على عربيات الكبدة.

ضحكت وضحك هو لضحكتها التي غابت عنها مؤخرًا، فنظرت إليه من بين ضحكاتها في امتنان وقالت في عذوبةٍ وقد عادت لمعةُ عينيها مرة أخرى:

– متشكرة أوي يا عمر، بجد فرحتني.

***

–28–

استيقظت ياسمين في اليوم التالي وهي متحمسة كطفلة ذاهبة في نزهة مع أبيها بعد انتهاء السنة الدراسية بنجاح، كانت دعوة عمر

لها للخروج سويًّا بعد ذهاب مراد لأسرة أبيه كطوق نجاةٍ أنقذها من أن تعود للغرق في وحدتها مرة أخرى في ليلة جديدة. بقيت في فراشها قليلًا وهي تفكر تُرى أين سيأخذها عمر اليوم؟ اتفقا أن تذهب لتوقف سيارتها أمام مطعمه ليذهبا معًا بسيارته بعدها، ولكنه رفض أن يخبرها إلى أين سيأخذها. ما زالت تذكر ضحكه ليلة أمس وهو يقول بإصرار:

– والله ما هقول لك هنروح فين، مش لازم الفضول بتاع الستات دا، اصبري شوية.

ضحكت وهي تتذكر ضيقها من تصميمه على ألا يُخبرها وكيف مَطَّت شفتيها في حزن مصطنع وشكرته على الطعام، لتعود بعدها إلى منزلها ويذهب هو بعد أن نجح مرة أخرى في رسم ابتسامة حقيقية على شفتيها كانت قد هجرتها منذ وقت غير قصير.

ابتسمت ياسمين وهي تترك فراشها لتأخذ حمامًا دافئًا وتُعد إفطارًا شهيًا كعادتها في صباح نهاية كل أسبوع لتتناوله مع مراد بالشرفة، ثم يجلسان بعدها لمراجعة دروسه سريعًا قبل أن يُساعدها للذهاب إلى منزل جدته حيث سيمضي ليلته بصحبة أكرم الذي ما زال لا يعلم بوجوده هناك.

ساعدت ياسمين مراد على ارتداء ملابسه بعد أن جهزت له حقيبةً بها ملابس تكفيه لليلةٍ واحدةٍ، وأخبرته أنه سيبيت عند جدته بمفرده، فابتسم في سعادة لا تخلو من دهشةٍ لعدم ذهابها معه، ولكنه ابتلع سؤاله وكأنه يعلم ما تمرُّ به ليكتفي بسعادته فقط. وقفت تلقي نظرة أخيرة إلى نفسها في مرآتها قبل أن تذهب، وكانت قد ارتدت بنطالًا أزرقَ اللون من الجينز، وعليه اختارت قميصًا ورديَ اللونِ وجمعت شعرها أعلى رأسها في بساطة وكأنها ذاهبة إلى رحلة مدرسية. ابتسمت لنفسها قبل أن تلتفت لتأخذ حقيبتها وحقيبة مراد وتذهب مع صغيرها لتبدأ يومًا لم تكن تعلم أنه سيُغيّرُ حياتها.

استقلت سيارتها بجانب صغيرها، وما إن أدارت محركها وتحركت السيارة حتى بحثت عن هاتفها لتتصل براوية التي جاء صوتها يحمل حنان أمومة حقيقي وهي تجيب:

– صباح الخير يا ياسمين.

– صباح النور يا طنط، إزي حضرتك؟

– الحمد لله يا حبيبتي، طمنيني عليكم.

– إحنا كويسين الحمد لله وفي الطريق أهو، أستأذن حضرتك بس عشر دقايق وتقابليني برًّا تاخدي مراد، علشان مش هعرف أركن.

فهمت راوية أنها لا تريد رؤية أكرم ولو صدفةً ولكنها تتجنب أن يفهم صغيرها رغبتها تلك، لذلك حدثتها أمامه حتى يفهم أنها ستتركه لجدته فور وصولها بسبب صعوبة إيجاد مكان لإيقاف سيارتها هناك. ابتسمت راوية في ألمٍ وهي تهزُّ رأسها موافقةً وكأن ياسمين تراها، قبل أن تقول:

– حاضر يا ياسمين، أنا كدا كدا بشرب الشاي في البلكونة، وأول ما توصلي هشوفك ما تقلقيش.

– متشكرة أوي يا طنط.

– العفو يا حبيبتي، توصلوا بالسلامة، واطمني الموضوع هيكون خلص بكرة إن شاء الله.

– إن شاء الله، ربنا ما يحرمني منك يا طنط.

– ولا منك يا حبيبتي، يلا مستنياكم.

– حاضر يا طنط، باي.

– مع السلامة يا روحي.

وكأنها كانت تعلم أن الطريق لن يكون مزدحمًا كعادته، فما هي إلا عشر دقائق حتى أوقفت ياسمين سيارتها أمام فيلا راوية كما أطلق عليها والد أكرم حين اشتراها منذ سنوات. وكما وعدتها منذ دقائق قليلة،

رأت ياسمين راوية تأتي مسرعةً وهي تفتح ذراعيها لحفيدها الذي ما إن رآها حتى قفز من مقعده بجانب أمه وانطلق ضاحكًا ليستقر على صدر جدته التي استقبلته بعينين دامعتين وابتسامة مرتعشة.

ابتسمت راوية لياسمين وهي تأخذ منها حقيبة مراد، وكأنها تُطمئِنُها أن كل ما تريد سيحدث كما عاهدتها، فما كان من ياسمين إلا أن ابتسمت لها بامتنان قبل أن تضمَّها وهي تشكرها ثانيةً.

– أنا متشكرة أوي يا طنط.

– وأنا آسفة أوي يا ياسمين.

عادت ياسمين إلى الخلف قليلًا في دهشةٍ مما سمعت، فكررت اعتذار راوية متسائلةً:

– آسفة؟! ليه يا طنط بتقولي كدا؟

نظرت راوية إلى مراد وانحنت قليلًا وهي تقول له بابتسامةٍ كبيرةٍ:

– مراد يا حبيبي، ادخل يلا لجدو جوًّا بسرعة، هو مستنيك من بدري ومحضر لك مفاجأة حلوة.

في سعادة طفولة حقيقية ولمعة بعينيه ورثها عن أمه أجاب الصغير فَرِحًا:

– جدو عامل لي مفاجأة؟ بجد؟

– آه يا حبيبي، ادخل يلا بسرعة شوفها جوا.

لم ينتظر ليسمع جملتها حتى آخرها، جرى مراد بحماسٍ ليعبر ذلك الباب المفتوح ويختفي داخل الفيلا سريعًا. عادت راوية تنظر إلى ياسمين التي ما زالت تنتظر في ذهول أن تعرف سبب اعتذار تلك المرأة التي عصفت بكل الصور الظالمة التي رسمت للحماة منذ قديم الزمان، تلك المرأة التي ما تمنت ياسمين يومًا منذ عرفتها أن تناديها بكلمة (ماما) إلا يوم زارتها في منزلها لتسمع منها كما سمعت من أكرم. هزَّت ياسمين رأسها لراوية وكأنها تعيد سؤالها وتذكرها أنها ما زالت تنتظر إجابة؛

فجاء صوت راوية منكسرًا وهي تقول:

– آسفة علشان دلعت ابني علشان ولد وحيد، وما عملتش حساب إني ممكن أكون بدلعي دا سبب إني أتعس واحدة مالهاش أي ذنب وتدمر حياتها، آسفة علشان ما علمتش أكرم يعني إيه مسؤولية، وما فهمتوش يعني إيه جواز ويعني إيه يبقى في ست في حياته، وإن الدنيا مش اللي هو عايزه بس ولا اللي يريحه وبس.

رفعت راوية صوتها قليلًا وهي تنظر إلى عيون ياسمين التي امتلأت بالدموع وهي تقول:

– أنا آسفة يا بنتي علشان أنا السبب في اللي أنتِ فيه، فهمتِ ليه أنا واقفة في ضهرك؟ علشان ما ينفعش أصمم على غلطي أكتر من كدا وأكابر.

بكت ياسمين وهي تسمعها دون أن تجد ما تقوله على أن يكون أكرم بجحوده سببًا في أن تعتذر مثل هذه السيدة العظيمة لمن هي في عمر أولادها، بكت وهي تتمنى لو أنها تستطيع أن تتراجع في قرارها إكرامًا لهذه الحنون التي وقفت أمامها تمسح دموعها عن وجهها وتكمل:

– عارفة يا ياسمين، أنا طلبت منك مراد يبات عندنا ليه؟

– علشان أكرم؟

– علشان أخليه يشوف إن الولد مسؤولية هو مش هيقدر عليها، عايزاه يعيش يوم معاه لوحده، علشان هو اللي يرجع في شرطه يا حبيبتي من غير ما تباني ضعيفة، ومش بظلم ابني والله بس عايزاه يعرف إن هو دا الصح. إن الولد يبقى مع مامته مش معاه، خصوصًا في ظروف سفره دي.

– يا نهاري يا طنط، إزاي فكرتِ في كل دا؟

– فكرت علشان نطلع بأقل خساير لينا كلنا، وأهم واحد يهمنا هو مراد، مالهوش ذنب يا حبيبتي.

– طبعًا يا طنط، صح.

– المهم، يلا أنا هدخل لهم دلوقتي وهكلمك الصبح أقول لك إيه الأخبار.

– خلاص تمام، وأنا كمان همشي.

– مع السلامة يا ياسمين.

– مع السلامة يا طنط.

ضمتها ياسمين بامتنانٍ حقيقيٍ قبل أن تتركها وتذهب وهي لا تصدق كيف خططت راوية لكل ذلك حتى لا تظهر ضعفها أمام أكرم، كيف حفظت لها كبرياءها أمام وحيدها؟ ابتسمت ياسمين بسعادةٍ وهي تحمدُ الله داخلها على وجود راوية بحياتها، فهي لا تعرف كيف كانت ستجتاز هذه الفترة الصعبة بحياتها لو كانت والدة أكرم امرأة سواها.

أوقفت ياسمين سيارتها أسفل منزلها لا تعرف ماذا تفعل الآن، فها هي قد تركت مراد عند جدته وعادت ولم يتصل بها عمر منذ الصباح أو يرسل رسالةً تعرف منها متى سيلتقيان. بقيت بسيارتها تفكر لدقائق قليلة ثم أمسكت هاتفها لتطلب رقمه ويأتيها صوته على الفور وكأنه كان ينتظر اتصالها أيضًا ليجيب بحماسٍ:

– ياسمين، أنتِ فين؟

ابتسمت عند شعورها أنه كان ينتظر اتصالها لتجيب بحماسٍ لا يقل عن حماسه:

– أنا وصَّلت مراد ورجعت عندي تحت البيت، وقلت أشوفك أنت فين دلوقتي.

– خلصتِ مشوار مراد؟ تمام جدًا، أنا كنت في مشوار وكنت مستنيكِ من الصبح، بس هروح على المطعم كمان ربع ساعة بالكتير، أقابلك هناك زي ما اتفقنا؟

– تمام، أقابلك هناك، بس بقول لك إيه.

– قولي.

– هو إحنا هنروح فين؟

انفجر عمر ضاحكًا لإلحاحها منذ ليلة أمس وفضولها الذي لا تستطيع السيطرة عليه فأجابها:

– تصدقي بالله، أنا ممكن ألغي الخروجة بسبب الزن دا، أنا حاسس إني مخرج بنت أخويا مش ممكن.

ضحكت بشدةٍ على انفعاله المفتعل وتشبيهه لها بطفلة لحوحة، فجاء صوتها أشد عذوبة وهي تقول وسط ضحكاتها:

– خلاص طيب، هسكت خالص وأستناك من غير ولا كلمة، أقول لك لو عايز تغمي لي عينيَّ لما نخرج علشان أرجع من غير ما أعرف ودتني فين ما فيش مشكلة.

ضحك بشدة على عبارتها الأخيرة ليقول بعدها:

– لا بجد بتضحي، يلا علشان ما أتأخرش عليكِ، اقفلي وعلى المطعم على طول، اركني لحد ما آجي لك.

– حاضر.

– ياسمين.

– أيوة يا عمر؟

– لو ركنتِ وأنا ما وصلتش ادخلي اقعدي جوا، ما تستنيش في العربية.

– حاضر، بس إشمعنى؟

– النهاردا الجمعة والدنيا هادية في المعاد دا، خصوصًا في الشوارع الجانبية، استني في المطعم أضمن، ما نعرفش الناس اللي في الشارع دول مين.

ابتسمت لاهتمامه بأمانها وخوفه عليها لتقول في طاعة:

– حاضر يا عمر. يلا ما تتأخرش.

– لا ما تقلقيش، دقايق وأبقى هناك. باي.
– باي يا عمر.
كما طلب منها وكما وعدته، أوقفت ياسمين سيارتها أمام مطعمه وتركتها لتنتظره بالداخل حتى رأته يدخل من الباب بعد عشر دقائق يبحث عنها بنظراته، حتى وجدها تجلس بمفردها على إحدى الطاولات في زاوية بعيدة، فرفع يده يحييها من مكانه قبل أن يعطي مفاتيح سيارته لأحد العاملين بالمطعم ويطلب منه شيئًا لم تسمعه من مكانها، ويتجه بعدها حيث تجلس هي ليقول مُرَحِّبًا بها في حماس واضح:
– أهلًا أهلًا، إزيك يا ياسمين؟ وآسف جدًا على التأخير.
– إزيك يا عمر؟ لأ خالص، أنت جيت في معادك زي ما قلت لي في التليفون.
– طيب الحمد لله، عاملة إيه؟
قبل أن تُجيبه ظهر العامل الذي أعطاه مفاتيح سيارته عند وصوله وهو يحمل أكياسًا كثيرةً ويقف منتظرًا تعليمات عمر الذي نظر إليه وهو يضحك قائلًا:
– طيب إيه؟ هناكلهم بالأكياس كدا يا أحمد ولا إيه؟
ضحك العامل بإحراجٍ ليكمل عمر بنفس ابتسامته وطريقته البسيطة:
– يعني مطبخك وأطباقك واعتبرنا زباين يعني.
– من عينيا يا عمر بيه.
– تسلم عينيك، بس بسرعة يا أحمد، الله يكرمك.
– حالًا يا فندم.
حمل أحمد الأكياس ثانية واختفى داخل مطبخ المطعم، فنظرت ياسمين إلى عمر في دهشةٍ واضحةٍ وعيناها تسأله عمّا حدث منذ لحظات ليضحك قائلًا:

– طبعًا هتموتي وتسأليني، بصي يا ستي، أنا كل يوم جمعة باخد أمي ونروح نزور خالتي الوحيدة علشان هي تعبانة ومش بتقدر تنزل، فأمي لازم تزورها كل جمعة، وأنا طبعًا اللي بوديها، وبصراحة مش مغصوب يعني، أنا بحب فكرة لمّة العيلة وحكاياتهم بتاعة زمان والجو دا جدًا، ولولا إني نازل معاكِ النهاردا كنت هقضي باقي اليوم معاهم زي كل أسبوع، المهم لما جيت أنزل خالتي فضلت تحلف إني مش هنزل غير لما أتغدى وهي الحقيقة أكلها ما فيش زيه، يجنن يا ياسمين.

– فاتغديت.

– بجد اتغديت؟ طيب وجيت ولا لسه؟ احكي لي.

ضحكت بخجلٍ من تسرعها في الاستنتاج ليكمل هو:

– لا ما رضتش طبعًا علشان متفق معاكِ، هتغدى إزاي يعني؟!

– أيوة بس إحنا مش متفقين على غدا مع بعض، عادي لو كنت اتغديت.

– مش متفقين صح، بس يعني لما تبقي نزلتِ مثلا على تلاتة توصلي ابنك وكلمتيني الساعة أربعة فأكيد ما اتغدتيش، مش محتاجة ذكاء مني خالص.

– أنا أحرجتك يعني.

– ولا أي إحراج، الفكرة إني قلت لها: «خلاص، ما دام مصممة اديني الغدا بتاعي تيك أواي علشان عندي معاد مهم، ويبقي كرم منك لو عملتِ حساب حد تاني معايا علشان أكيد مش هقعد أتغدى قدام الناس لوحدي».

– يا نهار أبيض!

– يا نهار أبيض على إيه يا ياسمين بس؟ أولًا هي فعلًا قلة ذوق إني آكل لوحدي هناك أو هنا وأنا متفق معاكِ إننا نخرج، ثانيا بقى ودا الأهم إني عايز أدوقك ورق العنب بتاع طنط صفاء خالتي دي. تحفة بجد،

أتحداكِ تكوني دُقتِ زيه في حياتك.

كانت ياسمين تسمعه وهي مبتسمةٌ، لا تصدق أنه أحضر لها طعامًا معه من عند خالته، فقالت وهي تضحك:

– أنت غريب جدًا بجد، واخد الدنيا ببساطة تجنن.

– علشان هي كدا فعلًا، جربي خديها ببساطة كدا هتلاقيها أحلى بكتير.

في اللحظة التي قال فيها عبارته الأخيرة ظهر أحمد مرةً أخرى يحمل أطباقًا كثيرةً ليضعها أمامها على الطاولة قبل أن يختفي ثانية بالمطبخ ليعود بأطباق أخرى ويختفي بعدها. نظر عمر إلى الأطباق الموضوعة أمامها يبحث عن طبق ما حتى وجده ليمسكه ويمد يده لها قائلًا:

– دوقي بقى وقولي لي رأيك بصراحة.

– شكله فظيع أصلًا.

– ما تتسرعيش بس، يلا دوقي.

أخذت ياسمين واحدة بشوكتها لتتذوقها ولكن ما إن فعلت حتى أغمضت عينيها في تلذذٍ وتقول بعدها:

– تحفة يا عمر!

– شُفتِ.

– لأ بجد تحفة، أنت مش متخيل حلو إزاي.

– لأ متخيل جدًا، المهم إنه عجبك.

– جدًا، بجد شكرًا إنك جبته معاك.

– عرفتِ إن كان عندي حق أبقى عايز أدوقك منه. يلا كلي بقى، دوقي الملوخية كمان، هتعجبك أوي.

– هاكل طبعًا، شاطرة أوي طنط صفاء دي.

– جدًا بجد.

لم تأكل ياسمين بهذه الشهية منذ شهور كثيرة، لا تعرف سر

سعادتها بما فعله، ولكن يكفيها أنها سعيدة وما عادت وحدها في وجود عمر.

ما إن انتهيا من تناول طعامهما حتى سألها بحماسٍ لم يقل منذ رأته:

– بتحبي السينما؟

– آه أوي.

– طيب في فيلم لجوليا حلو أوي، أنا دخلته من يومين وعجبني بس ما عنديش مانع أدخله تاني معاكِ، تحبي نروح؟

شعرت في تلك اللحظة وكأنه يريد مشاركتها كل شيء، فقد رفض أن يتناول طعامه بدونها، وها هو لا يمانع مشاهدة فيلمٍ للمرة الثانية حتى تشاهده معه. تورَّدت وجنتاها ليزداد جمالها وهي لا تدري بمَ تجيبه، فاندفع هو قائلًا:

– بصي براحتك، لو مش حابَّة ممكن نفكر في أي حاجة تانية نعملها، ما عنديش أي مشكلة، أنا معاكِ في اللي تختاريه المهم تبقي مبسوطة.

– لا لا، نروح الفيلم، أنا بقى لي سنين ما دخلتش سينما.

– خلاص تمام جدًا، أنا بس لازم بشرب شاي بعد الغدا، موظف أوي في نفسي مش كدا؟

ضحكت بشدة على سخريته من نفسه لتقول:

– لا خالص، أنا كمان بحب الشاي بعد الغدا. موظفة برده.

ضحك بسعادة قبل أن يسألها:

– بنعناع؟

– بنعناع آه.

أشار بعدها إلى النادل الذي كان يقف قريبًا وكأنه ينتظر تعليماته ليقول له:

– اتنين شاي بنعناع بس بسرعة.

– من عينيَّ يا فندم.

جلست ياسمين بجانب عمر في سيارته بعد أن شربا الشاي سويًّا ليذهبا إلى السينما حتى يشاهدا ذلك الفيلم الذي شاهده عمر منذ أيام. أدار عمر محرك سيارته، وما كاد يفعل حتى علا صوت ام كلثوم وهي تشدو قائلةً:

«أهرب من قلبي أروح على فين؟

ليالينا الحلوة في كل مكان،

مليناها حب إحنا الاتنين،

وملينا الدنيا أمل.. أمل».

ابتسم عمر قبل أن يخفضَ الصوت وهو يقول لياسمين التي تغيّرت ملامحها فور سماعها الأغنية:

– ماما بتحب أم كلثوم أوي علشان بتفكرها ببابا، تخيلي ما كانتش بتحبها وهو عايش، بس علشان هو كان بيحب يسمعها كانت بتقعد تسمعها معاه وهي مبسوطة، وحبتها بعد ما مات الله يرحمه.

كانت تسمعه بتركيزٍ حقيقيٍ وقد عادت الدموع تظهر بعينيها وهي تقول له:

– بابا كمان كان بيحبها وبيحب يسمعها، وكنت بقعد أسمعها معاه، بس من يوم ما مات بطلت أسمعها غير قليل أوي لما أبقى متضايقة وهو واحشني.

– عارفة يا ياسمين، موضوع أم كلثوم دا خلاني ركزت في حاجة مهمة جدًا، مش مهم كل اتنين متجوزين يبقوا بيحبوا نفس الحاجات، بس الأهم يبقوا بيحترموا اختيارات بعض. يعني أمي رغم عدم حبها لأم كلثوم عمرها ما قامت من جنب أبويا وهو مشغلها، عمرها ما اتأففت ولا مثلًا بينت له إنها متضايقة وهي بتسمعها معاه.

ابتسمت ياسمين وهي تسمعه، فلأول مرة تشعر أنها ترى عمر من

داخله؛ فالإنسان يكون أوضح عندما تعرف أسرته وبيته الذي نشأ به.

– دوشتك معلش.

– لا بالعكس، بقول لك طنط بتسمع عبد الحليم ولا مافيش؟

– قولي بس عايزة تسمعي إيه؟

– عندك أعز الناس؟

صمت دقائق يبحث في هاتفه قبل أن يعلو صوت عبد الحليم مُغَنِّيًا:

«على طول الحياة

نقابل ناس ونعرف ناس،

ونرتاح ويَّا ناس عن ناس».

أدارت ياسمين وجهها باتجاه نافذتها تنظر بعيدًا وهي تستمع لكلمات الأغنية، وقد بدأت علامات التأثر في الظهور على ملامحها قبل أن تبدأ دموعها في الانهمار على وجهها عند المقطع:

«حبيب قلبي وروح قلبي، حياة قلبي،

يا أغلى الناس، يا أحلى الناس، يا كل الناس».

لم تشعر وهو يوقف سيارته على جانب الطريق ويوقف الأغنية ليسألها:

– أونكل كان بيغنيها لك؟

– عرفت إزاي؟

– بديهي يا ياسمين.

مسحت دموعها وهي تنظر إليه في ضعفٍ قبل أن تقول:

– عارف يا عمر، بابا دا كان أحلى حاجة في حياتي. كان محسسني إني فوق العالم دا كله، عمر ما حد فهمني ولا دلعني زيه، وعمري ما ارتحت في الكلام مع حد بعده، أنا اكتشفت إن مشكلتي الحقيقية إني فقدت الأمان بعده، وللأسف أكرم ما عوضنيش عن غيابه زي ما كنت

فاكرة.

ظلَّ ناظرًا إليها يسمعها باهتمامٍ حقيقيٍ، وقد انتابه نفس الشعور الذي أحسَّت هي به منذ قليل، فهو يراها لأول مرةٍ بطريقة مختلفة، يرى ياسمين الخائفة الوحيدة التي فقدت أمانها بفقدانها الأب، لا يدري لمَ تمنى لو يستطيع أن يضمّها لتطمئن قليلًا ولكنه يعرف ألّا سبيل لذلك وإلا فقدها للأبد.

– مشكلتي إني كبرت مع راجل عودني على الاحترام والاهتمام وحاجات كتير ما لقيتهاش برا العالم بتاعه.

– فاهمك يا ياسمين، بس صدقيني الحاجات دي موجودة، بس أنتِ كان اختيارك غلط.

مسحت دموعها وهي تحاول أن تبتسم قبل أن تقول:

– يمكن. المهم يلا بينا علشان نلحق السينما، معلش نكدت عليك.

– بلاش عبط، أنا مبسوط إنك اتكلمتِ.

أدار محرك السيارة مرةً أخرى وعاد صوت العندليب يغردُ وكأنه يطمئنها هو الآخر:

«لسه مشوار الحياة شايل لنا وقفات،
معالم في طريق الحب أحلى كتير من اللي فات،
من اللي فات...»

***

–29–

أمام أحد المراكز التجارية الشهيرة أوقف عمر سيارته قبل أن يهبط منها ويدور حولها نصف دائرة ليفتح الباب لياسمين التي نظرت إليه في دهشةٍ وهي تهبط منها قائلةً:

– ميرسي.

– على إيه؟ أنا لقيتك متأخرة قلت أستعجلك بس.

ضحكت بخجلٍ قبل أن تجيب:

– لأ خالص، أنا بس كنت بدور على موبايلي في الشنطة، تايه كالعادة.

– ياسمين، أنا بهزر. أستعجلك على إيه يعني؟ إحنا بنتفسح ما فيش حاجة ورانا.

ابتسمت له قبل أن تسير بجانبه ليعبرا باب المركز التجاري باتجاه السينما ليشاهدا فيلمًا اختاره هو، وانصاعت هي لاختياره دون أن تسأل عن عنوانه أو قصته، فقط ودون أن تعرف السبب وثقت في اختياره لها.

وقفت ياسمين بعيدًا قليلًا تنقل نظراتها بين عمر الذي وقف أمام نافذة التذاكر ليحضر تذكرتي الدخول لهما وبين إعلان الفيلم المُعلَّق فوق النافذة، والذي جذبها عنوانه عند رؤيته للوهلة الأولى (Eat Pray Love)، شعرت وكأن عنوان الفيلم يحتوي على رسالةٍ مختصرةٍ تؤكد أن كل ما يحتاجه الإنسان للحياة هو غذاء الجسد المتمثل في الطعام، وغذاء الروح المتمثل في الصلاة والتقرب إلى الله، والحب الذي لا يقل أهمية عن الطعام؛ فلكليهما جهاز مناعي يعملان على تقويته.

انتبهت ياسمين من شرودها على صوت عمر يناديها من أمام نافذة التذاكر:

– ياسمين.

– أيوة يا عمر.

ذهبت لتقف بجانبه بعد أن أشار إليها أن تفعل، فسألها وهو يشير للشاشة الموضوعة أمامه لتختار مكان جلوسهما داخل السينما، ابتسمت وهي تنظر إليه وكيف يهتم هو بمشاركتها في التفاصيل. وقفت بجانبه لدقائق قليلة يتناقشان أين يجلسان بالداخل قبل أن يستقرا على مقعدين على طرف أحد الصفوف، مبررًا بأن ذلك يسمح له بعدم

جلوس أحدٍ بجانبها إن كان من يجلس على المقعد المجاور لهما رجلًا والعكس إن كانت امرأة.

جلست ياسمين بجانبه تشاهد الفيلم الذي بدأ عرضه فور دخولهما القاعة، ووجدت أن قصته تدور حول امرأة تكتشف بعد زواج دام لسنوات أنها لا تشعر بالسعادة مع زوج لا يجمعها به سوى ذلك العقد الذي قررت أن تسعى لإلغائه بسعيها للطلاق. جذبت القصة ياسمين بشدة؛ خاصةً وأن تلك السيدة بعد حصولها على الطلاق قررت أن تسافر لبلادٍ لم ترها من قبل، مما أتاح لها فرصةً لاكتشاف نفسها مرة أخرى بعد أن أصبح لها أصدقاء جدد في إيطاليا، وبحثت عن ذاتها في الهند لتجد حبها أخيرًا في جزيرة بالي.

ما إن انتهى الفيلم حتى ابتسمت ياسمين وهي تنظر إلى عمر الذي عرفت الآن لمَ أرادها أن تشاهد ذلك الفيلم، وكأنه أراد إرسال رسالة لها بأن هناك الكثير لتفعله بعد طلاقها، فلا داعي للخوف والقلق. ابتسم لها عمر بدوره قبل أن يسألها:

– عجبك؟

– جدًا بجد، وفهمت قصدك كمان.

– عظيم، دا المهم. أنا حاسس إنك خايفة من قرار الطلاق رغم إنك مش مستعدة ترجعي فيه، فلما شُفته حسيت إنك محتاجة تشوفيه أنتِ كمان علشان بس تطمني وتحسي إن الدنيا مش ضلمة أوي قدام.

– متشكرة بجد يا عمر.

وكأنه انتبه لشيءٍ فجأة نظر إليها وهو يتحرك بحماس قائلًا:

– طيب ما دام عجبتك القصة تعالي نعدي أجيب حاجة بسرعة من (Virgin Megastore).

– طيب يلا، بس هتجيب إيه له علاقة بالفيلم من (Virgin)؟

– تعالي بس واستني هتعرفي، قولي لي بس بتحبي القراية؟

– آه جدًا.

قالت جملتها الأخيرة وكانا قد وصلا أمام المتجر المنشود، فدخل عمر مسرعًا بحماسٍ باتجاه أرفف الكتب يبحث عن كتاب سرعان ما وجده، ثم ذهب ليشتريه قبل أن يعود لها مادًّا يده به قائلًا:

– اتفضلي يا ياسمين.

في ذهول أجابت:

– إيه دا؟

– دي القصة اللي اتعمل عليها الفيلم، اقرأيها هتعجبك، وليها متعة غير الفيلم.

– أنت بتهزر يا عمر؟

– ليه؟ مش الفيلم عجبك وأنتِ بتحبي القراية؟ يبقى اتفضلي الكتاب خليه عندك علشان كل ما تلاقي نفسك قلقانة اقرأيه أو اتفرجي على الفيلم.

زادت ابتسامتها اتساعًا وعذوبةً قبل أن تقول:

– متشكرة أوي يا عمر بجد.

– على إيه يا ياسمين بجد؟ المهم إنه عجبك وإنك مبسوطة، دا المهم.

مرةً ثانيةً سارت بجانبه وقد ظلت ابتسامتها لا تفارق وجهها طوال الوقت معه، فهو يعرف كيف يشعرها بالسعادة دائمًا وكيف يهتم بها حقًا. عادا سويًّا إلى سيارته بعد أن اعتذرت عن دعوته على العشاء بعد السينما؛ فقد كانت لا تشعر بالجوع منذ تناولا الطعام بمطعمه سويًّا، وما إن جلست بجانبه في سيارته حتى سألها باهتمامٍ حقيقيٍ:

– نفسك تروحي فين طيب بما إنك مش قادرة تاكلي؟

– ما فيش حاجة في دماغي بصراحة.

– طيب فكري كدا.

– استني بس، أنت مش المفروض هترجع تاخد طنط من عند خالتك؟

عقد حاجبيه وهو يحاول معرفة مدى ارتباط سؤالها بسؤاله السابق، فأجاب:

– المفروض آه.

– طيب يبقى نرجع المطعم آخد عربيتي، وأنت تروح تجيب طنط كفاية عليك كدا، لسه هترجعوا أكتوبر.

لا يريد أن يتركها أو أن ينتهي يومه معها الآن، ولكنه يعرف جيدًا أنه لا يجب أن يظهر مشاعره لها واهتمامه بها أكثر من ذلك خوفًا من أن تشعر به ويفقدها للأبد، ظل ينظر إليها في صمتٍ وكأنه يفكر فيما قالت، ثم أجابها بترددٍ:

– تمام، بس نشرب حاجة عندي قبل ما تمشي بما إنك مش راضية تتعشي، اتفقنا؟

– خلاص اتفقنا.

أدار عمر محرك سيارته، وعاد عبد الحليم يشدو من جديد:

«ابعت لي سلام، قول أي كلام، من قلبك أو من ورا قلبك،

مش يبقى حرام، أسهر وتنام، وتفوتني أقاسي نار حبك».

أمام مطعمه، وقف عمر يودع ياسمين التي استقلت سيارتها بعد أن شربا قهوتهما سويًّا بمطعمه، واسترجع كل منهما بعضًا من ذكريات الطفولة ليقصَّها على الآخر. ضحكت ياسمين كثيرًا على نكاته وسخريته من نفسه في طفولته، وكيف كان طفلًا «مقلبظ» كما أطلق على نفسه، لا يشغل باله سوى الطعام والنوم، حتى انقلب حاله في المرحلة الثانوية وأصبح مهتمًا أكثر بالرياضة وتنظيم وقته، فتغيَّر حاله كُليًّا بعدها. وحكت هي له عن طفولتها في تركيا، وكيف كانت طفلة أبيها المدللة التي لا يردُّ لها طلبًا، وكيف كان يجلس بالساعات يسمع منها حكاياتٍ عن

زميلاتها بالمدرسة حتى تنام بين ذراعيه متعبةً.

روت له كيف أحبت أم كلثوم وعبد الحليم منذ صغرها لحبه لهما، وكيف أصبحت لا تسمع أغانيهما كثيرًا بعد وفاته هربًا من ذلك الألم الذي يعتصر قلبها كلما استرجعت جلساتهما سويًّا. روت ياسمين له الكثير عن حياتها قديمًا وساعدها على ذلك معرفته السابقة بأسرتها، فكانت تشعر وكأنها تجلس مع أحد أقاربها الذي يشاركها ذكرياتها حبًا في معرفة المزيد عن أسرتها.

عادت ياسمين إلى منزلها بعد أن أمضت يومًا لا تذكر أنها عاشت مثله منذ سنوات، فعُمَر ورغم معرفته القصيرة بها عن قرب إلا أنه عرف كيف يُسعدها تمامًا وكيف يهتم بتفاصيلها. عادت وما إن أغلقت خلفها باب منزلها حتى أخرجت هاتفها من حقيبتها لترسل رسالة لعمر كما طلب منها قبل رحيلها:

«أنا وصلت البيت يا عمر، وبجد مش عارفة أشكرك إزاي، فعلًا كان يوم حلو أوي واتبسطت أوي أوي. الفيلم يجنن وميرسي على الكتاب، بس الأهم منهم والأحلى ميرسي جدًا على ورق العنب، اشكر لي طنط صفاء لو ينفع، ومتشكرة تاني على اليوم الجميل دا».

أرسلت له الرسالة وتركت هاتفها لتأخذ حمامًا دافئًا قبل أن تأخذ كتابها الجديد وتجلس بشرفتها لتبدأ قراءته. ما إن جلست بشرفتها حتى رنَّ هاتفها فتذهب مسرعةً تبحث عنه وتجد اسم دينا على شاشته، شعرت ياسمين بالحرج؛ فهي من كانت يجب أن تتصل بدينا لتطمئن على صغيرها، كيف نَسِيَتْ تمامًا أن تفعل منذ أمس؟ جاء صوتها مترددًا وهي تجيب:

– ألو.

– أيوة يا ياسمين، أنتِ فين يا بنتي؟

– أنا آسفة والله يا دينا، حقك فعلًا تزعلي مني بس مش عارفة إزاي

انشغلت كدا.

– يا بنتي أزعل من إيه بس؟ هو أنتِ صحيح ندلة بس معلش أنا عارفة ظروفك، المهم طمنيني أنتِ كويسة؟ أنا قلقت عليكِ والله.

– آه الحمد لله، أنا تمام. طمنيني أنتِ عليكِ وعلى الحلوين.

– كلنا تمام الحمد لله، والدنيا اتحسنت كتير عن الأول.

– طيب الحمد لله يا حبيبتي.

– أنتِ أخبارك إيه؟

– مافيش، أكرم نزل إجازة زي ما قلت لك يوم الخميس في التليفون، وطنط راوية جات لي اتكلمت معايا يومها بالليل، والحمد لله زي عادتها سِت ما فيش زيها، فهمتني ووعدتني هتساعدني، وفعلًا النهاردا وأنا بوصل مراد عندهم قالت لي إن الموضوع هيخلص وماقلقش وبس.

– مراد عندهم؟! ليه؟

– عادي، علشان يشوف باباه، وتقريبًا هي عايزة تتأكد إني مش همنعه عنهم، وبتقول لي علشان تخلي أكرم يحس بمسؤوليته، وإن موضوع إنه ياخد الولد دا مش سهل ولا هيقدر عليه.

– مممم، يمكن. وإيه كمان؟

بخبثٍ وضحكةٍ خجولةٍ جاء صوت ياسمين وهي تسألها:

– إيه كمان إيه؟

– إيه كمان حصل؟ حاسّة في صوتك إن في حاجة عايزة تحكيها.

ضحكت ياسمين قبل أن تقول:

– يا نهارك أبيض يا دينا، على طول فاهماني حتى وأنا مش قدامك.

– طبعًا يا بنتي، دا أنتِ عشرة سنين. المهم احكي لي، في إيه؟

– ما فيش حاجة ما تتخضيش، أنا بس خرجت مع عمر النهاردا ولسه راجعة.

قاطعتها دينا باندهاش:

– عمر؟!
– آه، لما عرف إن مراد رايح عند طنط النهاردا اقترح إننا نخرج بعدها علشان ماقعدش لوحدي بس.
– لأ ياسمين، معلش واحدة واحدة، هو عمر عرف منين الحوارات دي كلها؟
– أنا حكيت له يا دينا.
– تمام، وبعدين؟
– وبعدين إيه؟ ما أنا بقول لك أهو، قال لي تعالي نخرج.
– تمام. روحتوا فين طيب؟
ابتسمت ياسمين وروت لها ما حدث منذ قابلت عمر في مطعمه وتناولا طعامهما سويًّا، حتى وقف ليودعها وهي تستقل سيارتها بعد أن عادا من السينما. ظلت دينا تسمعها بصمتٍ حتى قالت:
– بس يا ستي، ورجعت البيت من ساعة، بس فعلًا كنت محتاجة يوم زي دا من زمان.
– اتبسطتِ؟
– جدًا يا دينا، أنتِ مش متخيلة إزاي.
– طيب وإيه النظام يا ياسو؟
– نظام إيه؟
– عمر؟
– مش فاهمة، قصدك إيه؟
– يعني أنا شايفاه جدع ولذيذ ووسيم بصراحة، وحاسّاه مهتم هو كمان.
علي الرغم من شعورها باهتمامه اليوم إلا أن كلمات دينا فاجأتها، فنظرت بعيدًا وقد بدأت تشعر ببعض الضيق الذي ظهر بصوتها وهي تقول:

– مهتم إزاي يعني يا دينا؟!

– بصي يا ياسمين، أنا بصراحة كنت شاكّة فيه من ساعة الدونتس، بس قلت يمكن تكون دي طريقته مع صحابه، بس اهتمامه إنك ما تبقيش لوحدك ويجي يخرجك، ويركز إنك تشوفي فيلم دخله وعجبه، ويسيب مامته عند خالته ويجيب لك أكل معاه من عند قرايبه، وكتاب بعد الفيلم، يعني بصراحة دي مش حركات اهتمام أصحاب عاديين، ولا أنتِ إيه رأيك؟

شعرت ياسمين وكأن دينا قد ألقت أمامها كل ما كانت تحاول تجاهله طوال يومها مع عمر، فمن قال إنها لم تشعر باهتمامه واختلاف أسلوبه معها عن أسلوبه مع سواها، وهي قد رأت تعامله مع دينا بنفسها ولاحظت رقته معها هي تحديدًا دون غيرها؟ من قال إن اهتمامه أن تشاهد فيلمًا شاهده هو قبلها لم يُثِرْ فضولها ويلفت نظرها؟ انتبهت من أفكارها على صوت دينا تقول:

– رحتِ فين يا ياسمين؟

– أنا هنا، بس بفكر في كلامك. تفتكري معقول يكون عمر معجب بيَّ مثلًا؟

– معجب بيكِ؟! معجب بيكِ إيه يا ياسمين، دا بيحبك أكيد.

– يا بنتي بيحبني إيه بس.

– طيب أنا أهو وأنتِ أهو وهتشوفي إنه بيحبك يا ياسمين.

– طيب وبعدين يا دينا؟

– وبعدين إيه؟ ما أكرم في طريقه للاختفاء، ومراد الحمد لله ظهر على حقيقته خلاص، يبقى وبعدين في إيه؟

– إيه علاقة دا باللي أنا بقوله يا دينا؟ أنا آه هتطلق، وأه قفلت موضوع مراد دا خلاص، بس مين قال إني مستعدة لعلاقة جديدة؟ مين قال إني قادرة أدخل في قصة جديدة دلوقتي؟

– وليه لأ يا ياسمين؟! وبعدين عمر فعلًا إنسان محترم، وعلى قد معرفتي بيه راجل عاقل وصريح مع نفسه جدًا.

– مش معترضة خالص، هو فعلًا محترم وعاقل وصريح مع نفسه، وعارف هو عايز إيه، بس المشكلة فيَّ أنا يا دينا، مش فيه.

– لأ مش فاهمة.

– أنا حاسّة إني متلخبطة أوي، لسه مصدومة في مراد اللي لحد دلوقتي بدمّع لما بفتكره، وحتة في قلبي كدا بتوجعني وبيوحشها بس رغم كدا عمري ما هفتح الباب دا تاني، وداخلة في تجربة طلاق ماعرفش لمّا أطلع منها هبقى عاملة إزاي، ولّا هستعيد توازني تاني إمتى أساسًا.

– ما هو علشان كل دا أنا شايفة إن عمر هيساعدك ترجعي نفسك تاني، ووجوده جنبك في الفترة دي هيبقى نعمة.

– طيب وهو؟ افرضي ما حبيتوش، هو ذنبه إيه؟ لأ يا دينا، أنا ما ينفعش أبدًا قصة جديدة وأنا لسه مش موزونة ولا عارفة أنا عايزة إيه، وخصوصًا لو مع واحد محترم زي عمر كدا، ما ينفعش أجرحه خالص.

– ياسمين.

– نعم؟

– أنتِ لسه بتحنّي لمراد؟ من جواكِ عايزة ترجعي له بعد الطلاق؟

– لسه بحن له؟ شوية مش هنكر، لكن أرجع له لأ، مستحيل يا دينا. مراد وجعني بجد وعن عمد وبأنانية رهيبة منه، يبقى إزاي أرجع له؟! بس كل قصة حب بتاخد وقت علشان تبقى مجرد ذكرى في القلب ما بتأثرش فينا، وأنا لسه ما وصلتش للمرحلة دي. ومش ناوية أبدًا أي حاجة جديدة غير لمّا أحس إني عديت قصة مراد دي خالص.

– أُمَّال ليه مستعجلة على الطلاق طيب؟

– علشان أنا مش خاينة ولا عمري هبقى خاينة، أنا اكتشفت إني ست مش قادرة تستغنى عن الحب في حياتها، وأكرم مش موفر لي دا،

فعايزة آخد حريتي أحب أو ما أحبش براحتي، من غير ما أضر حد ولا أضر نفسي. فهماني؟

– ممممم، فهمتك يا ياسمين، بس فكري تاني في حوار عمر دا علشان أنا شايفة إنه فعلًا يستاهل، ومين عارف، يمكن يكون دا عوض ربنا ليكِ عن كل اللي فات.

– يمكن، عمومًا كل حاجة هتيجي في وقتها.

لاحظت ياسمين شاشة هاتفها تضيئ فوجدت عمر يتصل بها، فابتسمت وهي تكمل:

– عمر بيتصل.

– دلوقتي؟! مش بقول لك يا شركسي، طيب خلاص ردي عليه وأنا كمان هروح أنام وأبقى أكلمك الصبح.

– يا بنتي عادي، استني نكمل كلامنا وبعدين أكلمه ما فيهاش حاجة.

– لا والله أنا كمان هلكانة من الصبح مع الولاد فمش قادرة، هموت وأنام، يلا ردي عليه ونكمل بكرة. تصبحي على خير يا ياسو.

– خلاص أوكي يا حبيبتي، وأنتِ من أهله يا دينا.

أغلقت دينا الخط لتتيح لياسمين استقبال اتصال عمر الذي ما إن أجابته قائلةً:

– أيوة يا عمر.

حتى أتى صوته مترددًا قليلًا يقول وكأنه يعتذر:

– أنا بتصل في وقت مش مناسب؟ أنا آسف.

– آسف على إيه؟ لأ خالص، أنا كنت بتكلم مع دينا وخلاص قفلنا، روّحت؟

– آه من شوية، واطمنت على ماما إنها نامت ونزلت شقتي.

– شقتك؟! أنت مش عايش مع طنط؟

– لأ، الحقيقة عايش في شقة في نفس العمارة بس كل واحد لوحده.

– طيب ليه؟ على فكرة لو مش حابب ترد براحتك.

– لا عادي، مش حابب ليه يا بنتي؟ أنتِ آه فضولية بس عادي هستحملك. الفكرة بس إن بعد الطلاق الواحد بيبقى صعب يرجع تاني يعيش مع أهله بعد ما جرب عيشة الاستقلال، وخصوصًا إني برده يعتبر عايش معاها مش في حتة بعيد. ففضّلت أفضل في شقتي وهي في شقتها، بس طول الوقت مع بعض عادي.

– حلو جدًا، بس أنا لو أهلي كانوا لسه موجودين كان هيبقى نفسي أرجع لهم أوي. يمكن الستات غيركم شوية، الله أعلم.

– مش عارف يمكن، ويمكن هي حسب الشخصية نفسها واستعدادها، الله أعلم. المهم بتعملي إيه؟

ها هو مرة أخرى يعود ليثبت لها اهتمامه بتفاصيلها التي لم يحاول معرفتها أحدٌ سواه من قبل حتى مراد، كانت هي من تحكي له كل ما له علاقة بها دون أن يسألها. أفاقت من شرودها لتجده صامتًا ينتظر إجابتها فشعرت بالحرجٍ وهي تجيبه قائلةً:

– ولا حاجة، كنت لسه هبدأ في الكتاب اللي جبناه لما دينا كلمتني، وبعدين أنت اتصلت وقاعدة في البلكونة بكلمك.

– طيب ليكِ في مسلسلات زمان؟

– على حسب، قول.

– طيب قومي افتحي التليفزيون نتفرج على بكيزة وزغلول سوا.

لا تفشل أبدًا محاولاته في رسم الابتسامة على وجهها، فكأنما يعرفها منذ سنوات طويلة ويعرف كيف يسعدها دائمًا. اتسعت ابتسامتها كثيرًا وهي تسمع عبارته الأخيرة قبل أن يأتي صوتها وكأنها على وشك أن تقفز فرحًا كالأطفال:

– إيه دا، الله! أنت بتتفرج عليها دلوقتي؟

– آه، وقلت أكلمك لو لسه صاحية نتفرج سوا.

– يا سلام، آه طبعًا. ثواني أشغل التليفزيون ونتفرج طبعًا، دا أنا بموت فيها.

قفزت ياسمين عن مقعدها لتترك شرفتها أخيرًا وتذهب لمشاهدة مسلسل طفولتها المفضل بصحبة عمر الذي شعرت وكأنه معها برغم بعد المسافة بينهما. قضت ياسمين وعمر ليلتهما يشاهدان التلفاز سويًّا ويتقاسمان الضحك ويسترجعان ذكريات الطفولة، فتكتشف أنها أبدًا ما شاركت أحدًا يومها كما فعلت مع عمر اليوم، حتى مراد الذي ظنت حتى وقت قريب أنه حب حياتها الحقيقي لم يهتم بمشاركتها يومها طوال سنوات علاقتهما كما فعل عمر معها. شعرت بسعادةٍ حقيقية بعد أن أغلقت الخط معه بعد انتهاء الحلقات، وقد ضحكا كثيرًا سويًّا، ولأول مرة منذ شهور كثيرة تضع رأسها على وسادتها وتنام مباشرةً بعدها وعلى وجهها ما زالت تلك الابتسامة التي ما فارقتها منذ قابلت عمر عصر اليوم.

***

–30–

أمام فنجان قهوته جلس عمر بمطعمه صباح اليوم التالي يمسك هاتفه وهو يفكر أيتصل بها أم ينتظر خوفًا من أن يفضح اهتمامه بها مشاعره نحوها؟ جلس يستعيد يوم أمس معها وكيف انتظر يومًا كهذا منذ سنوات، كيف تمنى أن تجمعه معها بضع ساعات يسمع فيها صوتها وهو ينظر إلى عينيها التي طالما عشقها.

ما زال يتذكر كيف اتفق هو ونوران منذ عامين على السفر إلى تركيا لقضاء بعض الوقت هناك في محاولة منهما لإنقاذ زواجهما الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وقتها. سافرا سويًّا على أمل أن تنجح تلك العطلة في الإبقاء على علاقتهما التي كانت تنهار، ولكن ما إن رأى ياسمين

هناك حتى تأكد أن نوران لم يعد لها مكانٌ بقلبه بعد ذلك اليوم، فعلى الرغم من معرفته السابقة بياسمين إلا أن انقطاعه عن السفر إلى تركيا لسنوات وعدم زيارته لأسرتها هناك حال دون رؤيته لها لوقت غير قصير. اكتشف عمر عند رؤيتها أنها لم تعد تلك الفتاة المراهقة الصغيرة التي رآها من قبل، أصبحت ياسمين امرأة فائقة الجمال، ولكن ما جذبه لها حقًا هو نضجها الذي شعر به في علاقتها بزوجها.

لم تنجح محاولات ياسمين آنذاك في إقناعه أنها تحيا حياةً سعيدةً، أو أن هناك تناغمًا بينها وبين أكرم، فعيناها تشعان تعاسةً وحزنًا طوال الوقت. لم تخدعه طريقتها العذبة مع زوجها، وشعر بغصّة في قلبه وهو يراها تحاول إخفاء ما تعانيه عمّن حولها، بل والأكثر من ذلك أنها كانت تحاول أن تُقنع من يراها أنها زوجةٌ سعيدةٌ تحيا في سلامٍ مع زوجها.

عاد عمر من عطلته بتركيا وهو يشعر بذنبٍ كبيرٍ عالقٍ بقلبه، شعر بالذنب تجاه نوران التي ما زال لا يعرف قرارها في انفصالهما بعد تلك المحاولة الأخيرة منهما، شعر بالذنب لذلك الإحساس تجاه ياسمين، والذي لا حيلة له به، فليس لنا على قلوبنا سلطان، وهو يعلم أنه أبدًا لم يخدع نوران منذ عرفها. لقد تزوجها لحبه لها واكتشف بعدها أنه ليس بالحب وحده تستمر الحياة، اكتشف بعد زواجهما أنهما مختلفان، ولا يستطيعان الحفاظ على ذلك الحب؛ فاختلافهما جعلهما دائمًا في صراعٍ وحالةِ صدامٍ مستمرٍ؛ مما دفعهما للتفكير في الانفصال حتى لا يتحول ذلك الحب الكبير سابقًا إلى مشاعر كراهية وتعاسة مستقبلًا. كانت نوران هي من بادر باقتراح الانفصال، ولكنه هو من اقترح أن يسافرا كفرصة أخيرة للحفاظ على أسرتهما التي يحمد الله أنها لم تكن تشمل أحدًا سواهما.

اعتدل عمر في مقعده وهو يتذكر كيف قضى أيامًا بعد تلك الرحلة لا يعرف ماذا يفعل حتى لا يظلم زوجته السابقة، فهو لا يعرف

الخيانة حتى وإن كانت بالمشاعر. أفكاره متخبطةٌ ومشاعره متضاربةٌ داخله، انجذب هو لامرأة متزوجة يعرف ألَّا سبيل إليها، ولكن لا يعني هذا أن يستمر في زواجه من أخرى تأكد أنها لم تعد بداخله بعد اليوم. لا يريد أن يكمل في حياة يعرف أنها أبدًا لن تكون سعيدة؛ فهو إن اتخذ هذا القرار سيكون ظالمًا لنوران قبل نفسه. ظلت حيرته تفتك به أيامًا حتى ذلك الصباح الذي أتت نوران فيه إليه قبل ذهابه إلى عمله لتخبره بقرارها النهائي؛ الانفصال. أخبرته يومها أنها لا تشعر بأن تلك العطلة التي قضياها سويًّا قد غيرت شيئًا في ذلك الفتور بينهما؛ لذلك لا داعي للانتظار والمحاولات أكثر من ذلك، وطلبت منه الانفصال نهائيًا بعدها.

تنهد عمر بعمقٍ وارتياحٍ وهو يستعيد تلك اللحظة التي طلَّق فيها نوران، وكيف شعر براحةٍ يومها على الرغم من استحالة الوصول لياسمين وقتها لكنه كان يرفض بشدةٍ أن يكون خائنًا بمشاعره، يحيا مع امرأةٍ وقلبه متعلقٌ بامرأةٍ سواها، حتى وإن كانت زوجةً لرجلٍ آخر.

نظر إلى ساعته ليجدها قد قاربت الواحدة ظهرًا ولم تظهر ياسمين منذ ليلة أمس، كان يتوقع أن تتصل به فور استيقاظها ذلك الصباح، ولكنها لم تفعل وتركته في حيرته هل يتصل هو بها أم لا.

هزَّ رأسه وكأنه يحاول التخلص من ذلك الصراع الدائر داخله ونهض ليسير باتجاه باب المطعم ممسكًا بمفاتيح سيارته، ثم عاد بعد دقائق قليلة وقد أحضر حاسوبه الشخصي وجلس ليفتحه، ولكن ما إن فعل حتى أضاءت شاشة هاتفه باسم ياسمين ليدق قلبه بعنفٍ وكأنه لا يستطيع الانتظار حتى يجيب ليسمع صوتها.

– ياسمين.

– صباح الخير يا عمر.

– صباح النور، لسه صاحية ولا إيه؟

– لأ، صاحية من شوية بس كنت بخلص كم حاجة كدا في البيت.

– تمام، طمنيني عاملة إيه؟

وكأنها كانت تنتظر سؤاله عن حالها لتجيب في حيرةٍ:

– مش عارفة.

عقد حاجبيه في حيرة وأجاب:

– مش عارفة ليه؟ في حاجة ولا إيه؟

– طنط راوية كلمتني من شوية علشان تقول لي إن خلاص الموضوع تمام، وأكرم وافق يطلق ما فيش مشكلة.

لم يستطع السيطرة على نفسه واندفع قائلًا:

– عظيم!

صمتت للحظاتٍ وكأنها تحاول فهمَ سرِّ اندفاعه هكذا وسر ذلك الحماس الذي ظهر في صوته عند إخبارها إياه بموافقة أكرم، فأكمل هو بصوتٍ مترددٍ وكأنه شعر بما تفكر به:

– مش دا اللي أنتِ كنتِ عايزاه طيب؟

– أيوة أكيد يا عمر.

– بس غريبة أوي، ما كنتش متخيل إن أكرم هيسلم بسرعة كدا، مش محارب خالص يا ياسمين.

– لأ هو مش بيحبني يا عمر علشان يحارب، ودي الحاجة الوحيدة الغلط اللي أنت قلتها، بس أنا قلت يمكن يكون عندك حق فيها وأبقى أنا الغلطانة.

– تفتكري؟

– آه، ما فيش راجل يبعد عن ست بيحبها وهو مش مجبر، هو بس بيخاف من التغيير المجهول، يعني ليه يطلق وما يبقاش عارف هيحصل إيه في حياته تاني لما ممكن يفضل متجوز وعايش نفس الحياة المملة اللي خلاص أخد عليها؟ المهم مش دي المشكلة.

– في حاجة ولا إيه؟

– أكرم عايز يجي ياخد باقي حاجته، دلوقتي فرصة ومراد مش موجود علشان ما يحسش بحاجة.

– دلوقتي؟!

– آه، دي شقة ماما أصلًا، وطبعًا طبيعي هو اللي يلم حاجاته من هنا.

لا يعرفُ لمَ شعر بالغيرةِ هكذا رغم علمه أن أكرم ما زال زوجها، وأنه ذاهب فقط ليأخذ متعلقاته قبل إجراءات طلاقهما، ولكن لم يمنعه كل هذا من إحساسه بالضيق من أن يجمعه بها مكانٌ واحدٌ ولو لساعاتٍ قليلةٍ. طال صمته لا يعرف ماذا يجب عليه أن يقول، ولكنه يعرف فقط أن ما يشعر به الآن هو غيرةٌ عليها، لم يشعر بها من قبل. جاء صوتها مترددًا وكأنها كانت تنتظر منه إجابةً أخرى غير تلك التي جاءت في صمته لتقول:

– معلش يا عمر، هو أنت في المطعم طيب؟

لمعت عيناه وقد فهم ما توشك هي على قوله فأجاب بسرعةٍ وكأنه يريد أن يثبت لها أنه دائمًا هناك لحمايتها ولأمانها بصوتٍ دافئٍ:

– آه موجود يا ياسمين، تعالي نقعد سوا لحد ما يخلص هو.

تنهدت بارتياحٍ قائلةً:

– خلاص هغيَّر بسرعة وأكلمه أقول له لما يخلص يكلمني علشان يبقى براحته.

– تمام، مستنيكِ.

– عمر.

– أيوة يا ياسمين؟

– بص لو وراك أي حاجة أو هعطلك ما فيش مشكلة، قول لي.

– لا ما فيش حاجة ورايا، وحتى لو ورايا ما فيش مبعاد مش ممكن يتأجل شوية، مش دكتور أنا.

ضحكت لدعابته قبل أن تشكره مرةً أخرى وتغلق الخط بعدها لتستعد للذهاب إليه هربًا من لقاء زوجها.

أمام مطعمه أوقفت سيارتها بعد ساعةٍ من حديثهما، وجدته جالسًا بالداخل مستغرقًا في العمل على حاسوبه، ثم رفع وجهه ورآها وهي تقترب من طاولته وعلى وجهها ابتسامةٌ عذبةٌ ليقف مرحبًا بها:

– حمدا لله على السلامة.

اتسعت ابتسامتها قائلةً:

– الله يسلمك.

– كلمتِ أكرم؟

– آه كلمته وقابلته، وأنا نازلة كان وصل.

– كويس، تشربي إيه؟

– شاي بالنعناع، ممكن؟

أومأ برأسه وهو يشير إلى أحد العاملين بالمكان قائلًا:

– اتنين شاي بالنعناع.

– حالًا يا عمر بيه.

لاحظت حاسوبه المفتوح أمامه فأمسكت حقيبتها لتخرج منها ذلك الكتاب الذي أهداها إياه يوم أمس قبل أن تبتسم قائلةً:

– يلا كمّل شغلك وأنا هقعد جنبك مش هعمل صوت لحد ما تخلص أقرأ في الكتاب.

لمعت عيناه بشدةٍ وهو ينظر إليها بحبٍ رأته هي لأول مرة، فشعرت بخجلٍ من نظرته قبل أن تعتدل بمقعدها وتكمل قائلةً:

– ما عرفتش أقرأ فيه حاجة إمبارح، فقلت يمكن تكون مشغول في حاجة النهاردا أجيبه احتياطي.

– أنا قربت أخلص أصلًا، وممكن أعمله بعدين ما فيش مشكلة.

– لأ ليه؟ كمّل وخلّص، بلاش تأجل حاجة بسببي.

في استسلامٍ جاء رده:

– خلاص هنجز على طول.

– براحتك خالص، أنا موجودة.

ابتسم لها بحنانٍ بالغٍ وهو يراها تفتح كتابها وتجلس بجانبه تقرأ وقد عاد هو لعمله، كم يعشق تلك التفاصيل اليومية التي تهديها إياه دون أن تدري. كم يعشق تلك الدقائق التي يقضيها بجانبها حتى وإن كانت في صمتٍ تامٍ، فمجرد وجودها جانبه يسعده، أغمض عينيه وهو يدعو الله ألّا يحرمه منها مرة أخرى، فقد تأكد أخيرًا من عشقه لهذه المرأة الجالسة بجانبه في صمت تقرأ حتى ينتهي من عمله.

مرت الساعات معها سريعًا وها هي تقف أمام مطعمه تودعه لتذهب بعد أن تناولا طعامهما سويًّا وجلسا يتحدثان كثيرًا كعادتهما كلما التقيا. على الرغم من تلك السعادة التي أصبحت لا تشعر بها إلا معه مؤخرًا كان عليها أن ترحل لتحضر صغيرها ليعودا بعدها إلى منزلها وقد أصبح يخلو الآن من كل ما يذكرها بأكرم. ابتسم لها عمر بحنانٍ وهو يرفع يده مُودِّعًا إياها وهي تبتعد بسيارتها وقد شعر أن قلبه ينطلق مبتعدًا معها اليوم.

جلست بشرفتها بعد أن نام مراد وعادت لوحدتها مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت بكامل إرادتها بعد أن قررت أن تغلق هاتفها، وألّا تتصل بعمر هذه الليلة مكتفيةً برسالةٍ تشكره فيها على دعمها ووجوده بجانبها هذه الأيام التي لا تعرف كيف كانت ستجتازها دونه. نظرت بعيدًا وهي تفكر به وبتلك النظرة التي رأتها بعينيه اليوم، تلك النظرة التي لا تُخطئها امرأةٌ مثلها. نعم يحبها عمر، يحبها كثيرًا، وكيف لا يكون غارقًا بحبها وهو يجدُ لها دائمًا الوقت ليسمعها ويكون بجانبها عندما تبحث عنه؟ كيف لا يكون عاشقًا وهو منذ ظهر بحياتها لا يفعل شيئًا سوى رسم الابتسامة على وجهها، تلك الابتسامة التي لاحظت أنها لا تفارقها طوال وقتها معه.

لا تستطيع أن تنكر أنها أصبحت تُحب تلك الأوقات التي تمضيها بقربه ومعه، لا تستطيع أن تنكر أنها تفتقده الآن وتودُّ لو أنها اتصلت به ليتحدثا سويًّا حتى تنام، ولكنها ورغم كل ذلك لا تستطيع أن تسمي ذلك حبًّا. تعرف جيدًا كما أخبرت دينا في اليوم السابق أن مشاعرها متخبطة الآن ما بين صدمةٍ في حبيب سابق، وانتظارٍ لانفصال عن رجل لا يزال زوجها. لا تريد التسرع والحكم على ما تشعر به تجاه عمر، فمن الممكن ألا يكون حُبًّا وتتسبب له في جرحٍ لا تعرف هي مدى عمقه بقلبه.

تفتقد تلك المحادثات الطويلة والضحكات الحقيقية مع عمر، ولكنها أبدًا لن تسعى لعلاقةٍ جديدةٍ قبل أن يصبح ذكر اسم مراد لا يُسبب لها ذلك الألم الذي ما زالت تشعر به بقلبها كلما تذكرته. نعم ستنتظر حتى يُشفَى جرحها منه تمامًا لتكون مستعدةً لحبٍ جديدٍ، ستنتظر حتى تبتسم عندما تتذكر مراد دون الشعور بتلك الغصّة التي تعتصرها عند استعادتها لكل تلك الذكريات معه، لن تسعى لحبٍ جديدٍ قبل أن تتأكد من أن حبها القديم أصبح مجرد ذكرى لا تُسبب ألمًا لها.

أشرقت شمس يوم جديد وها هي ياسمين تدخل مكتبها، وتجد دينا قد عادت بعد إجازة طارئة لمرض صغيرها تنتظرها بابتسامةٍ اتسعت كثيرًا بمجرد أن رأتها أمامها قبل أن تقف فاتحةً ذراعيها لتضمها بحبٍ حقيقيٍ قائلةً:

– وحشتني يا شركسي.

– أنتِ كمان وحشتيني جدًا والله، المكتب بيبقى وحش أوي من غيرك.

أفلتتها دينا من ذراعيها قبل أن تنظر إليها بخبثٍ قائلةً:

– احكي لي بسرعة، عملتِ إيه إمبارح؟

في استسلامٍ جلست ياسمين بجانبها تقصُّ عليها ما حدث في اليوم السابق، وكيف ذهبت لتجلس مع عمر حتى انتهى أكرم من جمع

متعلقاته وعادت بعدها وأغلقت هاتفها حتى هذا الصباح، فسألتها دينا في ذهولٍ:

– قفلتِ موبايلك ليه طيب؟

– خايفة يا دينا.

– أنتِ مجنونة يا ياسمين؟ خايفة من إيه؟

– خايفة الوحدة واللخبطة اللي أنا فيها دي تخليني أتورط في علاقة تسبب جرح لإنسان ما عملّيش أي حاجة وحشة بجد.

– قصدك عمر؟ ياسمين، عمر بيحبك، كل تصرفاته بتقول إنه بيحبك صدقيني.

– عارفة يا دينا.

– الله! عارفة إزاي؟ هو قال لك ولا إيه؟

– لأ طبعًا، بس إمبارح ركزت مع طريقته ونظراته حسّيت فعلًا إنه بيحبني.

– إزاي؟

– مش عارفة إزاي، بس كان واضح أوي.

– شُفتِ، يبقى خايفة من إيه؟

– يا بنتي ما أنا علشان كدا خُفت أصلًا، هو بيحبني وأنا جوايا سراديب كتير خايفة عليه منها، ما ينفعش أخليه هو يحاسب على كل اللي أنا مريت بيه.

– وإذا كان هو موافق وعنده استعداد؟

– موافق إزاي يعني؟

– يا ياسمين، الراجل كل تصرفاته صبر وحب واحتواء، وكفاية إنه معاكِ في أي قرار تاخديه وبيسندك وقت ما تحتاجيه.

نظرت بعيدًا وهي تمطُّ شفتيها في تفكير قائلةً:

– مش عارفة، بس بجد يا دينا، ما تضغطيش عليَّ.

- خلاص حاضر يا حبيبتي، والله ما هضغط عليكِ بس أنا مستخسراه بس.

- ربنا يكرم إن شاء الله.

- إن شاء الله.

تركتها ياسمين لتجلس على مكتبها وتستغرق في عملها، حتى رنَّ هاتفها برسالةٍ من أكرم زادت من تخبط المشاعر داخلها:

«صباح الخير يا ياسمين، جهزي نفسك النهاردا بعد المغرب علشان نروح للمأذون ونخلص الموضوع».

لا تعرف لمَ انتابها ذلك الشعور بالخوف والقلق عند قراءتها لرسالته، على الرغم من وجود جزءٍ داخلها شعر بالسعادة لقرب حصولها على حريتها من شخص أصبحت لا تكنُّ له أي مشاعر بداخلها، لا تعرف لمَ شعرت بحاجةٍ شديدةٍ لعمر، شعرت أنها تفتقد ذلك الشعور بالأمان الذي تشعر به وهي بجانبه. أمسكت هاتفها وأرسلت له رسالة على الفور دون أن تفكر:

«أكرم بعت لي علشان نتقابل عند المأذون بعد المغرب النهاردا».

أرسلت الرسالة وانتظرت رسالته ولكن خاب أملها عندما تأخر في الرد، شعرت أنها تسرّعت في إرسالها تلك الرسالة، وربما تسرّعت في حكمها على مشاعره من الأساس؛ فمن يدري، يمكن أن يكون مجرد صديق يهتم لأمر صديقة جمعت بينهما بعض ذكريات الطفولة لا أكثر. زاد القلق والخوف بداخلها؛ لأول مرة لا تجد عمر عند حاجتها إليه، ولكن سرعان ما تلاشت كل تلك الأفكار من رأسها عندما رنَّ هاتفها وتجده هو.

- أيوة يا عمر.

- أيوة يا ياسمين، أقول لك مبروك ولا أقول لك إيه؟

ابتسمت لكلماته وابتسم قلبها لظهوره، قالت بترددٍ:

– مش عارفة، مخضوضة.

– عادي هتعدي، هي نص ساعة عند المأذون وكان يوم، وهترجعي ياسمين أورهان تاني.

ابتسمت عند نطقه لاسم والدها قبل أن يكمل هو بحماسٍ:

– بقول لك، عايزك تعدي عليَّ وأنتِ راجعة عشر دقائق ضروري في المطعم.

– ليه في إيه؟

– لما تيجي يا ياسمين، بس ضروري ما تنسيش.

– خلاص تمام حاضر.

أغلقت الخط وقصَّت كل ما جري بينهما في المكالمة على دينا التي سمعت بصمتٍ دون تعليق بعد أن قطعت على نفسها وعدًا بألّا تضغط عليها مرة أخرى.

في ميعاد عودتها لمنزلها أوقفت ياسمين سيارتها أمام مطعم عمر لتدخل مسرعةً تحاول معرفة سبب طلبه الغريب عليها قبل أن تذهب لإحضار مراد من حضانته التي تستضيفه بعد مواعيد الدراسة. ما إن دخلت المطعم حتى وجدت عمر يقوم بعمل بعض التغييرات فيه، وهو ما أدهشها؛ فلم يمضِ على افتتاحه سوى شهورٍ قليلة ليقوم بتغيرات فيه.

التفت عمر ووجدها تقف خلفه وعلى وجهها علامات استفهام كثيرة، وكأنها لا تفهم ما يحدث حولها، فسألته قبل أن تحييه:

– إيه دا؟ بتعمل إيه في المطعم؟

– بعمل (كيدز إريا).

– (كيدز إريا)؟! ليه فجأة كدا؟

– قلت بما إن إجازة نص السنة قربت والناس هتبقى عايزة مكان مريح فدي فكرة كويسة.

– تمام.

تردد قليلًا وكأنه يفكر قبل أن يضيف قائلًا:

– وعلشان لما تيجي في الإجازة مراد ما يبقاش زهقان؛ بما إن مش هيبقى طبيعي إنك توديه عند طنط راوية كل شوية خلاص.

رفعت حاجبيها في ذهولٍ وهي تبتسم ناظرةً إليه، لا تصدق كيف يفكر هذا الواقف أمامها في كل تفاصيل حياتها بهذا الاهتمام. نظرت إليه طويلًا بصمتٍ وشعرت أن عينيه تنطقان تلك الكلمة التي تخاف هي أن تسمعها الآن لخوفها عليه منها، فما كان منها إلا أن ابتسمت بعذوبة قائلةً:

– متشكرة أوي يا عمر، بجد أنت مش معقول.

***

–31–

عادت ياسمين إلى منزلها، ملاذها الوحيد حيث تنتهي كل الصراعات المشتعلة برأسها، عادت وقد قررت كمّا فعلت في المرة السابقة ألّا تتصل بعمر هذه الليلة أيضًا وتجلس وحدها، خاصةً وأنها لا تزال حائرةً لا تستطيع تحديد مشاعرها، وقد أصبح لا يفصلها عن حصولها على الطلاق سوى ساعات قليلة، ساعات قليلة وتصبح استعادتها لذكرياتها مع مراد لا تُعدُّ خيانة، ساعات وتعود مشاعرها كاملة لسيطرتها وقرارها.

وضعت حقيبتها جانبًا وجلست تفكر في تلك اللحظة التي تمنتها كثيرًا، ولكنها أبدًا لم تكن تظن أنها بتلك الصعوبة، أخبرت مراد أنه سيذهب ليجلس مع جدته قليلًا هذا المساء حتى تذهب هي ووالده لقضاء بعض المشاوير، ولكنه لن يقضي ليلته هناك فهي ستعود لتأخذه بعدها.

جلست ياسمين تفكر فيما رأته منذ قليل بمطعم عمر، وكيف

أن حبه لها أصبح حقيقةً لا تقبل الشكَّ، وفيما تشكُّ وهو رجل يفعل كل شيءٍ ليسعدها ولا يفكر سوى فيما يتعلق بها هي دون سواها. كيف تشكُّ بحبه وهو من حرص على ألّا يتركها وحدها يوم ذهب مراد إلى أبيه؟ كيف تشكُّ بحبه وهو من شاركها طعامه ولم يتناوله وحده رغم عدم دعوته لها من الأساس؟ كيف تشكُّ بحبه وهو من دعاها لمشاركته مشاهدة التلفاز سويًّا رغم بعد المسافات؟ لو كان لا يحبها لم يكن ليدعوها لفيلم رأى أنها بحاجة لمشاهدته الآن وذهب بعدها ليشتري قصته ويهديها إياها، لم يكن ليهتم بأن يرسل لها الحلوى التي تحب حتى يسعدها قليلًا، وأخيرًا لم يكن ليقوم بعمل تلك التغيرات بمطعمه حتى ييسر عليها الحضور بصغيرها إليه وقتما أرادت.

وكأنه أراد أن يُؤكِّد لها حبه مرة أخرى، انتبهت ياسمين من أفكارها على صوت رسالة من عمر:

«أنا قلت أكيد مش هيبقى فيكِ دماغ تعملي أكل ولا ليكِ نفس، طبيعي يا ياسمين، ما تتخضيش، بس برده ما ينفعش تنزلي مشوار زي دا من غير غدا. أنا بعت لك أنتِ ومراد أكل من هنا زمانه على وصول، الولد هيكلمك لمّا يوصل بعد إذنك علشان يعرف الدور الكم. كُلي يا ياسمين قبل ما تنزلي وأنا موجود لو احتجتِ حاجة».

قرأت ياسمين رسالته وهي لا تصدق ما قرأته، كيف يهتم عمر بها إلى هذا الحد؟ هي حقًّا لم تُحضِّر شيئًا للغداء، ولم تتذكر وسط كل ما يحدث حولها، كيف عرف وفكر وقرر؟ كيف يقوم بكل ما يقوم به من أجلها إن لم يكن يحبها حقًّا؟ ولكن كيف ومتى، كيف أحبها ومتى هام بها هكذا حتى يرعاها بكل هذا الاهتمام؟!

رنَّ الهاتف في يدها، فأجابت:

– ألو.

– ألو، مدام ياسمين؟

– أيوة أنا يا فندم.
– أنا أحمد يا فندم من مطعم عمر بيه.
– أيوة أيوة، اتفضل حضرتك الدور الخامس.
– تمام، دقايق يا فندم.
أغلقت ياسمين الباب بعد أن أخذت الطعام من عامل التوصيل وتذكرت أنها لم ترسل لعمر رسالةً تشكره فيها بعد قراءتها لرسالته، فعادت مسرعةً لغرفتها تبحث عن هاتفها وتطلب رقمه لتسمع صوته يجيب على الفور بحماسٍ يسألها:
– الأكل وصل؟
– آه وصل يا عمر، وبجد مش عارفة أقول لك إيه.
– تقولي إيه على إيه يا ياسمين؟
– على اللي أنت بتعمله دا، بجد كتير أوي والله.
– مش كتير ولا حاجة خالص، هو أنا عملت إيه يعني؟ أنا قلت أكيد مش هتعملي أكل، هتنسي أصلًا.
– مظبوط والله، نسيت تخيل.
– طبيعي يا ياسمين، بس والله هتعدي وهتشوفي. يلا اتغدي بس علشان تلحقي معادك وابقي طمنيني.
– حاضر.
– ولو احتجتِ أي حاجة أنا موجود.
– هو أنا لاحقة أحتاج حاجة يا عمر، أنت بتعمل كل حاجة قبل ما آخد بالي إنها نقصاني أصلًا.
بترت عبارتها الأخيرة وكأنها أيقنت أنها تسرعت بقولها أو أنها انتبهت لما يعنيه دوره في حياتها، وصمت هو مبتسمًا لا يعرف ما يقول حتى أكملت هي بخجلٍ جعل لصوتها دلالًا وعذوبةً:
– بجد ميرسي جدًا يا عمر، على كل حاجة.

- العفو يا ياسمين، ممكن تقومي تاكلي بقى يلا.
- حاضر، يلا باي.
- باي يا ياسمين.

أغلقت ياسمين الخط ونهضت لتتناول طعامها مع مراد قبل أن تستعد لتذهب إلى ذلك الموعد المنتظر مع أكرم.

أمام مطعمه أوقفت سيارتها وهي لا تدري ما الذي أتى بها إلى هنا مرةً ثانيةً اليوم، أوقفت سيارتها وجلست داخلها تبكي تمامًا كتلك الليلة التي عاد فيها أكرم، ولم تجد من تلجأ إليه سواه بعد أن تحدثا سويًّا عن طلاقهما وكأن في كل مرة ترى أكرم لا تجد سوى عمر ليطيب جراحها بعدها. مسحت دموعها في محاولةٍ بائسةٍ منها لإخفاء آثار بكائها قبل أن تمسك هاتفها وتطلب رقمه ليأتي صوته على الفور وكأنه كان ينتظرها:

- أيوة يا ياسمين.
- أيوة يا عمر.

جاء صوتها مليئًا بالدموع فاندفع عمر يسألها:

- مالك يا ياسمين؟ أنتِ بتعيطي؟
- عمر أنا قدام المطعم، أنت جوا؟
- أنا جوا آه، بس استني هجي لك.

ما هي إلا دقائق قليلة حتى كان عمر يجلس بجانبها في سيارتها ينظر إليها بإشفاقٍ متسائلًا:

- حصل إيه يا ياسمين؟
- ما حصلش حاجة يا عمر، اتطلقت.
- طيب عياطك دا علشان كدا بس ولا أكرم عمل حاجة هناك؟
- لا ما عملش حاجة خالص، بالعكس أنا حسيت من عينيه إنه عايزني أدي له فرصة، بس الكِبَر ما خلاهوش طلبها، رغم إنه لو كان طلبها أنا كنت هرفض برده، فاهمني؟

– فاهمك.

– هو أنا مالي؟ كنت متخيلة إني هفرح وما هصدق بس اللي حصل كان غير كدا هو دا طبيعي؟

– جدًا يا ياسمين، قلت لك قبل كدا الطلاق له رهبة ورد فعلك طبيعي، مليون حاجة في دماغك بتفكري فيها وحياة جديدة ومراد... طبيعي يا ياسمين، ادي لنفسك فرصة تهدي بس.

– أنا تعبانة يا عمر، تعبانة أوي، تعبانة من الوحدة والمسؤولية والأيام اللي شبه بعضها، تعبت أوي.

في صمتٍ كان يستمع لها ويتمنى لو أنه فقط يستطيع أن يضمَّها ليشاركها كل ما يتعبها ويحزنها هكذا، يعرف انها في أضعف لحظاتها الآن، وأن ما تقوله هو حملٌ ثقيلٌ أصبحت لا تستطيع حمله وحدها، يعرف أن بكاءها ليس حزنًا على فقدانها أكرم، أو بسبب مشاعر تحملها له، وإنما هو خوف مما هو آتٍ وتمزق ما بين أنثى أرهقتها الوحدة وأم يجب عليها التظاهر بالقوة والصلابة دائمًا.

ظلّت ياسمين تبكي جانبه وهو ينظر إليها بصمتٍ حتى تُفرغ ما بداخلها من حزن على ما مضى ممزوج بخوف وقلق مما هو آتٍ. بكت ياسمين كثيرًا وهي تقصُّ عليه كيف ذهبت بمراد إلى بيت جدته ليستقبله أكرم على بابه، وكأن راوية كانت أضعف من أن تراها اليوم. روت له كيف تركته هناك وذهبت مع أبيه لإتمام إجراءات الطلاق بعدها دون أن يعلم الصغير أي شيء عمّا يحدث لأسرته. بكت عند ذكرها لمراد وكيف أن أسرته تمزقت اليوم وأصبح عليه دائمًا أن يتواجد مع إحداهما؛ حيث رفض أكرم طلبها بأن يجتمعا سويًا في إجازاته من أجل وحيده، مبررًا ذلك بأنه لن يستطيع رؤيتها مرة أخرى بعد ذلك.

– ياسمين، أكرم هيشوفك وهتتقابلوا على فكرة ما تخافيش.

– إزاي يعني؟

– يا بنتي هو طبيعي لما تقولي له كدا دلوقتي هيرفض، بس بعد شوية الدنيا هتبقى عادية وهتتجمعوا علشان خاطر الولد عادي.

مسحت وجهها وهي ترفع عينيها تنظر إليه قائلةً:

– بجد يا عمر؟

– والله بجد وهتشوفي، وحاجة كمان.

– إيه؟

– أنتِ ما ظلمتيش أكرم ولا مراد. بلاش تحملي نفسك فوق طاقتك.

– أنت شايف كدا؟

– أيوة يا ياسمين، أكرم اللي ظلم نفسه وظلمك وظلم ابنه بأنانيته وبعده عنكم، بلاش تعذبي في نفسك بجد كفاية.

خفضت عينيها وبدأت تبكي من جديد فيندفع هو قائلًا بحنان أبوي:

– يا ياسمين، بطلي عياط، أنتِ ما عملتيش حاجة غير إنك حاولتِ تصلحيه، وهو كان أناني فحقك تدوري على سعادتك، من فضلك ما تعمليش في نفسك كدا، كفاية علشان خاطري.

– حاضر يا عمر.

– بقول لك إيه هو ياسر عارف؟

– لا ما يعرفش، مش هيفرق في حاجة، وبالنسبة له أعمل اللي يسعدني.

ضحك عمر قائلًا:

– دماغه حلوة ياسر دا بجد.

– آه، أهم حاجة نبقى مبسوطين.

– ودا الصح، حياتك ملكك وحقك تعيشها سعيدة.

تنهدت ياسمين وهي تنظر بعيدًا قبل أن تكمل:

– أنا عمومًا هقول له لما أسافر.

عقد عمر حاجبيه بخوفٍ حقيقيٍ عند سماعه جملتها الأخيرة، فسألها بقلقٍ واضحٍ:

– تسافري فين؟

– إسطنبول، في إجازة نص السنة، ودينا وجوزها هيسافروا معايا كمان نقضي أسبوع هناك.

شعر عمر بقلبه يغوص بأعماقه عند إخبارها إياه بسفرها لتركيا، وبدأ يسيطر عليه شعور بالخوف أن يقنعها ياسر بالاستقرار هناك، خاصةً بعد طلاقها وعدم وجود ما يربطها بمصر الآن. أفاق عمر من شروده على صوتها تسأله وقد بدأ صوتها يهدأ قليلًا:

– ما لك يا عمر؟

– لأ مافيش، فصلت بس.

– متأكد؟

– آه صدقيني ما فيش حاجة، أنتِ سايبة مراد يبات هناك النهاردا؟

– لأ، هروح أجيبه.

– طيب يلا علشان ما تتأخريش عليه، ولما تروّحي طمنيني.

شعرت ياسمين أن شيئًا ما به تغيّر بعد أن أخبرته بسفرها، ولكن ماذا يمكن أن يكون بسفرها حتى يزعجه هكذا؟ لا تتصور أن يكون عمر ذلك الرجل الذي يغار من أصدقاء حبيبته، وإن كان فهي ليست حبيبته بعد. تُرى ما الذي أزعجه من خبر كهذا رغم علمه بسفرها كل عام منذ عادت إلى مصر؟ علا صوت هاتف عمر الذي أجاب على الفور كعادته قائلًا:

– يا مساء الخير! لأ موجود طبعًا، وأنا أقدر أتأخر على معادنا. لأ أنا قدام المطعم، ثواني وأكون عندك، آه والله أنا شايفك أهو واقف قدام الباب بتكلمني. يلا سلام.

أغلق عمر الخط والتفت لياسمين التي ما زالت تحاول معرفة

سبب تغيره المفاجئ ويبتسم قائلًا:

– أنا مضطر أرجع المطعم علشان...

قاطعته ياسمين بسؤالٍ مباشرٍ:

– عمر، هو أنت اتضايقت ليه لما عرفت إني مسافرة لياسر؟

لم يفاجئه سؤالها؛ هو أبدًا لم يشك بذكاء تلك التي احتلت قلبه منذ سنوات، فما كان منه إلا أن أجاب سؤالها بسؤالٍ مباشرٍ هو الآخر:

– ياسمين، هو أنتِ في أي احتمال إنك ترجعي تركيا تاني؟

ضحكت ياسمين قبل أن تجيبه:

– لأ خالص، هو دا اللي غيّرك؟ لأ، عمري ما هرجع أعيش هناك تاني.

كان ينتظر بل يتمنى أن تسأله لمَ ينزعج من عودتها لتركيا إن فعلَتْ، ولكنها لم تسأله وكأنها لا تهتم بمعرفة السبب، أو ربما تعرف ولا تريد مصارحته الآن، فصمت عمر وابتسم بهدوءٍ معتذرًا:

– طيب أنا عندي ضيف مستنيني هناك، مراد أبو غيدة أنتِ عارفاه، فلازم أدخل دلوقتي.

انتفض قلبها عند سماعها اسم مراد ومعرفتها بوجوده بالقرب منها، فنظرت إلى نفس الاتجاه الذي يشير عمر له وتراه يقف منتظرًا هناك أمام المطعم يتطلع لساعته، فما كان منها إلا أن ودّعت عمر وانطلقت بسيارتها سريعًا لتذهب وتحضر مراد دون أن ترى راوية للمرة الثانية اليوم، وتعود بعدها لوحدتها وشرفتها وقهوتها.

جلست ياسمين بشرفتها بعد أن نام مراد تقلب هاتفها بيدها وهي تنظر بعيدًا تفكر فيما حدث اليوم، أكرم الذي لم يعد له دورٌ بحياتها سوى أنه والد وحيدها النائم بالداخل، عمر الذي أصبح وجوده بحياتها يعني الأمان الذي طالما افتقدته، والذي أصبح حبه لها لا يقبل الشك، ومراد الذي ما إن سمعت اسمه اليوم حتى انطلقت مبتعدةً قبل أن

يراها. مراد الذي منذ شهور قليلة كانت تتمنى سماع صوته فقط أصبحت اليوم تسرع لتبتعد عن مكان وجوده.

لم تعد تستطيع فهم ما يحدث داخلها؛ هي لا تعرف لمَ هربت عند معرفتها بوجود مراد، لا تعرف لمَ لا تريد إخباره بأمر طلاقها وهي من كانت تظن أنه سيكون أول من تخبره. عصفت بها أفكارها وعذبتها الحيرة حتى أمسكت بهاتفها لتطلب دينا التي كانت تنتظر اتصالها منذ ساعات طويلة.

– أيوة يا ياسمين.

– أيوة يا دينا، إزيك؟

– أنا الحمد لله، طمنيني أنتِ.

– الحمد لله خلاص، فاضل بس القسيمة.

– طيب الحمد لله، طيب أنتِ كويسة؟

– لأ مش كويسة، بس عمر بيقول لي طبيعي.

– عمر؟! ما علينا، آه أسمع إن بعدها طبيعي تبقي مش موزونة كدا.

– آه قال لي كدا، بس سيبك دلوقتي، عايزة أحكي لك حاجة تانية.

– خير، قولي.

قصّت عليها ياسمين كل ما حدث، منذ ذهابها لعمر بعد عودتها من عملها وتلك التغييرات التي يقوم بها من أجلها وإرساله الطعام لها حتى ذهابها إليه بعد الانتهاء من إجراءات طلاقها.

– يا سيدي يا سيدي، فين المشكلة بقى؟

– المشكلة إن وإحنا قاعدين جاله تليفون من حد عنده معاد معاه.

– تمام.

– الحد دا كان مراد يا دينا، بس الغريب إني أول ما عرفت هربت، مشيت على طول علشان مش عايزة أشوفه.

– طيب عظيم، ودا كمان طبيعي بعد كل اللي عمله.

– يا دينا، أنا مشيت علشان ما حبتش أسلم عليه قدام عمر، وأنا وهو كان في حاجة بينا عمر ما يعرفهاش. حسّيت إن بعد كل اللي عمر بيعمله معايا دا ما ينفعش أحطه في موقف زي دا.

– إيه دا؟ لأ مش فاهماكِ.

– يا بنتي أنا نفسي مش فاهماني، أنا ماعرفش مراد كان واحشني أصلًا ولا لأ، تخيلي بس كل اللي حسّيته إن ما ينفعش عمر يقف ما بينا وإحنا عارفين حاجة هو ما يعرفهاش.

– وإيه المشكلة أصلًا؟ هو جوزك مثلًا يا ياسمين!

– ما هو دا الغريب، أنا ليه حسّيت كدا، فهمتِ؟

– ياسمين.

– ماعرفش يا دينا، بس أكيد لأ.

– هو إيه دا اللي ماعرفش؟

– أصلك هتقولي لي: «أنتِ بتحبي عمر»؟

– أيوة فعلًا، أصل أنتِ ضحيتِ بإنك تشوفي مراد علشان شكل عمر.

– عمر بيحبني يا دينا، وبيعمل كل اللي يقدر عليه علشان يسعدني، فحسيت إنه ما يستاهلش يكون دا شكري ليه.

– دا أنتِ ما عملتيش كدا مع أكرم.

– قصدك إيه؟

– قصدي إنك راعيتِ خاطر عمر رغم إن ما فيش أي حاجة بينكم، حتى كلمة بحبك ما قالهاش.

– بس عمل كل حاجة تبيّنها يا دينا، أكرم عمل كل حاجة عكسها. سيبك من أكرم خالص، بس قولي لي هو أنا كدا بحب عمر فعلًا ولا عاجبني اهتمامه والفراغ اللي هو بيملاه في حياتي؟

– بصي يا ياسمين، أنا ماعرفش بس اللي عارفاه إنك خلاص اتطلقتِ وبقيتِ حرة نفسك، فادي لنفسك فرصة، سيبي نفسك شوية وبطلي خوف، عمر راجل كويس بجد ويستاهل فرصة.

– أنتِ شايفة كدا؟

– أنا مش شايفة غير كدا بصراحة، يا شيخة حد يسيب راجل زي عمر دا؟! حرام عليكِ هتموتيني.

ضحكت ياسمين بشدة قبل أن تجيب قائلةً:

– طيب.

– طيب، يلا ننام بقى عندنا شغل.

– حاضر، تصبحي على خير يا دينا.

– وأنتِ من أهله يا حبيبتي.

أغلقت ياسمين الخط ووجدت رسالةً من عمر:

«في فيلم تجيبها كدا تجي لها كدا هي كدا، تحبي نتفرج سوا»؟

ما إن قرأت رسالته حتى ابتسمت قبل أن تطلب رقمه وتنتظر حتى سمعت صوته لتجيب بحماسٍ:

– طبعًا أحب نتفرج، أنا بموت في سمير غانم أصلًا.

ضحك هو قائلًا:

– طيب يلا افتحي على روتانا كلاسيك، لسه في أوله.

صارت أيام ياسمين التالية مقسمةً ما بين عملها في الصباح، وتمارين ودروس مراد عند عودتها، وأخيرًا مشاهدة فيلمٍ أو مسلسلٍ مساءً بصحبة عمر عبر الهاتف، وهو الجزء الأحب إلى قلبها من اليوم. أحبت وجود عمر في حياتها كثيرًا، حتى إنها كانت لا تعرف كيف كانت ستتجاوز تلك الفترة من حياتها دون وجوده. وظل هو يحبها بصمتٍ ينتظر حتى تلتئم جراحها تمامًا وتصبح مؤهلة لعلاقة جديدة أصبحت هي كل ما يتمنى.

وها هي إجازة نصف العام تقترب ويقترب معها سفر ياسمين وعذاب عمر لاقتراب بُعدها عنه وحبها بقلبه يزداد يومًا بعد يوم، يحبها ويهيم بها عشقًا وقد تأكد أنه لا يريد سواها زوجةً وشريكةً لحياته، يريد أن يكمل مشواره معها وبجانبها، فهو يستمتع بكل شيء بصحبتها، حتى مشاهدة أفلامه المفضلة أصبحت أجمل معها. حتى كانت ليلة سفرها وكانا كعادتهما يشاهدان أحد الأفلام المحببة لكليهما ويتحدثان على الهاتف، ثم أتى صوت عمر عذبًا هادئًا يناديها:

– ياسمين.

– أيوة يا عمر.

– أنا بحبك.

شعرت ياسمين وكأن الدماء قد تجمّدت بعروقها برغم تأكدها من حبه لها من قبل، فاجأها عمر باعترافه الذي لم تكن تظن أن يأتي بهذه السرعة. إحساس بالسعادة انتابها عند سماعها تلك الكلمة منه، لا تدري سببه ولا تعرف إن كانت سعادتها تلك دليل على حبها له أم مجرد إرضاء غرور الأنثى بداخلها يسعدها. ظلّت صامتةً فسمعته يكمل:

– أنا بحبك من ساعة إجازة أنطاليا، كنت أنا ونوران مسافرين في محاولة أخيرة علشان نكمل مع بعض، بس بمجرد ما حسيت إن مشاعري راحت لواحدة غيرها عرفت إن ما ينفعش نكمل حتى لو ما عنديش فرصة مع الواحدة دي علشان متجوزة.

– أنت بتقول إيه يا عمر؟

– أيوة يا ياسمين، أنا بحبك من سنين مش من دلوقتي، بحبك وما كانش عندي أمل إني حتى أقابلك تاني، بس مشاعري كانت معاكِ مش بإيدي. مش عارف صح ولا غلط اللي بقوله بس أنا ببقى مبسوط وأنا معاكِ، بحب أشوفك، أسمعك ونتكلم سوا، بحب أسمعك وأنتِ بتحكي

عن يومك، بحبك لما بتتضايقي وتيجي لي، وبحبك لما بتسمعيني وأنا بحكي لك. بقيت مش بعرف أتفرج على التليفزيون غير معاكِ حتى لو بس على التليفون.

– عمر...

– ياسمين، أنا ما كنتش ناوي أقول لك دلوقتي، بس غصب عني، مش عارف ليه لقيتني بقولها دلوقتي. أنا بحبك وعايز أكمل عمري معاكِ، أنا عايز أتجوزك.

دمعت عيناها وهي تسمعه، فهي لم تحدد حقيقة مشاعرها تجاهه حتى الآن، ولكنها لا تريد أن تجرحه أو تفقده. طال صمتها لا تعرف ماذا تقول، حتى تنهدت أخيرًا وقالت بضعفٍ:

– عمر، أنا متلخبطة أوي الفترة دي أنت عارف، في جوايا حاجة ليك مش هنكر، بس أنا مش عارفة أحددها.

– فاهم.

– أنا مش عايزاك تزعل مني، بس عايزة فرصة علشان أفك اللي بيحصل جوايا وأرد عليك، ممكن؟

– أكيد حقك، خدي الفرصة اللي أنتِ عايزاها، بس عايزك تعرفي إن أيًّا كان ردك أنا هفضل موجود وفي ضهرك أي وقت.

– أنا متأكدة يا عمر.

أغلقت ياسمين الخط وهي تقاوم رغبة ملحة داخلها أن تتراجع عن طلبها وأن تعاود الاتصال به لتقولها له هي أيضًا، لتقول «بحبك» التي طالما انتظرها، ولكنها مصرّة على أن تأخذ فرصتها وتتأكد أولًا من حقيقة مشاعرها حتى لا تتسبب في جرح من داوى جراحها وحده دون غيره.

***

-32-

كانت الساعة الثانية ظهرًا بتوقيت إسطنبول عندما هبطت الطائرة القادمة من القاهرة بأرض مطار إسطنبول الجديد، والتي تحمل على متنها ياسمين وصغيرها بصحبة دينا وأسرتها ليلتقوا بياسر الذي كان ينتظرهم منذ نصف الساعة فور خروجهم. كانت ياسمين قد أخبرت شقيقها بشأن قدوم أسرة صديقتها معها ليُعدَّ منزل والديهما لاستقبالهم.

وقف ياسر يستقبل شقيقته بذراعين مفتوحين ليضمها بشدةٍ إلى صدره وهو ما لم تكن تتوقعه دينا، فمما سمعته عنه من ياسمين كانت قد تخيلته شخصًا بلا مشاعر ولكنها وجدت رجلًا دامع العينين في استقبال شقيقته الوحيدة وصغيرها، رجلًا يبدو من عناقه لهما أنه لا يريد أن يفلتهما من ضمته أبدًا، ولكن وكأنه تنبه لنظرتها إليه أفلت ياسر شقيقته من ذراعيه برفقٍ قبل أن يمد يده مبتسما لمصطفى قائلًا:

- حمدا لله على السلامة، أنا ياسر أخو ياسمين.

ابتسم مصطفى لما أحسه من طيبة صادقة في صوته ليمد يده مصافحًا ياسر وهو يقول:

- الله يسلمك، غني عن التعريف طبعًا، وأنا مصطفى جوز دينا صاحبة ياسمين.

التفت ياسر إلى حيث تقف دينا وهو لا يزال محتفظًا بابتسامته المرحبة قائلًا:

- أهلًا يا دينا، نورتوا إسطنبول.

- متشكرة جدًا، أهلًا بيك يا ياسر.

عاد ياسر ينظر إلى شقيقته التي كانت تقف بابتسامةٍ عذبةٍ تنظر إليه ليقول مشيرًا إلى الخارج:

- يلا بينا.

– يا ريت.

قالت ياسمين كلمتها الأخيرة قبل أن تمسك بيد مراد وتسير بجانب دينا التي غمزت بعينيها باتجاه ياسر، الذي كان يسير أمامهما بجانب مصطفى وقد بدا أنهما يتحدثان سويًّا قبل أن تميل عليها قليلًا قائلةً:

– أنتِ إزاي ما جبتنيش تركيا عند أخوكِ القمر دا قبل كدا؟

التفتت إليها ياسمين في ذهولٍ قبل أن تنفجر ضاحكةً وتقول:

– لأ ولسه هقعدك في بيت عدنان بيك، أنتِ جاية تقضي إجازة مع جوزك تفصلوا ولا جاية تعاكسي يا بنتي؟ أخويا القمر؟! اتلمي يا دينا.

ضحكتا سويًّا بشدة وهما تتبعان ياسر ومصطفى اللذين كانا قد وصلا للسيارة ووقفا ينتظرانهما بجانبها.

سارت السيارة بهم جميعًا مسرعةً تشق شوارع إسطنبول التي جذبت دينا من أول لحظة، فكانت تتطلع بسعادةٍ من النافذة، وبين الحين والآخر تشير لأحد المحال لزوجها قبل أن تميل عليه لتقول له شيئًا ويهزُّ لها رأسه وهو يتابعها ويبتسم بحماسٍ. كانت ياسمين تتابعهما وهي تدعو أن تنجح فكرتها بقضاء إجازتهما معها في إذابة ذلك الجليد الذي تراكم بينهما على مدار سنوات الماضية. ثم عادت بنظرها إلى ياسر، ذلك الجالس في سكونٍ تامٍ وعلى وجهه ذات الابتسامة التي استقبلها بها. كم تشتاق له، كم تشتاق لحديثهما سويًّا، كم اشتاقت لإجازتها تلك، وبيت والديها وحجرتها القديمة البسيطة. ابتسمت ياسمين وهي تلتفت لتنظر من نافذتها لتتابع حركة الناس بالشوارع هناك، هي حقًّا سعيدةٌ بحضورها هذه المرة، وتسعى جاهدةً لقضاء إجازة مختلفة عن سابقيها.

ولكن مهلًا.. هناك شعورٌ بدأ يتسلل داخلها منذ أقلعت الطائرة من القاهرة، إنها تفتقد عمر، نعم تفتقده بشدة، بل وتتمنى لو أنه صاحبها في تلك الرحلة، تفتقده وتتمنى لو أنها تستطيع أن تتراجع عن ذلك الاتفاق الذي أبرمته معه في الليلة السابقة بأن تأخذ فرصتها لتفكر على

أن يتحدثا بعد عودتها من سفرها.

نعم هي تشعر الآن أنها تفتقد صوته وتود أن تحدثه لتُطمئِنَه على وصولها، فهو حتمًا يشعر بالقلق ولكن لن يتصل بها حتى تفعل هي كما طلبت. اكتشفت أنها لهذا السبب كانت تبتسم وهي تتابع دينا وزوجها منذ قليل، كانت تفكر لو أن عمر هنا كانت لتفعل الشيء ذاته معه، كانت لتخبره بكل مكان ذهبت إليه من قبل، كانت لتحب أن تصحبه لكل تلك الأماكن التي ذهبت إليها وأحبتها. لو أن عمر معها لكانت شاركته جميع ذكرياتها هنا، بل وكانت سعت لمشاركته ذكريات جديدة ليتحدثا عنها عند عودتهما.

انتبهت من شرودها على صوت ياسر يدعوهم للنزول من السيارة، فها هو منزلهما القديم، ها هو منزل طفولتها حيث يوجد كل ما يربطها بوالدها. هبطت ياسمين من السيارة لتتقدم دينا ومصطفى وهي تدعوهما للدخول بابتسامةٍ مرحة قائلةً:

– اتفضلوا يا جماعة، اتفضل يا مصطفى أنتو عاملين ضيوف؟ إحنا كلنا ضيوف أصلًا فما فيش داعي تقفوا كدا.

ابتسمت دينا وهي تمسك بيد زوجها ويتبعان صديقتها التي شعرت وكأنها عادت طفلةً مرةً أخرى بمجرد دخولها المنزل، كانت ياسمين تضحك ببراءةٍ وهي تتجول بنظرها في أركان المكان وكأنها تراه لأول مرة. مرة أخرى تتمنى لو أن عمر معها الآن لتستعيد ذكريات طفولتها معه ولكنها قررت ألا تتصل به حتى تعود إلى القاهرة، لن تحدثه حتى تتأكد من مشاعرها تجاهه حتى وإن كانت تفتقده ولم يمر على سفرها بضع ساعات، لن تحدثه لأن رجلًا كعمر يستحق منها التفكير في حقيقة ما تحمله له، رجلًا كعمر لا يستحق أبدًا أن تجرحه.

دخلت دينا ومصطفى غرفتهما بصحبة ولديهما ليضعوا الحقائب ويقوموا بتغيير ملابسهم ليذهبوا جميعا إلى تناول الطعام بالخارج كما

اقترح ياسر فور وصولهم. انتهت ياسمين من ارتداء ملابسها وجلست بالمقعد المجاور لشقيقها تنتظر دينا وأسرتها، فابتسم ياسر وسألها دون مقدمات:

– مش ناوية تقولي لي إنك اتطلقتِ يا ياسمين؟

لم تتوقع ياسمين أن يفاجئها ياسر بذلك السؤال، بل لم تتوقع أن يكون قد عرف بشأن طلاقها من الأساس، صمتت لا تعرف ماذا تخبره، وأكمل هو بهدوء:

– أكرم كلمني أول ما نزل من دبي وحكى لي كل حاجة، برغم كل عيوبه بس هو ابن ناس وما كانش ينفع يطاوعك من غير ما يرجع لأهلك اللي أخدك منهم.

شعرت ياسمين بالحرج من كلماته، فكيف لم تفكر في الأمر بهذه الطريقة؟ وكيف تعاملت مع طلاقها وكأنه لا وجود له؟ فقالت بخجلٍ وضعفٍ بصوت كالهمس:

– أنا آسفة يا ياسر، بس غصب عني والله.

– أنا مش بقول لك علشان تعتذري يا ياسمين، أنا لمّا أكرم كلمني قلت له اللي يريحها ويسعدها تعمله، هي مش صغيرة علشان أقرر لها وأول ما شفتك النهاردا عرفت فعلًا إنك كدا أحسن. نظرة العين بتبيّن كل حاجة مهما حاولنا نداري يا ياسمين.

– أنا ما كنتش سعيدة خالص يا ياسر والله.

– عارف يا حبيبتي، بس كنت فاكر إني أقرب لك من كدا، مهما كان أنا أخوكِ الكبير، مش كدا يعني ولا إيه؟

ابتسمت بخجلٍ قبل أن تومئ برأسها توافقه، ثم فُتحَ باب غرفة دينا وظهرت هي وأسرتها وقد استعدوا لأولى جولاتهم بإسطنبول، فانطلقوا جميعًا مغادرين المنزل وتسبقهم ضحكاتهم.

ما بين أماكن سياحية وأثرية ومحال تجارية وسهرات ليلية مر

أسبوعِ ياسمين في إسطنبول، وحان موعد عودتها إلى القاهرة، وحان معه موعد إعلانها عن قرارها بشأن علاقتها بعمر. كانت ياسمين تستلقي مستيقظةً بفراشها تفكر بهذا الذي ينتظر عودتها بفارغ الصبر حتى يعرف ما أسفر عنه تفكيرها طوال الأسبوع الماضي، حينها سمعت طرقات على بابها فاعتدلت جالسةً قبل أن تسأل بدهشةٍ:

– مين؟

فيأتيها صوت دينا من خلف الباب تقول:

– أنا دينا يا ياسمين.

– تعالي يا دينا، اتفضلي.

فتحت دينا الباب وعلى وجهها ابتسامةٌ لمعت لها عيناها، وما إن أغلقت الباب خلفها حتى قالت بامتنانٍ حقيقيٍ:

– أنا جايّة أشكرك يا ياسمين، شكرًا بجد على الأسبوعِ الحلو دا.

– تشكريني على إيه بس يا دينا؟ المهم تكونوا اتبسطتوا.

– اتبسطنا جدًا طبعًا. وأشكرك على كل حاجة، على استضافتكم لينا أنتِ وياسر، وعلى تفكيرك في كل حاجة علشان تبسطينا، حتى حطيتِ للولاد سراير في أوضة تانية علشان ما يبقوش معانا في نفس الأوضة.

– طبيعي يا دينا، أنا ما عملتش حاجة غريبة يعني.

– لأ عملتِ، أنتِ ما كنتيش أصلًا مضطرة تعملي أي حاجة من كل دا.

– المهم قولي لي، أنتو اخباركم إيه؟

– الحمد لله، أحسن كتير من الأول، رجعنا نتكلم ونضحك تاني والدنيا شوية بقت أظرف.

– طيب تمام الحمد لله.

– أنا حبيت بس أشكرك قبل ما نرجع بكرة.

- بطلي عبط، بجد هزعل.

ضمتها دينا بقوةٍ وهي تربت على ظهرها قبل أن تفلتها برفقٍ وهي تسألها:

- بس قولي لي، أنتِ إيه اللي مسهرك لدلوقتي؟ أنا كنت بخبط وأنا فاقدة الأمل إنك تردي أساسًا.

- كنت بفكر.

- في إيه؟

- بصي أنا ما كنتش عايزة أحكي لك علشان ما تضغطيش عليَّ، بس هحكي لك دلوقتي علشان أنا محتاسة بصراحة.

- خير يا ياسمين، في إيه؟

- عمر.

- ما له؟ أنا حاسة أصلًا إن في حاجة من وقت ما وصلنا؛ ما لهوش حِس ولا خبر، بس قلت يمكن مش عايز يتصل علشان ياسر.

- لأ، مش علشان ياسر، علشان أنا اللي طلبت منه كدا.

نظرت دينا إليها بذهولٍ وهي تكرر ما قالته:

- أنتِ اللي طلبتِ منه ما يتصلش؟!

- أيوة يا دينا، عمر اعترف لي إنه بيحبني قبل ما نسافر بيوم، ومش بيحبني من دلوقتي، دا بيحبني من ساعة ما اتقابلنا هنا في الإجازة من كم سنة.

- كان لسه متجوز؟

- كان مسافر هو ومراته في فرصة أخيرة يصلحوا علاقتهم علشان كانت بتنهار، بس لما لقى مشاعره راحت لواحدة غيرها اللي هي أنا عرف إن ما فيش فايدة، وما قدرش يعيش خاين.

- ياسمين أنتِ بتتكلمي بجد؟

- والله زي ما بقول لك كدا، هو اللي حكى لي، وفضل سنين بيحبني

وهو حتى مش بيشوفني وما عندوش أي أمل إننا نتقابل.
– يا نهاري على الرومانسية.
– بتتريقي عليه؟
– والله أبدًا، بس سبحان الله، شوفي الفرق بينه وبين الندل التاني.
– مين؟ أكرم؟
– لأ مراد، واحد مجرد إن مشاعره اتحركت لواحدة غير مراته رفض يكمل، والتاني كان بيجري ورا واحدة ومراته بتولد.
– تخيلي أنا ماخدتش بالي من الفرق دا بينهم.
– إزاي يعني؟! دا فرق السما والأرض، واحد ندل بجدارة والتاني شهم ووفي بجدارة برده. المهم، أنتِ رديتِ عليه قُلتِ إيه؟
– طلبت فرصة أفكر، علشان كدا مش بنتكلم لحد ما أرجع.
– وفكرتِ؟
– ومش عارفة أوصل لحاجة.
– يعني إيه؟
– بصي يا دينا، من أول ما وصلنا وهو واحشني، ونفسي أكلمه كل يوم أحكي له اليوم كان عامل إزاي ونقعد نهزر قبل ما ننام زي ما كنا بنعمل قبل ما يقول لي.
– تمام.
– أنا كمان حاسّة إني كان نفسي جدًا يبقى معايا، واحشني صوته وطريقة كلامه وكل حاجة فعلًا وحشتني، اهتمامه بيَّ، قلقه عليَّ وسؤاله عن كل حاجة ليها علاقة بيَّ، هو وحشني بجد.
– طيب أُمَال محتاسة ليه؟
– خايفة أكون بس فرحانة بالمرحلة والاهتمام وأظلمه.
– ياسمين.
– أيوة يا دينا.

– بمنتهى الصراحة لو دلوقتي قلت لك مثلًا قدامك اختيار واحد، يا مراد يا عمر يقضي معاكِ أجازتك هنا، هتختاري مين؟

– أنتِ بتهزري؟ عمر طبعًا، مراد إزاي يعني؟

– طيب ما خلاص واضحة أهي، فين المشكلة؟

– طيب بافتراض إني بحبه، تفتكري أحكي له على موضوع مراد ولا أعمل إيه بما إنه يعرفه يعني؟

– تحكي لمين؟ وهو فين الموضوع أصلًا؟ دي حاجة قديمة وطبيعي ما يكونش يعرفها.

– أيوة يا دينا بس...

– من غير بس، هو فين الموضوع اللي عايزة تحكيه أصلًا يا ياسمين؟ وبقول لك إيه بالمناسبة بقى علشان نبقى قفلنا حوار مراد دا خالص، في حاجة عايزة أقول لك عليها علشان ما أبقاش مخبية عنك حاجة.

– حاجة إيه؟ قولي.

روت لها دينا كل ما حدث بينها وبين مراد يوم ذهب يبحث عنها بمكتبها، روت لها كل ما قصّه عليها منذ زواجه أول مرة وحتى ولادة ابنه، جلست ياسمين تستمع إليها بصمتٍ دون أن يبدو على وجهها علامات تأثر مما ترويه دينا، حتى انتهت من حديثها لتفاجئها ياسمين قائلةً:

– دا غلبان.

– غلبان؟

– آه، يعني أنا كنت فاكراه بيسبني بمزاجه وراجل بجد بس خاين مثلًا، إنما طلع ضعيف ومامته بتحركه زي ما هي عايزة، طلع أضعف من إني أزعل من اللي عمله فيَّ.

– يعني أنتِ مش متعاطفة معاه؟

– خالص، ولا متعاطفة ولا زعلانة، بالعكس بحمد ربنا إني ما وقعتش فيه بضعفه دا. كنتِ مخبية عليَّ خايفة أحن له؟

– بصراحة آه.

– غلطانة، أنتِ كدا ريحتيني وخلتيني أفهم ليه عمل فيَّ كل دا. ربنا يعينه علشان هيفضل طول عمره تعبان بوضعه دا.

– طيب المهم، هتردي على عمر بإيه؟

– دينا، عايزاكِ في مشوار لما نرجع قبل ما أرد عليه، ممكن؟

– عينيا طبعًا، بس مشوار إيه دا؟

– هقول لك يومها، أنا بس هودي مراد يوم السبت عند جدته علشان تشوفه، وهعدي عليكِ بعدها أخدك ونروح، بس اعملي حسابك يمكن نتأخر شوية.

– حاضر يا روحي، ما فيش مشكلة.

– خلاص اتفقنا، مش ننام بقى علشان بكرة سفر؟

– ولو إني نفسي مارجعش بس حاضر ننام ونسافر.

ضحكت ياسمين وهي تعدها أن تكررا هذه الرحلة مرة أخرى سويًّا قريبًا، لتبتسم دينا قبل أن تتركها لتعود إلى غرفتها حتى تنام استعدادًا لرحلة العودة في اليوم التالي، وتترك ياسمين وحدها وهي تتمتم قائلةً:

– وحشتني يا عمر، وحشتني أوي بس هانت خلاص.

***

–33–

مضى أسبوع غياب ياسمين على عمر بثقلٍ وبطءٍ، شعر وكأنَّ الوقت لا يمرُّ منذ غادرت إلى تركيا، خاصةً بعد أن عاهدها ألّا يحاول الاتصال بها حتى تستطيع فهم حقيقة مشاعرها تجاهه بعد أن صارحته بأنها تكنُّ له المشاعر، ولكنها تحتاج إلى بعض الوقت لتتأكد منها. لا يعرف لمَ يسيطر عليه خوفٌ كبيرٌ من قرارها بالرغم من شعوره بحبها له، لا يعرف لمَ بلغت حيرته ذروتها بعد أن كان متأكدًا من حقيقة مشاعرها

حتى وإن كانت هي لم تتأكد بعد.

ظل عمر طوال فترة غيابها يتأرجح ما بين شعور بارتياحٍ لاعترافه لها بحبه الذي أخفاه بقلبه لسنوات، وشعور بالندم خشيةَ أن يكون قد تسرّع باعترافه هذا ويتسبب في ضياعها منه إلى الأبد. كان قلبه يئنُّ طوال أيام ابتعادها عنه اشتياقًا لها، لو أنه لم يصارحها بحبه لها قبل سفرها لكان باستطاعته الاتصال بها كل يوم للاطمئنان عليها وسماع صوتها الذي يفتقده بشدة الآن.

لم يكن يدري أن مع اقتراب ميعاد عودتها حيرته ستزداد كثيرًا، فها هو يجلس في مطعمه في اليوم السابق لموعد وصولها وحيدًا يفكر فيما يجب عليه فعله في اليوم التالي، أيتصل بها للاطمئنان عليها أم أنه يجب عليه الانتظار أكثر من ذلك حتى تقرر هي متى تحدثه؟ تكاد الحيرة تفجر رأسه ويكاد قلبه يشق صدره شوقًا للمعة عينيها وعذوبة صوتها.

جلس عمر يفكر ماذا لو أنها اكتشفت عدم حبها له، وأن ما تشعر به هو احتياج فقط دون أية مشاعر أخرى؟ ماذا لو أنها لم تفتقد وجوده كما افتقدها هو؟ ماذا لو أن ذلك الاتصال الذي ينتظره منذ تلك الليلة هو ما سيضع نهايةً لوجودها بحياته بدلًا من تلك البداية التي يحلم بها؟ هزَّ رأسه وكأنه ينفضُ عنها تلك الأفكار التي أشعلت الصراع بداخله، ونهض واقفًا قبل أن يذهب وكأنه يستعجل نهاية آخر يوم في غيابها أيًّا كان ما ستخبره به عند عودتها.

وقف ياسر يُودِّع شقيقته وصغيرها في اليوم التالي بعينين دامعتين بالمطار قبل أن يلتفت ليودع دينا وأسرتها على وعد بعودتهم مرة أخرى مع ياسمين لقضاء عطلة الصيف معهم جميعًا بإسطنبول.

جلست ياسمين بالطائرة بجانب مراد شاردةً تُفكر بعمر وباشتياقها له، لا تعرف أيجب عليها الاتصال به فور عودتها، أم تنتظر حتى تنتهي مما عزمت على فعله يوم السبت حتى تكون قد حسمت أمرها بشكل

نهائي تجاهه؟ انتبهت من شرودها على صوت دينا التي جلست بجانبها بعد أن بدَّلت المقاعد مع مراد وتبتسم لياسمين قائلةً:

– عمر وحشك؟

بتلقائيةٍ وقليلٍ من الاندفاع أجابت:

– جدًّا.

– طيب هتعملي إيه؟

– هنروح مشوار يوم السبت زي ما اتفقنا، وبعدها هقرر.

– تمام، أنا قلت لمصطفى وطبعًا ما فيش مانع أنتِ عارفة.

– بمناسبة مصطفى، طمنيني أنتو أحسن؟

– بكتير، الحمد لله.

– عظيم، الحمد لله حبيبتي.

ما إن هبطت الطائرة أرض مطار القاهرة حتى أمسكت ياسمين هاتفها تتفحصه علّها تجد رسالةً من عمر يطمئن على عودتها، ولكن كسائر أيام الأسبوع الماضي جميعها، لا شيء من عمر على الإطلاق.

ابتسمت ياسمين وهي تضمُّ دينا أمام المطار مودعةً إياها وهي تقول:

– مش متخيلة أصحى ما لاقيش حد في البيت، اتعودت على وجودنا سوا الأسبوع دا.

– والله وأنا جدًا.

– يلا حمدالله على السلامة، ويا رب تكونوا اتبسطتوا علشان نكررها في الصيف بقى.

ضحكت دينا وهي تهمس بأذن صديقتها:

– إن شاء الله ما تبقيش لوحدك ساعتها بقى.

– اتلمي شوية.

علت ضحكاتهما قبل أن تفترقا على وعد بلقاءٍ صباحَ السبت لتذهبا سويًّا إلى حيث تريد ياسمين دون أن تخبر دينا.

عادت ياسمين إلى منزلها برفقة صغيرها وقد بدأ اشتياقها لعمر يزداد داخلها، وكأنها قد عادت داخل نطاق سيطرته عليها، تحمم مراد ونام متعبًا ليتركها وحدها لا تستطيع تجاهل دقات قلبها التي أعلنت تمردها عليها، وبدأت تدق بقوة وكأنها كانت تنتظر عودتها لوحدتها حتى تعلن العصيان على انتظارها في محاولة لدفعها لحسم قرارها الآن. وعلى الرغم من رغبتها في الانتظار ليومٍ آخرٍ إلا أنها لم تستطع مقاومة دقات قلبها وحنينه له، فما كان منها إلا أن أمسكت هاتفها لتطلب رقمه وتنتظر سماع صوته وهي لا تدري ماذا بعد أن يجيبها.

كان عمر يجلس بمطعمه كالمعتاد يراجع بعض أوراقه عندما دقَّ هاتفه حاملًا اسمها ياسمين، ذلك الاسم الذي ما إن ظهر على شاشة هاتفه حتى شعر وكأنه قلبه ينتفض شوقًا إليها. للحظات ظل ينظر إلى هاتفه لا يدري ماذا يفعل، ولكنه أمسك به ليجيب وقد جاء صوته حاملًا الكثير من الحب والحنان وهو يقول:

– ياسمين، حمدالله على السلامة.

غاص قلبها بأعماقها عند سماع صوته، لتبتسم وقد أغمضت عينيها لترى ابتسامته التي تسبقه دائمًا في استقبالها قبل أن تجيبه بصوتها العذب:

– الله يسلمك.

– وصلتِ إمتى؟

– من كم ساعة كدا، عامل إيه يا عمر؟

– أنا مش أحسن حاجة بس الحمد لله كويس، المهم أنتِ طمنيني، اتبسطتِ؟

كادت تخبره أنها افتقدته بشدة معها، وأنه ما فارق تفكيرها لحظةً منذ سافرت، وأن وجوده معها هو كل ما تمنت، ولكنها وجدت نفسها تقول بترددٍ:

– آه الحمد لله، كانت ظريفة.
– طيب الحمد لله.

صمت وصمتت هي لا تجد ما تقوله، فهناك لحظاتٌ لا يملؤها إلا البوح بالمشاعر، وهي لن تقولها له قبل يوم آخر. كان عمر ينتظر أن يسمعها تخبره باشتياقها له أو بأنها قد حسمت أمرها، ولكنه شعر في صمتها بترددها فقال وقد بدأ اليأس يتسلل إليه:

– مالك يا ياسمين؟
– لأ مافيش، بس مرهقة شوية من السفر يمكن.

ابتسم عمر في إحباط بعد أن شعر بفشلِ آخرِ محاولاته في معرفة ما بداخلها، ليقول مُنهيًا حديثهما:

– طيب خلاص، نامي دلوقتي ونبقى نتكلم بعدين.

صمتت وقد شعرت أنها على وشك البكاء قبل أن تجيب باستسلامٍ:

– أوكي، يلا هنام دلوقتي ونتكلم بعدين.
– تمام، تصبحي على خير.
– وأنت من أهل الخير.

أغلق عمر الخط وقد شعر بقلبه يتألم بداخله من شدة إحباطه بعد حديثهما الذي انتظره طوال الأيام الماضية، لا يعرف لمَ شعر في صوتها بحنينٍ إليه ولكنها لم تبُحْ به. ظلَّ عمر جالسًا يفكر بما يمكن أن يكون سببًا في إصرارها على عدم مصارحته بمشاعرها سوى أن يكون مُخطئًا، وأن تكون لا تحمل له سوى مشاعر امتنان وصداقة، تضاعفت حيرته باتصالها به، وهو من كان يظن أن بعودتها ستنتهي آلام قلبه كلها. تنهد عمر وهو يغمض عينيه ويسترجع أحاديثهما سويًّا، وهو يفكر في تلك المرأة التي عصفت بكيانه منذ سنوات.

وضعت ياسمين رأسها على وسادتها وقد أطلقت لدموعها العنان، كانت تبكي شوقًا لعمر الذي تعرف أنها قد سبَّبَتْ له ألمًا باتصالها به منذ

قليل، تبكي رغبةَ رؤيتِه لتبوح له بمشاعرها وتبدأ معه فصلًا جديدًا في حياتها. بكت ياسمين كثيرًا؛ إخفاء المشاعر يؤلم أكثر من جروح الجسد أحيانًا، بكت حتى استسلمت أخيرًا للنوم وهي تَعِدُ نفسها أنها لن تجعله ينتظر بعد عودتها مساءَ السبت يومًا آخر.

مضى اليوم التالي بهدوء دون أحداث جديدة، فقد أمضته ياسمين مع مراد بمنزلهما، ولم يحاول عمر الاتصال بها، وقررت هي ألّا تتصل به ثانيةً بعد أن شعرت أنها سبَّبَت له ألمًا باتصالها به ليلةَ أمس.

أشرقتْ شمسُ يومِ السبت أخيرًا واستيقظت ياسمين مبتسمةً لتعد إفطارها هي وصغيرها قبل أن يتركا المنزل في طريقهما لمنزل جدته، حيث ستتركه أمه حتى عودتها مساءً لتأخذه.

وقفت ياسمين تمسك بيدِ صغيرها أمام باب منزل راوية التي ما رأتها منذ يوم أحضرت لها مراد قبل طلاقها، كان توترها يزداد وهي تنتظر أحدًا ليفتح لها الباب، حتى فتحت راوية بابتسامتها المعهودة لتستقبل حفيدها بذراعين مفتوحين قائلةً:

– روح قلب راوية من جوا!

ضمّته راوية بقوةٍ قبل أن تعود لتنظر إلى ياسمين التي بدا على وجهها علاماتُ الارتباكِ، فابتسمت قبل أن تضمَّها قائلةً:

– حبيبتي.

– إزيك يا طنط؟

– الحمد لله يا ياسمين، كدا شهر بحاله ما أشوفكيش؟ حمدالله على السلامة يا روحي.

– الله يسلم حضرتك.

– اتفضلي يا ياسمين، تعالي.

– لأ معلش والله يا طنط، مواعدة دينا ولازم أعدي عليها كمان نص ساعة. إن شاء الله أقعد شوية لمّا أرجع.

– إن شاء يا روحي.

– طيب باي يا طنط.

– باي يا ياسمين.

كانت دينا تنتظر ياسمين أسفل منزلها حين أوقفت الأخيرة سيارتها أمامها لتجلس دينا بجانبها، وتنطلق ياسمين في طريقها قبل أن تسألها دينا بفضولٍ:

– هنروح فين بقى؟

– إسكندرية.

– نعم؟ إسكندرية؟! إشمعنا؟

– هقول لك هناك.

– هو إيه السريّة دي؟ عصبتيني بجد.

انطلقت ياسمين في طريقها إلى الإسكندرية، وبجانبها جلست دينا تنتظر أن تعرف هناك سبب هذه الرحلة الغامضة.

على كورنيش الإسكندرية أوقفت ياسمين سيارتها لتلتفت بابتسامةٍ لتلك الجالسة بجانبها قائلةً:

– يلا.

– يلا إيه؟

– هننزل نقعد على البحر شوية.

– ياسمين أنتِ اتجننتِ؟ أنا بجد محتاجة أفهم!

– طيب انزلي، والله هفهمك.

في استسلامٍ تامٍ لم تجد دينا أمامها خيارًا سوى أن تُطيعها وتغادر السيارة لتتبعها وتجلس بجانبها أمام بحر الإسكندرية، قبل أن تتنهد ياسمين بعمقٍ وتبدأ حديثها وهي تنظر أمامها دون أن تلتفت لدينا:

– أنا قعدت هنا مع مراد، هنا قلت له بحبك.

عقدت دينا حاجبيها بعصبيةٍ وقد نفد صبرُها لتقول بانفعالٍ:

– مراد؟! أنتِ جايبانا هنا علشان تفتكري ذكرياتك مع مراد؟! أُمَّال إيه عمر دا؟

– اسمعيني يا دينا، فاكرة لما قلت لك إني مش هقدر أدخل في علاقة غير لما الحتّة اللي جوايا لمراد دي تبقى مجرد ذكرى أضحك عليها وخلاص؟

– أيوة فاكرة.

– هو دا اللي أنا بعمله دلوقتي، عارفة لما تتجرحي وتبقي مش عارفة الجرح لسه بيوجعك ولا لأ فتدوسي عليه علشان تعرفي؟

– آه.

– أنا جيت هنا علشان أدوس على الجرح، جيت علشان أشوف هحس بإيه لو في يوم جيت مع عمر هنا أو أي مكان رحته مع مراد قبله، فهمتِ؟

– آه فهمت، بس لقيتِ إيه؟

– لقيت إني زعلت، بس زعلت على مشاعر بكر طلعت مش في مكانها، زعلت على أول حب اللي راح لحد ما كانش يستاهل، زعلت على حاجة كنت أتمنى تبقى لعمر، زعلت إني ماعرفتش عمر من الأول. أنا كل ما أدوس على الجرح بحس بحب عمر أكتر، أنا كمان مش بس نسيت قعدتي هنا مع مراد، لأ كمان نفسي يكون عمر هو اللي معايا دلوقتي.

– بتحبيه يا ياسمين.

– أيوة يا دينا، بحبه وبحب أماني معاه واحتواؤه ليَّ وصبره عليَّ، بحبه علشان راجل وعرف يتعامل مع الست اللي جوايا ويسعدها ويطمنها.

ابتسمت دينا بسعادةٍ وهي تضمُّ صديقتَها التي شعرت في صوتها بفرحٍ غاب عنها كثيرًا.

– طيب إيه؟ لسه عايزة تقعدي؟

– لأ، يلا بينا علشان ألحق أقعد معاه شوية قبل ما أجيب مراد.

– يلا حبيبتي.

– دينا.

– نعم يا ياسو.

– أنا بحب، بحب يا دينا والمرة دي لا هخبي ولا هخاف، علشان المرة دي بحب راجل بيحبني بجد.

– طيب يلا بينا علشان الراجل اللي بجد دا طلع عينه وهو مستني يسمع منك أي حاجة بقاله أسبوع.

تركت ياسمين صديقتها أسفل منزلها لتنطلق مسرعةً عائدةً إلى الزمالك لتبدل ملابسها قبل أن تذهب لترى عمر دون أن تخبره بذهابها إليه. وقفت أمام مرآتها تلقي نظرةً أخيرةً إلى نفسها قبل أن تذهب، وقد ارتدت ثوبًا قصيرًا أسود من الصوف أسفل معطفٍ أسود يقف عند حدود ركبتيها، وتركت شعرها ينسدل بانسيابية على ظهرها، وقد أظهر حزام ثوبها خصرها الرفيع وأنوثتها التي ما تعمدت أن تظهرها قبل ذلك. لم تنسَ أن تأخذ معها قبل أن تغادر منزلها تلك الهدية التي أحضرتها له من تركيا، وانطلقت بعدها في طريقها إليه والابتسامة لا تغادر وجهها، لا تستطيع الانتظار لرؤيته.

ما إن أوقفت سيارتها أمام مطعمه وتأكَّدت من وجوده بالداخل عند رؤيتها لسيارته أمامه حتى اندفعت تجتاز مدخله، تبحث عنه بعينيها ووجدته يجلس وحيدًا على الطاولة التي جلس عليها معها يوم تناولا طعامهما سويًّا.

تفاجأ عمر بها تقف أمام طاولته بابتسامتها العذبة وأنوثتها الطاغية، وقد مدَّت يدها إليه قائلةً:

– ما كانش ينفع أرجع من تركيا من غير ما أجيب لك حاجة.

ابتسم عمر وقد اختلطت مشاعره بداخله فور رؤيتها، فقد اجتاحه

شعورٌ كبيرٌ بالسعادةِ ولكنه تذكَّر عدم ردها عليه منذ عودتها، فشعر وكأنه لا يدري ماذا يقول، فتندفع هي قائلةً وقد بدأ يلاحظ لمعة عينيها التي يعشقها:

– أنا جبت لك جاكيت رمادي بس يا رب يعجبك.

– أكيد هيعجبني، تعبتِ نفسك بجد.

لاحظت ياسمين توتره وحيرته، فاتسعت ابتسامتها وهي تقول:

– مش هتقول لي اتفضلي طيب؟

– لا إزاي؟ حقك عليَّ، اتفضلي طبعًا.

– لأ، أنت اللي هتتفضل معايا، عايزاك برا دقيقة واحدة.

– خير في إيه؟

– مش عارفة، العربية فيها حاجة، لو ينفع تشوفها لي قبل ما نقعد بسرعة كدا ونيجي.

– آه طبعًا أكيد، يلا بينا.

سارت أمامه وخرجا من المطعم باتجاه سيارتها، وقد بدأت دماء الخجل تندفع لوجهها ليزداد حسنها، ويزداد هو هيامًا بها، حتى وقفا أمام السيارة، فسألها دون أن يرفع عينيه عن عينيها:

– ما لها العربية؟

– استنى، لازم تدور علشان تسمع.

– طيب اركبي ودوّري نشوف.

مدَّت له يدها بمفاتيح سيارتها قائلةً:

– لأ، جرّب أنت علشان اللي بيسوق بيحس أكتر.

شعر عمر أن هناك شيئًا ما وراء ما تفعله ياسمين، ولكنه انصاع لطلبها وأخذ مفاتيح سيارتها، وجلس بمقعدها وأدار محرك السيارة قبل أن تجلس هي بجانبه وهي تنظر إليه بصمتٍ وابتسامةٍ تشعُّ حبًّا.

– مالها؟

تنبه عمر إلى تلك الأغنية التي انطلقت في سيارتها فور أن أدار المحرك ووجد فضل شاكر يشدو:

«أحبك حب ما أقدر أعاند فيه إحساسي،
لقيت الحب شيء أكبر من إني آخد أنفاسي».

فالتفت لها قائلًا:

– ياه! أحاول؟! أنا بحب الأغنية دي جدًا من ساعة ما طلعت.

– عارفة.

– أكيد قلت لك قبل كدا، دي من أول...

قاطعته ياسمين:

– عمر.

– أيوة يا ياسمين.

– أنا بحبك.

وكأنه قفز في النهر بمنتصف ليل أحد أيام يناير، شعر عمر أن كل ما به تجمَّد وكأنه يسمع تلك الكلمة لأول مرة بحياته، ظلَّ ينظر إليها وقد هربت الكلمات من قاموسه، لا يدري ما يحدث حوله، فابتسمت هي وقد تورَّدت وجنتاها وزاد جمالها وهي تومأ برأسها قبل أن تهمس:

– أيوة بحبك، بحبك أوي، ووحشتني أوي أوي.

ابتسم عمر بحنانٍ وسعادةٍ كان ينطق بها كل ما يشعر به، حتى نطق لسانه أخيرًا وكأن كلماتها قد أعادته للحياة:

– بتحبيني بتحبيني؟

– بحبك بحبك. عارف أنا ليه ما اتكلمتش جوا؟

– ليه؟

– علشان خُفت تخبي الفرحة اللي باينة في عينيك دي جوا علشان الناس وكدا.

– أخبي؟! أخبي إيه يا ياسمين، دا أنا مستني الكلمة دي بقى لي

سنين، وكنت فاكر إني اتجننت علشان أستناها أصلًا. أنا أساسًا نفسي أقول للناس كلها إني استحملت حبك من غير أمل سنين، بس في الآخر سمعتها منك. أنا مش عارف مالي، يعني أنا مش صغير علشان أتلخبط كدا بس أنا حاسس زي ما أكون في إعدادي، وأحلى بنت في المدرسة قالت لي بحبك، يعني عايز أقول لك على حاجة بس خايف تفهميني غلط علشان أنا والله ما قصدي أي حاجة وحشة.

– لا ما تخافش، قول.

– أنا حاسس إني عايز أحضنك بس، مش عايز أتكلم ولا عايز أي حاجة غير إني أحضنك، بس مش قلة ادب صدقيني.

– مصدقاك يا عمر.

– ياسمين.

– أيوة يا عمر.

أمسك كفها الصغير بين كفيه ليطبع عليه أول قبلة يطبعها على كف امرأة وهو يقول:

– أنا بحبك، أنا اكتشفت إن عمري في حياتي ما حبيت غيرك أساسًا.

زادت لمعةُ عينيها التي يهيم بها وهي تبتسم له بصمتٍ وقد تركت له كفها، وقد تأكدت الآن أنها هي أيضًا لم تحب رجلًا قبله.

***

–34–

مرت أيام ياسمين مع عمر في سعادةٍ لم تشعر بها من قبل، حتى إنها لم تشعر بانقضاء فترة عدَّتِها إلا عندما وجدت عمر يطلب منها الزواج مرةً أخرى وهما يتحدثان في الهاتف ليلًا، كعادتهما منذ ذلك اليوم الذي صارحته فيه بحبها.

– ياسمين.

– أيوة يا عمر.

– بما إن العدة خلصت، إحنا هنتجوز إمتى؟

ظلت تُعِدُّ نفسها لطلبه هذا منذ علمت بحبه لها إلا أنها وجدت نفسها لا تعرف بمَ تجيبه، لا تُنكر أنها تحبه، بل وتهيم به عشقًا، ولكنها أيضًا لا تستطيع أن تنكر أنها خائفة، خائفة أن يعرف أكرم بأمر زواجها هذا ويعود ليأخذ وحيدها، ويكون فقدانها لمراد هو ثمن قربها من عمر. تعرف أن علاقتها بعمر لن تقف عند هذا الحد، وأنه يجب أن تختار إما أن توافق على طلبه، وإما أن تُصارحه بما يرهق تفكيرها، تعرف أن كل ما عليها الآن هو أن تختار إما أن تشاركه التفكير لإيجاد حل مناسب، وإما أن تنسحب من حياته بهدوء دون المحاولة. قطع صوته عليها تفكيرها وهو يناديها بحبٍ:

– ياسمين.

– معلش يا عمر، سرحت غصب عني.

– مالك؟

– بحبك بس خايفة...

– لو بتحبيني بجد يبقى ما ينفعش تخافي، قولي لي طيب خايفة من إيه؟

– خايفة جوازنا يكون سبب إني أخسر ابني، أنا مش هقدر أخسرك ولا أخسر مراد، ومش عارفة أعمل إيه.

كانت تتوقع أن يظهر بعض الضيق في حديثه معها بعد أن طرحت عليه مخاوفها، ولكنها وجدت صوته يرقُّ وكأنه يريد أن يؤكد لها أنه أبدًا لن يتخلى عنها، ولن يتركها وحدها بعد أن وجدها، فقال لها بحنان بالغٍ:

– هو دا اللي مخوفك؟

– آه يا عمر.

– أنا عمري ما هخسرك، ولا هكون سبب إنك تخسري ابنك، ما تقلقيش يا ياسمين، كل حاجة ليها حل، أنا هتصرف.

– أنا آسفة يا عمر بجد.

– آسفة على إيه؟ أنتِ مني، وطبيعي أنا اللي أتصرف وأحل أي مشكلة لو أقدر، أنتِ بس ما تخافيش وروّقي كدا.

ابتسمت وكأنها تراه، وقالت في ضعفٍ:

– حاضر، ربنا يخليك ليَّ يا عمر.

– ويخليكِ ليَّ يا روح عمر.

شعرت ياسمين براحةٍ كبيرةٍ بعد أن أخبرته بما تخشاه، أن تفقد صغيرها بزواجها منه لثقتها بقدرته على إيجاد الحل المناسب لهما. تغيَّرت حياتها كثيرًا بوجود عمر، وأصبحت هي أكثر انطلاقًا وحبًا لأيامها. وتمضي شهورٌ عليهما منذ طلب عمر منها الزواج، حتى أتى ذلك اليوم حين رنَّ هاتفُها وهي على وشك مغادرة مكتبها لتعود إلى منزلها بعد يوم عملٍ شاقٍ وتجده عمر:

– أيوة يا عمر.

– ياسو، عاملة إيه؟

– أنا الحمد لله، بستعد علشان أمشي أهو.

– طيب كويس إني لحقتك قبل ما تنزلي، عايزك تعدي عليَّ قبل ما تخدي مراد من الحضانة.

– في حاجة ولا إيه؟

– لأ ما تقلقيش، عايز بس آخد رأيك في شوية تجديدات.

– خلاص حاضر من عينيَّ.

– تمام، خلي بالك من الطريق.

– ما تقلقش عليَّ.

– يلا باي.

- باي.

أغلق عمر الخط والتفت لذلك الجالس بجانبه وهو يبستم قائلًا:

- هي في الطريق.

ابتسم ياسر بسعادةٍ قائلًا:

- طيب تمام، زمان قلبها وقع بتفكر أنت عايزها ليه.

- أكيد، خصوصًا إنها مش هتصدق موضوع التجديدات دا.

ضحك ياسر في دهشةٍ وهزَّ رأسه وكأنه يعيد التفكير في أمرٍ ما ثم قال:

- أنت وياسمين؟! آخر حاجة كنت أتخيلها.

- ليه يا ياسر؟ أنا مش وحش أوي كدا يعني.

- عيب عليك، عمري ما أقول عليك وحش يا عمر، دا أنت أجدع وأرجل واحد عرفته في حياتي. أنت مش فاهم أنا مرتاح إزاي إن أختي هتبقى مع راجل زيّك أخيرًا.

- ربنا يخليك يا باشا، بس بمناسبة أختك يا ياسر، زي ما اتفقنا مش هنعرفها أي حاجة عن جواز أكرم دا ولا الحوارات بتاعة الكم شهر اللي فاتوا دول خالص.

- أنا بجد مش فاهمك يا عمر، ليه يعني؟ هتفرق في إيه إنها تعرف إنه كان متجوز عليها بقاله فترة ولا لأ؟ ثم افرض إننا ما قلناش، هبرر لها إزاي إنه مضى تنازل عن حضانة ابنه ليها نهائيًا حتى في حالة جوازها؟ هبرر لها بإيه إني سافرت له دبي وعملت معاه الاتفاق دا وإزاي؟

- أولًا، أنا مش عايزها تعرف علشان ما نجرحش كرامتها قدامنا، وخصوصًا أنا، يعني أنا بحبها وطلبتها منك، إزاي تروح تقول لها إن أنا فضلت ورا طليقها لمّا عرفت إنه متجوز واحدة تانية عليها وما كانش قايل لحد فيهم؟ وإن هي دي النقطة اللي خلتك سافرت له ضغطت عليه بيها علشان التنازل عن الحضانة نهائيًا ليها؟

– ودا يجرح كرامتها في إيه يا عمر؟ ثم دي حاجة تتحسب لك، دا أنت عملت اللي أنا ما عرفتش أعمله.

– أنا مش محتاج أثبت لياسمين أنا بحبها قد إيه، ولو حتى محتاج ما قفلتش على دي يعني يا ياسر. مش هجرحها وأهين كرامتها قدامي علشان أرضي غروري، ومش هيفرق في حاجة معرفتها موضوع جواز أكرم دا من الأساس، أهم حاجة مراد وإحنا خلاص حليناها.

– اللي تشوفه.

– بس كدا، أنت تقول لها إني كلمتك طلبت إيدها منك، وقلت لك بس تتصرف مع أكرم علشان موضوع مراد دا وخلاص اتصرفت، وإنك موافق على جوازنا.

ابتسم ياسر لعمر في ذهولٍ من حديثه، فأمامه يجلس رجلٌ يفعل كل ما بوسعه لإسعاد شقيقته والحفاظ على مشاعرها وصون كرامتها. ماذا عساه يتمنى في رجل يسلمها إياه أكثر من ذلك؟

ما هي إلا دقائق بعد أن أنهيا حديثهما حتى وجدا باب المطعم يُدفَع وتَظهر ياسمين من خلفه، وتبحث بعينيها عن عمر الذي ما إن وجدته يجلس مع شقيقها حتى شهقت بسعادةٍ واندفعت ليستقبلها ياسر بين ذراعيه ويضمّها قائلًا:

– قلنا نعملها لك مفاجأة.

عادت برأسها إلى الخلف لتنظر إليه بعينيها الدامعتين قائلةً:

– أحلى مفاجأة يا ياسر!

ثم التفتت لعمر مُحاوِلةً فهم ما يحدث وهي تقول:

– أنا خلاص حفظت، أي تجديدات تبقي عامل لي مفاجأة.

ضحك عمر قبل أن يدعوها للجلوس قائلًا:

– اقعدي طيب علشان ياسر عايز يقول لك حاجة.

نظرت إلى شقيقها الذي وقف ينظر إلى كليهما بسعادةٍ غلّفها

الحنان ويربت على كتفها قائلًا:

– اقعدي يا ياسمين.

في صمتٍ أطاعتهما ياسمين وجلست معهما، وهي تنظر إلى عمر في محاولة لفهم ما يدور بينهما، حتى بدأ ياسر حديثه قائلًا:

– ياسمين، عمر من كم شهر كلمني وقال لي إنه عايز يتجوزك.

عادت بنظراتها إلى عمر في ذهولٍ، والذي قال مسرعًا وهو يبتسم:

– طبيعي أطلب إيدك من أخوكِ، وبعدين ياسر صاحبي، ما ينفعش ما يعرفش.

صامتةٌ كما هي، نظرت ياسمين بخجلٍ إلى ياسر وكأنها تعتذر له، فيكمل هو:

– وطبعا ما كانش عندي أي مانع، علشان عمر طول عمره راجل زي الفل، وأنا عمري ما أتمنى أحسن منه لأختي.

اندفعت دماء الخجل إلى وجهها ليزداد حسنها ويزداد معه هيام عمر بها، ابتسم ياسر لما رآه من حبهما الواضح على ملامح كليهما، وأضاف قائلًا:

– بس حكى لي على موضوع حضانة مراد، وإنك خايفة أكرم ياخده.

رفعت ياسمين رأسها إليه بذعرٍ وكأن كلماته قد أعادتها إلى أرض الواقع من سماء العشق التي كانت تحلق بها من لحظات.

– ما تقلقيش يا ياسمين، أنا سافرت دبي وقابلت أكرم وجبت لك دي منه.

كانت ياسمين تنظر إليه بذهولٍ وهو يخرج ورقةً من جيبه ويمدُّ يده بها لها قبل أن تسأله بترددٍ:

– إيه دي يا ياسر؟

– افتحيها.

ما إن أمسكت ياسمين الورقة باستسلامٍ لتفتحها وتقرأ ما بها حتى

رفعت كفها أمام فمها في دهشة وبدأت تبكي قائلةً:

– تنازُل يا ياسر؟ تنازُل عن الحضانة خالص؟!

– أيوة يا ياسمين، ومتوثق كمان، دلوقتي تقدري تتجوزي زي ما أنتِ عايزة.

– عملتها إزاي دي؟

نظر ياسر إلى عمر الذي جلس يتابع فرحتها بصمتٍ وسعادةٍ، وكأنه يطلب منه مرة أخرى أن يخبرها بحقيقةِ ما فعله عمر من أجلها، ولكن الأخير هزَّ له رأسه بسرعةٍ، فقال ياسر:

– مش مهم عملتها إزاي بقى، المهم إنك كدا تمام وحرة تعملي اللي أنتِ عايزاه.

قفزت ياسمين عن مقعدها لترتمي بين ذراعي شقيقها قائلةً وقد بدأت دموعها تتساقط بسرعةٍ على وجهها:

– ربنا ما يحرمني منك أبدًا يا ياسر، أنت أحسن أخ في الدنيا! طول عمري فاكرة نفسي لوحدي بس طلعت غلطانة، أنت طلعت في ضهري وأنا اللي ما كنتش شايفة.

ضمّها ياسر بقوةٍ وقد بدأت عيناه تلمعان بدموعِ الفرحِ قبل أن يفلتها بحنانٍ قائلًا:

– كدا يبقى مبروك الخطوبة يا حبايبي.

ثم التفت ينظر إلى عمر وقد بدأت دموعه في التساقط هو الآخر ليقول مقاومًا إياها:

– مش هوصيك على ياسمين يا عمر، أنا يمكن فعلًا كنت بعيد عنها فترة بس هي تستاهل تعيش سعيدة. وأنتِ كمان يا ياسمين، معاكِ راجل ما فيش منه تاني خلي بالك منه.

وضعت ياسمين رأسها على صدره وأطلقت لدموعها العنان دون مقاومةٍ وقد علت شهقاتها، وظلَّ ياسر يحاول تهدئتها وهو يبكي مثلها

حتى ابتسم عمر قائلًا:

– لأ مش كدا، أُمَّال لما تسلمها لي يوم الفرح هتعملوا إيه؟

ضحك ياسر من بين دموعه قائلًا:

– لا ما تقلقش، أنا قدام الكاميرا بحفظ مركزي.

مسحت ياسمين دموعها وهي تنظر إلى عمر في دهشةٍ:

– فرح؟ إحنا هنعمل فرح وفستان وكدا؟!

– وما نعملش ليه؟ طبعًا هعمل لك فرح وهتلبسي فستان، وياسر هينزل ماسك إيدك لحد ما يوصلك ليَّ، كل الطقوس دي هعملها لك.

– دا بجد يا عمر؟

– أيوة بجد يا ياسمين، وهنسافر نقضي شهر عسل كمان، شوفي في إيه تاني نعمله.

ضحك ياسر بامتنانٍ وهو يربت على كتف شقيقته التي كانت لا تصدق كل ما يحدث حولها، وكانت تنظر إلى عمر بحبٍ حقيقيٍ لا تدري كيف استطاع أن يحوّل حياتها في شهور قليلة إلى سلسلة من الأحداث السعيدة فقط.

غادرت ياسمين مطعم عمر بصحبة شقيقها بعد أن اتفقا أن يتمما خطبتهما قبل سفر ياسر إلى تركيا، على أن يخبراه حين ينتهيا من الاستعداد للزواج حتى يعود لحضور حفل زفافهما. قضت ياسمين ليلتها لا تصدق أن ما قضت شهورًا لا تجد له حلًا قد اختفى، وأصبح صغيرها معها إلى الأبد وأنها لن تخشى شيئًا بعد اليوم.

تمّت خِطبة عمر وياسمين في احتفالٍ هادئٍ أقامه عمر بمطعمه، وعلى الرغم من بساطته إلا أنه كان يشعر وكأنه على وشك أن يقفز كالأطفال من فرط سعادته، كانت ياسمين جميلةً بسيطةً متألقةً في ثوبٍ بلون الورد، يشبه الذي كانت ترتديه ملكات الإغريق القديمات، مما جعلها تبدو كأحد آلهة تلك الحضارة في حُسنها وجمالها.

ما إن تمّت الخِطبة حتى بدأ عمر في إعداد شقته لاستقبال عروسه الجديد التي وافقت على الانتقال للإقامة معه في منزله بمنطقة السادس من أكتوبر بعد إتمام زفافهما، فلا يمكن أن تكون هي سببًا لبُعده عن والدته بعد أن ضمن لها هو بقاء وحيدها معها، خاصةً وأن مدرسة مراد تقع في نفس المنطقة.

مرَّت الأيامُ التالية دون أحداثٍ جديدةٍ، فياسمين تمضي يومها ما بين عملها صباحًا ثم تذهب بعده إلى شراء ما يلزمها لتجهيزات زواجها الذي اختار عمر أن يكون في ذكرى يوم ميلادها، ثم تعود بعدها لمنزلها لتقضي ليلتها على الهاتف تتحدث مع عمر الذي أصبحت لا تتخيل يومها بدونه.

* بعد أشهرٍ قليلةٍ في غرفةٍ بأحدِ الفنادق الكبرى المُطلَّة على النيل بالقاهرة.

وقفت ياسمين تُلقي نظرةً أخيرةً إلى نفسها بالمرآة، وتبتسم ابتسامةً ممزوجةً بدموعِ سعادةً لا تُوصف: اليوم هو يوم زفافها إلى عمر الذي اكتشفت معه معنى الحب الحقيقي. كانت ياسمين ترتدي ثوبًا مطرزًا مكشوفَ الصدرِ جعلها تبدو كآلهة للجمال في حُسنها، وقد اختارت أن تجمع شعرها أسفل طرحتها مما أظهر جمال ملامحها بوضوح أكثر.

كانت دينا تتابعها بعينين مليئتين بالدموع، لا تصدقُ كلَّ ما مرّت به ياسمين في عامٍ واحدٍ لتبتسم قائلةً:

– تجنني يا ياسمين، أحلى عروسة شفتها في حياتي!

– أنا متوترة أوي يا دينا.

– عادي، مجرد بس ما تنزلي والزَّفَّة تبدأ خلاص هتفكي.

اقتربت دينا من صديقتها وهي تقاوم دموعها قائلةً:

– أنتِ مش متخيلة أنا مبسوطة علشانك إزاي، بس هتوحشيني يا ياسمين. ما كانش ينفع تسيبي الشغل.

– وأنتِ والله هتوحشيني جدًا، بس غصب عني يا دينا؛ ما كانش ينفع أفضل في شغل مضطرة فيه أتعامل مع مراد وأنا مع عمر، خصوصًا إني سمعت كلامك وما حكيتش لعمر حاجة عنه، مش هرضاها على عمر إني أقابل حد كان في بينا حاجة بحكم شغلي وهو ما يعرفش حاجة.

– عارفة حبيبتي، بس غصب عني، مش متخيلة المكتب من غيرك.

ابتسمت لها ياسمين في حنان قبل أن تضمها في رفق قائلةً:

– هو أنا هروح فين يا روحي بس، والله هنط لك كل شوية، ما أنا فاضية.

أفلتتها دينا وهي تحاول أن تمحو آثار بكائها عن وجهها قبل أن تنظر إلى تلك العروس الفاتنة الواقفة أمامها طويلًا وتقول بتعجبٍ:

– سبحان الله يا ياسمين، فاكرة عيد ميلادك السنة اللي فاتت كان إيه؟

ابتسمت ياسمين قائلةً:

– آه، كنت عبيطة أوي وفاكرة إن منتهى الحب إنه يفتكر عيد ميلادي ويجيب لي سلسلة عليها اسمه.

ضحكت بسخريةٍ وأكملت:

– ما كنتش أعرف إن الحب سند وأمان، وإن وجود راجل بجد في حياتي هيبقى أغلى من مليون سلسلة باسمه. الحمد لله بجد على وجود عمر في حياتي.

– ربنا يسعدك يا ياسو، أنتِ تستاهلي بجد كل خير.

ابتسمت ياسمين بامتنانٍ وقد بدأت الدموع تترقرق بعينيها من فرط سعادتها قبل أن تسمع طرقاتٍ خفيفةً على بابها ويظهر ياسر من خلفه بعد أن فتحته دينا. وقف ياسر ينظر إلى شقيقته التي فاق حسنها كل توقعاته وقال مذهولًا:

– قمر يا ياسمين، عروسة يا حبيبتي.

ثم أغمض عينيه محاولًا منع دموع ازدحمت بعينيه مضيفًا:

– يلا علشان الزّفة جاهزة والعريس مستني.

مدَّ ياسر ذراعه لشقيقته التي تعلّقت به وهي صامتة تحاول منع دموعها من التساقط وهي تسير بجانبه في طريقها إلى عمر، حب حياتها الحقيقي.

وقفت ياسمين بجانب ياسر أعلى درجات السلم المؤدي إلى قاعة الاحتفالات كأميرةٍ ليلة زفافها، كانت شديدة الجمال، تلمع عيناها بسعادةٍ لم تعرفها من قبل. وقف عمر أسفل الدرجات ينظر إليها بذهولٍ وفرحةٍ لم يتذوقها بحياته، لا يصدق أنه حان وقت اقترانه بياسمين حب حياته التي لم يكن يتخيل أن تشعر بحبه يومًا ما. ابتسم عمر وهو يراها تقف بجانب شقيقها تنظر إليه بخجلٍ وهي ترى نظرات الانبهار بعينيه قبل أن يندفع صاعدًا السلم ليتسلمها من شقيقها، ومعه اندفعت دموع الفرح من عينيه دون أن يحاول منعها، وقف عمر يصافح ياسر مبتسمًا ودموعه تتساقط ليلتفت بعدها ناظرًا إلى عروسه بحبٍ قائلًا:

– ربنا يقدرني وأخلي عينيكِ بتضحك كدا طول العمر.

تعلقت ياسمين بذراع عمر وقد تورّدت وجنتاها بدماء الخجل، وهي تسمع دقات الطبول تبدأ وكأنها تعلن عن بداية حياتها الحقيقية مع بداية حفل زفافها.

كانت سعادة ياسمين هي ما تحركها طوال الحفل، فقد استطاع عمر أن يسعد روحها فتألقت طوال الليل تضحك وترقص على نغمات الموسيقى مع زوجها في سعادة حقيقية لم تكن تعلم بوجودها من قبل.

انتهى الحفل وانصرف المدعوون ووقفت ياسمين تنظر إلى عمر بغرفتهما، وقد تجمدت الدماء بعروقها وهي تراه يغلق الباب بعد أن ودَّعهما ياسر وانصرف بصحبة مراد الذي سيقيم معه حتى تعود أمه

من شهر عسلها.

وقف عمر يتطلع إليها بحبٍ وحنانٍ قبل أن يقترب منها ليمسك بكفيها الصغيرين قائلًا:

– ياسمين.

بصوت يكاد لا يسمعه أجابت:

– أيوة.

– أنا ما كنتش عايز من الدنيا غيرك، أنتِ وبس.

رفعت وجهها الجميل تنظر إليه بصمتٍ ليكمل هو بحبٍ:

– أنا بحبك.

قالها وطبع على شفتيها أول قبلة منه لتدرك معها أن ما شعرت به قبله لم يكن حبًا، بل لم تكن حياةً.

* ذكرى يوم ميلاد ياسمين الأول بعد زواجهما.

وقف عمر بمطعمه يتحدث مع مصطفى زوج دينا ويضحكان قبل أن ينظر إلى ساعته قائلًا:

– مش اتأخروا شوية؟

– وهو من إمتى والستات مواعيدها مظبوطة يا عمر؟

ابتسم عمر ليضيف:

– يلا معلش، عيد ميلادها من حقها برده.

ما إن نطق عمر عبارته الأخيرة حتى ظهرت ياسمين تدخل المطعم وهي تبتسم في سعادة لينهض هو يستقبلها قائلًا:

– حمدًا لله على السلامة يا حبيبتي، حد برده يتأخر على عيد ميلاده؟

– معلش غصب عني، هقول لك كنا فين بس أسلم.

مدّت ياسمين يدها تصافح مصطفى الذي وقف مبتسمًا يقول:

– إزيك يا ياسمين، كل سنة وأنتِ طيبة.

– وأنت طيب يا مصطفى، ميرسي أوي.

– أُمَّال دينا فين؟

– بتركن برا، ما فيش أماكن قدام الباب فنزلتني وراحت تركن هي.

وقف عمر يستمع إلى حديثهما قبل أن تلتفت له قائلةً:

– مش هو عيد ميلادي والمفروض أنت اللي تجيب لي هدية؟

– حصل يا فندم.

– بس أنا كمان جبت لك هدية.

نظر عمر إليها بدهشةٍ يسألها:

– هدية إيه؟

فتحت ياسمين حقيبتها وهي تضحك وتُخرج منها ورقةً ظهر عليها اسم أحد معامل التحاليل الشهيرة قبل أن تمدَّ يدها بها إليه قائلةً:

– اقرأ دي وأنت تعرف.

عقد عمر حاجبيه وقد أمسك منها الورقة وقال قبل أن ينظر إليها:

– تحليل؟!

نظر عمر إلى نتيجة التحليل التي أعطتها له زوجته للحظاتٍ قبل أن يرفع رأسه في ذهولٍ قائلًا:

– حامل؟! أنتِ حامل؟

اندفعت دماءُ الخجلِ إلى وجهها من سؤاله لتقف أمامه صامتةً، فيكمل هو:

– ياسمين حامل يا مصطفى!

– ألف مبروك يا عمر، مبروك يا ياسمين. ربنا يرزقكم بطفل جميل زيكم يا رب.

التفت عمر إلى ياسمين ليضمّها إلى صدره بحنان قائلًا:

– دي مش هدية بس يا ياسمين، دي نعمة من ربنا. دي حاجة أكبر بكتير من اللي اتمنيته. دي مكافأة ربنا ليَّ علشان صبرت إنك تبقي مراتي

ويبقى ليَّ ابن أو بنت منك.

أفلتها عمر من حضنه برفقٍ ورأى دموعها وهو ينظر إليها بحنانٍ قائلًا:

– مبروك يا حبيبتي.

– مبروك لينا إحنا الاتنين يا عمر.

مضت ليلة احتفالهما في سعادةٍ كعادة كل لياليهما منذ زواجهما، جلسوا جميعًا في آخر اليوم يتحدثون. فمصطفى وعمر كانا يتناقشان بأحوال البلد الاقتصادية، فيما نظرت دينا إلى ياسمين تقول:

– أنا حاسّة إنك اول مرة تخلفي يا ياسو، بجد فرحتك مفرحاني جدًا.

– عارفة ليه؟ علشان عمر خلاني أعرف الفرق بين شريك حياة وشريك سكن، عمر فعلًا شريك حياتي وحبيبي وسندي وأماني وكل حاجة. أنا أول مرة أحس إني مع راجل ما فيش بيني وبينه فرق توقيت، بيديني المشاعر اللي أنا محتاجاها في وقتها الصح، مش بعد ما أطلبها ولا قبلها يا دينا، والبيبي دا هيبقى خليط بيني وبينه. الرباط اللي عمر ما حد يقدر يقطعه، يعني إنسان اتغذى من دمي بس هيشيل اسمه، حاجة كدا زي أول إنتاج لمشروعنا مع الفارق طبعًا، عمر يا دينا عرفني يعني إيه أخلف علشان علاقتنا هي نتيجة حب مش مجرد راجل وست في بيت لوحدهم. أنا فرحانة إن أول بيبي له هيبقى مني، وهي فعلًا أول مرة أخلف بس أول مرة عن حب.

– ياه يا ياسو، بتحبيه أوي كدا؟

– وماحبهوش إزاي وهو عرفني كل حاجة بمعناها الصح؟ بحبه؟! أنا مش فاكرة كنت عايشة إزاي قبله أصلًا يا دينا، يا شيخة دا أنا عينيَّ ما بطلتش تلمع من ساعة ما شفته.

–تمت–